

خَواطر قاضٍ

بقلم

القاضي المستشار

محمد مرشدی برکات



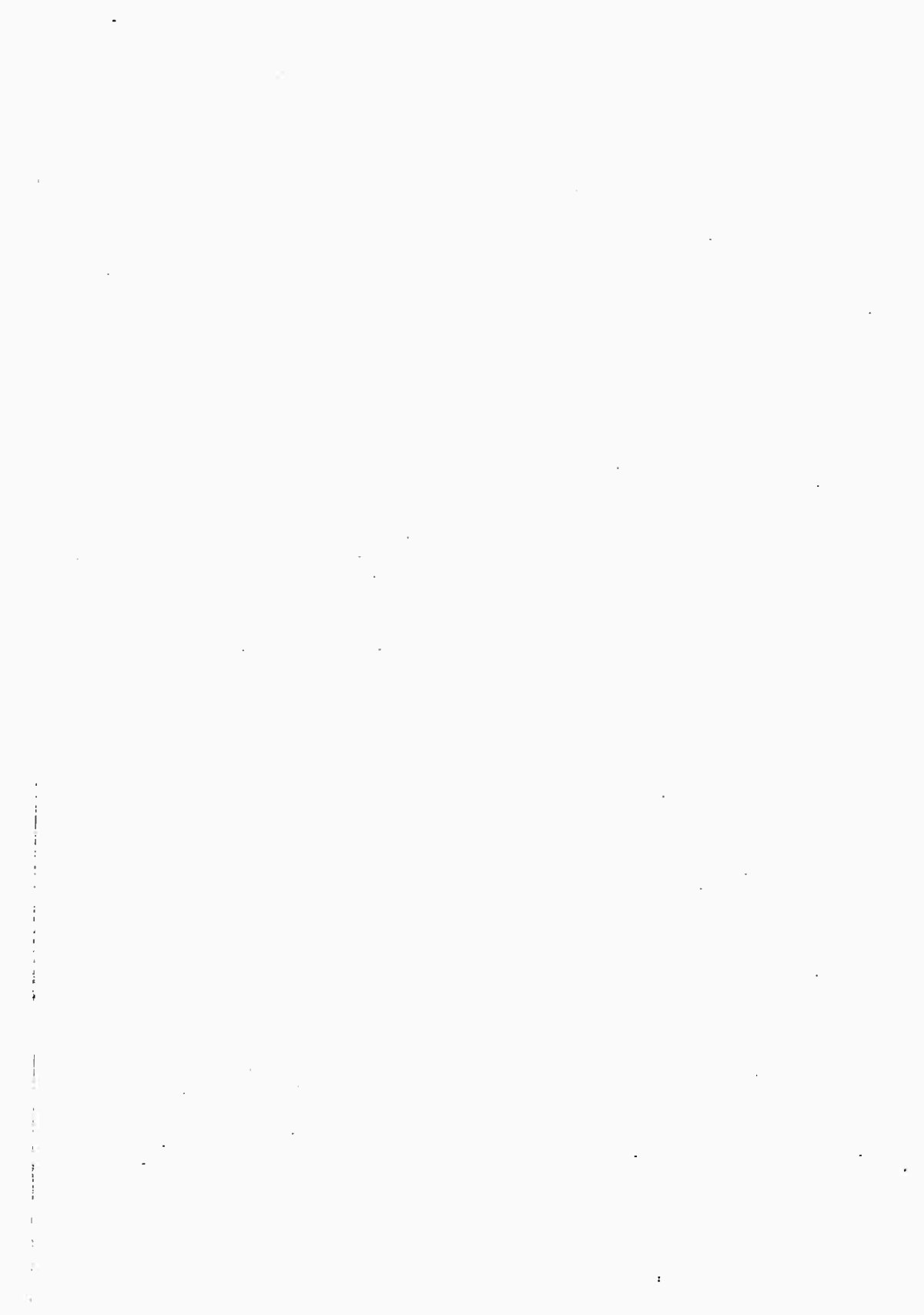
تصميم الغلاف: محمد حسن

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج.م.ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهداء

إلى وَلَدَيَّ خالٍ وسارة وفقهم الله ورعاهم
وسدد على طريق الخير خطاهم وإلى ..
أرواح والِدَيَّ وشقيقتي د. رقية أسكنهم الله
فسيح جناته.



مقدمة الكتاب

قرأت في كتاب «تعلمت من الحياة» - الذى نشرته دار الهلال المصرية منذ حقبة من الزمن، وهو عبارة عن نتف متفرقة من الدرر الثمينة - لكوكبة من أفاضل الشرق وعلماء الغرب من الأقبال الذين تركوا بصماتهم على الحياة التى عاشوا بين طهرانيها فى بلادهم، جاء فى توطئته: سئل أديب كبير: ما الذى تحبه وتهواه فى حياتك؟، فأجاب: القراءة، ولا سيما تاريخ تراجم العظماء.

لا جرم أن ذكرت هذا الكتاب المفيد، لأن مقالا ورد فيه يدل على العقل الخلاق Creating mind، أثر فى تكويني، وكان بعنوان «الحياة تافهة إذا خلت من مثل أعلى»، للعلامة «الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى» الذى أفاد بعلمه النافع العزيز على من يعمل فى الحقل القضائى، ناهيك عن مراكز العلم الفقهي فى مصر والبلاد العربية قاطبة، حيث توسد القضاء وكان رئيسا - ولا كل رئيس - لمجلس الدولة المصرى، أشار فيه هذا الفقيه العظيم إلى أن حياته لم تكن لتسير نحو التألق الفكرى القانونى، الذى جاء يتدفق كتدفق مياه النيل، والعطاء الفكرى الأملئ، الذى ترك أثره البالغ فى المجتمع القانونى برمته، لولا إيمانه بهذا المبدأ الذى ترسمه وجعله لنفسه نبراسا ودينا فى الحياة، لتغير نهجه وتبدلت أفكاره، وما كان قد وصل إلى ما وصل إليه من التألق والنبوغ.

قد كان والدى - رحمة الله عليه - مثلا أعلى لى فى الحياة. هذا الوالد الكريم، فقد أباه فى سن باكورة، ولم يكن قد شب عن الطوق بعد، إذ كان فى السابعة من عمره، فتكفله خال والدته المرحوم «فتح الله باشا بركات» الذى كان له دوره فى الحياة السياسية المصرية ونفى مع خاله الزعيم «سعد زغلول» إثر اندلاع ثورة ١٩١٩ إلى جزيرة «سيشل»، وبعد وفاته أحاطه خاله المرحوم اللواء «عاطف باشا بركات» بكامل رعايته، فكان كلاهما المثل الأعلى له فى الحياة إذ تعلم من الأول معنى العصامية، ومن الثانى الشجاعة فى إبداء الرأى والهمة فى اقتحام كل ماهو جاد فى مسيرته.

كان - رحمه الله - يجيد الإنجليزية والفرنسية، فضلا عن تألقه فى اللغة العربية وإجادته لها إجادة تامة حتى إنه كان على حد تعبير الأديب الكبير الأستاذ «يوسف جوهر» - فى

لقاء لنا معه بجريدة الأهرام إذ قال لى: إن والذك كان، واللغة العربية توأم لا ينفصل، إثر التحاقنا معا بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٠، ففي الندوات الأدبية التي كانت الجامعة تعقدها لطلابها بين الحين والحين. بان ذلك جليا. ووضح لنا أجمعين. كان - رحمه الله - قارئا نهما فى شتى صنوف المعرفة، ويكتب فى الصحافة المصرية وخاصة جريدة السياسة التى كان يترأس تحريرها الدكتور «محمد حسين هيكل باشا».

علمنى والدى - رحمه الله - ماذا أقرأ؟.. وكيف أقرأ؟ حتى أذمنت القراءة إدمانا، وإذا كان القول المأثور يقول: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال، فقد كان دأبه أبدا هو طلب العلم - دون المال - فأصبح قاضيا شجاعا فى إبداء رأى وفى كلمة الحق، عالما قوى الحجة ذرب اللسان ناصع البيان، يحرص دائما على تغذية عقله بالقراءة، فعلمنا فأحسن علامنا، وربانا فأجاد تربيته، وذلك بمشاركة - المغفور لها - والدتى التى بذلت من نفسها كل مرتخص وغال فى سبيلنا، وأدلت بدلوها فى تكويننا، ومن مآثرها أنها كانت تمدنى بالنقود، لكى ابتاع بها ما شاء لى من الكتب، فضلا عن أنها كانت تأتى بها لى.

كما ترك أستاذنا «العقاد» بصماته الواضحة على حياتى حتى أستطيع أن أزعم إننى قد قرأت جميع تواليفه مرة ومثني وثلاث، ونهلت من منهلها العذب، فاستقام عود اللغة لدى واستوعبت الغزير من علمه وأدبه، نثرا وشعرا، فقد تميز أستاذنا «العقاد» عن أضرابه من المفكرين والأدباء بعبقريته التى قل أن يجود بمثلها الزمان.

أما الدكتور العالم «على عبد الواحد الوفى» (ابن خلدون الصغير) كما أطلق عليه فقد أخذت منه معنى عشق القراءة وتنوع الثقافة، إذ دمج يراعه ما يربو على السبعين كتابا فى مجالى الفكر المتباينة، وإذ استشهدت بكتابه القيم «المساواة فى الإسلام»، وأنا لما أزل - بعد - فى القسم العلمى بالثانوية العامة، فما كان من أستاذ اللغة العربية إلا أن وجه لى تحية باللغة لقرائتى لهذا الكتاب المتميز.

عكفت على قراءة الكتب وانكببت عليها وأنا فوق سن العاشرة بقليل، فى شتى مناحيها وتباين موضوعاتها، فمن الأدب العربى إلى الأدب الغربى، وكذلك الأمريكى، فقرأت الكامل للمبرد، والأغانى للأصفهاني، ولسان العرب وغيرها من أمهات الكتب، وكذلك استهوتنى مؤلفات «شكسبير» و «نيتشة» و «تشارلز دكنز»، و «جوركى»، و «تولستوى» و «بوشكين» عابرة الأدب الروسى، وكذلك نوايع الفكر الأمريكى مثل أرنست همنجواى، وأرثر ميللر،

وويليام جيمس ديورانت ، الذى جاءت موسوعته قصة الحضارة تتفق أذهان القارئ فى كل مكان وزمان ، ناهيك عن « هارييت بيتشر ستو » صاحبة الكتاب الرائع « كوخي العم توم » الذى صور مأساة الزنوج فى أمريكا تصويرا هز قلوب البشر؟.

كان المتعلمون فى الماضى يذهبون إلى دكاكين « الوراقين » يطالعون الكتب فيها ، ومازلت أتذكر أن أحد الأدباء القدامى ، ولعله « أبو هقان » الذى قال : لم أرق قط ولا سمعت عمن أحب الكتب أكثر من « الجاحظ » فإنه لم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كاملا حتى إنه كان « يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر » ، حيث كان فى عصره أكثر من مائة وراق ، وكانوا علماء مجيدين ، منهم « النديم » صاحب الفهرس ، و « ياقوت الحموى » صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء . وكان « الحسن بن سهل » كما كتب صاحب « الكشكول » فى كشكوله يقول : إن القارئ يجب أن يعرف الضرب على العود ، ولعب الشطرنج ، والصولجان ، ويعرف شيئا من الطب ، والهندسة ، والفروسية ، والشعر ، والنثر ، وأيام الناس ، ويتعلم أحاديث السمر ، ومحاضرات المجالس؟.

وها هوذا « أبو الدرداء » يقول : « لو أعيتنى آية من كتاب الله . لم أجد أحدا يفتحها على إلا رحيلى » إلى برك الغماد ، لرحلت إليه . وبرك « الغماد » هو مكان قفر كان يضرب به المثل فى الوحشة وطول المسافة وبعدها .

هكذا كانوا يحرصون على العلم ، وعلى القراءة ، وعلى شد الرحال إلى المكان الذى يعثرون فيه على ضالته فى « بواكير شبابهم » ، مع بعد الزار ، ومشقة المزار .
قال الشاعر :

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
فإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذى أبصرت من بيسه

والذى لا مرأى فيه أن الكلمة التى ولدت من رحم القراءة ، لعبت دورا هاما وأدت رسالتها فى الحياة الإنسانية ، جعلت الأمم تشق طريقها فى الظلمات بمصابيح الرواد العظام التى كانت أشبه بمصباح « ديوجين » فأخرجتها من ربة الجهل ومن تحنط الجمود إلى نور العلم ، وها هى ذى أوروبا تمعن نظرها وتعمل فكرها فى مؤلفات العرب والمسلمين التى أشرقت عليها فى العصور الوسطى ، ويحدثنا التاريخ أن « ألفونسو » ملك « قشتالة » قد أمر بترجمة

الكتب الإسلامية فى مؤلف باسم Libros del Saber لجعل المعارف العربية متاحة «باللغة القشتالية». كذلك بترجمة «الإنجيل»، وتعليم أبناء وطنه اللغة العربية، ليستقرئوا علم وفكر العرب.

أما القارة الأوروبية بأكملها فقد يمتعت وجهها شطر الفيلسوف الحبر الفهامة والعالم العلامة «ابن رشد» فعرفت طريق النهضة، بعد أن قرأت مؤلفاته، واكتشفت مهاوى جهلها الذى كانت تلج فيه فى الإساءة والإصباح!

فهل لسائل - بعد ذلك - أن يسأل: هل القراءة لازمة؟ وهل القراءة مفيدة؟

نترك لمن يعن له أن يسأل، أن يعيد قراءة هذه المقدمة.

أما بعد، فمن خلال قراءة اتى المتواضعة كتبت هذه الخواطر فى مناسبات شتى متفرقة نشرت فى الصحف المصرية، رأيت أن أجمعها بين دفتى هذا الكتاب.

(المستشار محمد مصطفى بكري)

(القاهرة - ٢٧ - ١ - ٢٠١٢)

رسول السماء. وريحانة الأنبياء

يذكر «مصطفى صادق الرافعي» من تاريخ.. الواقدي «أن المقوقس عظيم القبط في مصر زوج ابنته (أرمانوسة) من (قسطنطين بن هرقل) وجعلها بأموالها حشما لتسير إليه حتى يبنى عليها في مدينة قيسارية والتقى فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها.. وجاء عمرو بن العاص إلى بلبيس محاصرا لها حصارا شديدا واحتدم جيشه بجيش الرومان الذين هزموا على يديه وأخذ أرمانوسة وجميع مالها من بين ما أخذ.. وأحب عمرو ملاطفة المقوقس فبعث إليه ابنته معززة مكرمة مع قيس بن العاص السهمي فسر المقوقس بها سرورا عظيما.

وكان لأرمانوسة جارية تسمى «مارية».. وكانت ذات عقل ودين، جزعت جزعا شديدا جراء ما سمعته عن عمرو بن العاص وجنده إذ قيل لها إن هؤلاء العرب ينقضهم الجذب على البلاد نفذ الرمال على الأعين في الريح العاصف وإنهم غلاظ الأكباد مثل أبلهم، ولا عهد ولا وفاء، ثقلت مطامعهم وخفت أمانتهم وإن قائدهم ابن العاص كان قصابا في الجاهلية فما نزع روح الجزار، ولا طبيعته، وتوهمت «ماريا» أوهاما ووقعت في شرك هاتيك الأوهام فيممت وجهها شطر سيدتها أرمانوسة تبث إليها فزعها فما كان من أرمانوسة إلا أن قالت لها: «إن أباه (المقوقس) قد أهدى إلى نبيهم (محمد عليه الصلاة والسلام)، بنت (أنصتا) - وهي بلدة من بلدان الوجه القبلي في مصر فكانت عنده أي عند الرسول في مملكة بعضها السماء وبعضها القلب.. وأن أباه قد أرسلها إلى النبي ومعها «دسيس» يعود إليه كاشفا له عن حقيقة هذا الدين.. وحقيقة هذا النبي، وأرسل الدسيس إلى والدها مخبرا إياه أن المسلمين هم العقل الجديد الذي سيسطع في العالم تمييزه بين الحق والباطل.. وأن «نبيهم» وهو أظهر من السماء في سمائها وأنهم جميعا ينطلقون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها، وإذا سلوا السيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون، وكان رد «المقوقس» على هذه الرسالة: إنهم لا يغيرون على الأمم ولا يحاربونها حرب الملك.. فهم من وراء أسلحتهم أخلاقهم، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق، وأن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصاة الحية في الشجرة الجرداء.

وأردفت أرماتوسة قائلة: المسلمون ليسوا كهؤلاء العلوج من الروم.. إن هذا لعجيب فلقد مات «سقراط» و«أفلاطون» و«أرسطو» وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، وما استطاعوا أن يؤدوا بحكمتهم إلا الكتب التي كتبوها أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء وأهل السياسة.. ثم تستسلم «للرجل الأمي» الذي لم يقرأ أبدا ولم يجلس ولم يتعلم: والعجيب أن قومه قد ماكروه فكان في ذلك «كالمسيح» كان ميلاده فاتحة خير للعالمين.. وللناس أجمعين.

وقد بعث برسالته إلى العالم ليتمم مكارم الأخلاق، قال الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم - الآية ٤] ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا كما قال «الرافعي»: «أن يوجز علاج الإنسانية كلها في حرفين لما زاد عن هذا القول، فالإسلام يرسى قواعد الخلق المتين على أساس مكين، ويجعل الإنسان بعيدا عن الدنيا والخطايا والذنوب والعيوب، وقد جعل الرسول الغاية من رسالته أن يتمم مكارم الأخلاق، ذلك أن الحسد داء ينهك الجسد، ومن هنا جاء قول الشاعر:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

والحقد صنو الحسد فهو داء خطير ووباء كبير لأن النفس العاليلة لا تضرر حقدا ولا تحمله لأحد.

وكما قيل: إن الكريم إذا تمكن من أذى جاءته أخلاق الكرام فأقلعا، وترى اللئيم إذا تمكن من أذى يطغى فلا يبقى لصالح موضعا، ومن هنا جاء قول «رسول الله» صلى الله عليه وسلم: (ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) فأكمل المؤمنين إيمانا عند «رسول الله» صلى الله عليه وسلم أحسنهم خلقا.

كان دعاؤه إلى الله: «اللهم حسن خلقي وخلقي.. اللهم جنبني منكرات الأخلاق». فالأخلاق تجذب الناس التفاف وتنأى بهم عن الإملاق.. إملاق الفكر وإملاق الضمير.

وكان «محمد» عليه الصلاة والسلام قد جاء إلى العالم عابدا متعبدا في «محراب الغار». قبل أن ينزل إليه الروح القدس «جبريل عليه السلام» برسالة السماء، متواصل الأحزان يمعن نظره إلى الوجود، ويعمل فكره في كنه الخلق الموجود، ويخلص من فكره إلى أن هناك الخالق الأعظم لهذا الكون. من رآه أحبه.. ومن خالطه أجله.. ومن تعامل معه هابه ووقره.. باطنه يتساق مع ظاهره.. يعتنق الأمانة حتى سمي بالأمين لا يعرف الختل أو الكذب، صريحا ودودا كريما أجود من الريح المرسلة. لا يعرف النزوة ولا يقارف الشهوة، حتى قيل فيه إنه كان يببب الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء إلا شطر شعير..

درعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير.. خيرُهُ الله بعد النبوة أن يكون له مثل (أحد) ذهباً فقال: «لا يارب أجوع يوماً فأدعوك وأشبع يوماً فأحمدك». أليس هو القائل: «اللهم أحيى مسكيناً، وأمتنى مسكيناً، وأحترنى فى زمرة المساكين»؟! .

نزلت رسالته إليه من السماء.. رسالة جامعة مانعة متينة البنيان متكاملة الأركان، تدعو إلى الخير والعفو والتسامح والسلام لا إلى العسف والعسر بل تدعو إلى اليسر، فمن يسر على عبد يسر الله عليه، وإن أكرم الناس عند الله أتقاهم.. وإلى حب الناس بعضهم لبعض، وإلى عدم المحاباة فمن أمر على الناس أحداً (محاباة) «فعلبه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» وإلى الخلق الحسن.. «فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»، وإلى الأخذ بالسبع الجاريات: سبع جاريات للعبد أجرهن وهو فى قبره، وهو بعد موته: من علم علماً أو حفر بئراً أو عرّش نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته، فإنها جميعاً من قبيل الصدقة الجارية يدوم نفعها ويتوالى جزاؤها فيؤول إلى صاحبها نفعها وثوابها، كما دعا عليه الصلاة والسلام إلى التوكل على الله.. لو إنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً.. فمن سره أن يكون أعز الناس فليثق الله فلا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه فمن أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا.. كما حث إلى عدم الغضب وإلى ملك زمام النفس عنده فقال قولته الكريمة لمن جاء يستنصحه: «لا تغضب» وإلى عدم كنز الذهب والفضة فمن يكتنزها ولم يؤد منها حقها إلى يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم يَكْوَى بها جنبه وجبينه وظهره، ومن ثم كان نهيه عن كنز الأموال والحث على الزكاة مصداقاً لقول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُم مَّكَادِبُ الْعِلْمِ﴾ (٣١)

[سورة التوبة - الآية ٣٤]، كما دعا إلى العلم، قائلاً: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله طريقه إلى الجنة».. «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».. «وأن الأنبياء لم تورث درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم».. وإلى عدم الغيبة فمن قال باطلاً فذلك هو البهتان، وإلى قضاء حاجات الناس: «أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغها»، كما دعا إلى - الاستعانة بالله - «استعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان». يقول النبى عليه الصلاة والسلام: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة.. وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة.. وإرشادك الرجل فى أرض لك صدقة.. وبصرك للرجل الردى البصر لك صدقة.. وإمالة الأذى عن الطريق لك صدقة.. وإفراغك دلوك فى دلو أخيك لك صدقة..

وأخيرا وليس آخرا قال الرحمة المهداه - الذى كانت شرعته الرحمة فإنما هو «الرحمة المهداه».. أرحموا من فى الأرضى يرحمكم من فى السماء. وحذر من الظلم، «وإياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»..

وهاهم أولاء الإخوة المسيحيون يبدون تجلتهم للنبي عليه الصلاة والسلام فيقول «جاك صبرى شماس»:

وأجل ضادا مهدها الإسلام	إنى مسيحيُّ أجل محمدا
حيث الصحابة موقفٌ وإمام	وأجل أصحاب الرسول وأهله
ولأجل طه تفخر الأقسام	كحلت شعري بالعروبة والهوى
دانته له الأعراب والأعجام	أودعت روحى فى هيام محمد

ويقول «حليم دموس»

وآراه فى فلك العلا عنواناً	إنى مسيحي يحب محمدا
----------------------------	---------------------

كما يقول أيضا الشاعر النصراني «جاك شماس»:

ويُجلُّ (طه) الشاعرُ النصراني	يُممِّتُ (طه) الرُّسُلَ الروحاني
ورسول نبيلُ شامخُ البنيان	يا خاتمَ الرسل الموشح بالهدى
حتى ولو أجزى بقطع لسانٍ	وأوددُ عنك مولها ومتيما
فوق المديح وفوق كل بيانٍ	مهما مدحتك يا (رسول) فبانكم

وإذا كان الفضل ما شهدت به الخصوم أو الأعداء فهوذا.. البروفيسور «H. prideaux» فى كتابه «حياة محمد» يعترف بالسمات السابقة «لمحمد» وبأنه أعظم القادة الذين عرفهم التاريخ، وكذلك (IRVING) «واشنجتون أرفينج» فى مؤلفه عن هذا «الرسول» الكريم، و«مايكل هارت» الذى رأى فى «النبي الرسول» أنه كان الرجل الفريد الذى يعتبر فى تاريخ البشرية أعظم شخصية فيها، وأنه أعظم العظماء جميعا، ناهيك عن «تولستوى وتوماس كارليل ورينسون»، والكاتب العالمى الإيرلندى «برنارد شو»، أما القائد العسكرى الفذ «نابليون بونابرت» (NAPOLEON BONAPARTE) فقد أشاد بالتشريع الإسلامى وبعبقريته، وبعبقريته من جاء به، وذلك فى مذكراته التى خطها فقد شهد فيها على عظمة هذا النبي وعلى إنسانيته وعلى عظم رسالته التى بُعث بها ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتمنى أن يشيد نظام الحكم بأية دولة بما يتناسق مع مبادئ القرآن الكريم، وكذلك أرتاه أول جنرال عسكرى (First insuvgent) فى التاريخ.

أما دائرة المعارف البريطانية فقد ورد بها: «كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحا وتوفيقا». فعليك الصلاة والسلام ياسيدى يا رسول الله.

المسلمون الألبان.. والشيخ تركمان ؟!..

بين الحقيقة الناصعة البلجاء المستقرة فى بطون أمهات المراجع والكتب ومن بينها (معجم البلدان) لياقوت الحموى ، والتي تثبت حق مسلمى كوسوفو التاريخى فى وطنهم وبلادهم ، وهاتيك المآسى الدامية الحمراء التى تخضبت بلون الدماء.. دماء الضحايا والشهداء من المسلمين الأبرياء والتي تترى لنا أخبارهم الحزينة السوداء صباح مساء.

فمن ذبح للشباب والرجال والأطفال إلى اغتصاب جماعى للحرائر من النساء حتى فر الألوف من سكان البلاد مذعورين ، وجلين ، يحتمون بالوهاد والسهول والوديان ويختبئون وراء الجبال دون غذاء أو كساء ، أو حتى شربة ماء ، حتى بلغ عددهم قرابة المليون أغلقت حدود الأقاليم المتاخمة لبلدهم فى وجوههم فأمسوا ضائعين تائهين.

هم من بين الرغام رغام ، بعد أن نشبت فيهم نار الضلال الضرام ، فما لهم حتى القيام قيام ، ولا بين الفرقدين مقام ، وما فتئت (قضيتهم) قضية إبادة شعب برمته ، ومسح شخصيته ومسح هويته ، حديث الأنام ، ما حاد عن ذكرها سيد أوغلام !.

ففى (كوسوفو) أو (كوسوفا) كما ينطقها المسلمون هناك ، شعب يباد ، وينثر عليه الرماد ، يدفن حيا تحت الثرى ويهال عليه تراب النسيان. وها هى ذى جريمة القرن العشرين تغطى بفضاعة إثمها ، وفظاظة جرمها وقتامة غبارها ووحشية مقترفها «سلوبيدان ميلوسوفيتش» السفاح الصربى تغطى بسوأتها على جرائم «جنكيز خان» المغولى ، و «هولاكو» التترى ، و «هتلر» النازى ، أساتذة الخراب ، وصناع اليباب ، وزبانية الشيطان ، ومعدومى الضمير والوجدان ، على مر العصور وشتى الدهور.

نقول بين هذا ، وذاك تجئ قصة أو رواية الكاتب اليوغوسلافى الكاثولولىكى «أيفو أندريتش» جسر على نهر درينا «مقصحة بارهاصات أديب ، وتنبؤات لبيب ، عما سوف يحدث فى هذه المنطقة الساخنة من العالم التى ترقد على فوهة بركان أشبه ببركان «فيزوف» ما أن يهدأ حتى يقذف بحممه الملتهبة من جديد ، وتظهر مأساة هذا الشعب المسلم من تحت الركام وكأنها حفريات كانت مطمورة فى أعماق الثرى فاكشفتها هذا الكاتب «الدبلوماسى» الفذ ونقلها إلى اللغة العربية الأديب الدكتور سامى الدروبي بفن

واقترار فجاءت كما يفعل عالم الحفريات، أو أستاذ علم الطبقات، يريك ما يراه بما عثر عليه، وألقاه من صور الحياة الأولى، فى عصورها الخوالى!.

فنهز درينا، الذى تجرى عليه هذه القصة وحواليه.. يسيل فى القسم الأكبر من مجراه خلال وديان ضيقة بين جبال وعرة ولا تنفرج شطآنه أودية واسعة إلا فى بعض المواقع فتشكل على هذا الشفير من شفيريه رحبات خصبة من الأرض بعضها منبسطة وبعضها متموج بين صخور «بوتكو»، وجبال أورافيتشا.

وعلى الضفة اليمنى من النهر يقع مركز المدينة وسوقها التركى.. ينوء جزء منه فى الطريق المؤدى إلى «سراييفو».

وثمة جسر غريب فريد أقيم على المجرى الأوسط والأعلى من نهر رودينا، هو العقدة اللازمة التى تربط البوسنة والصرب وقد بناه الوزير الأكبر محمد باشا سولوفيتش الذى ولد فى قرية صغيرة من قرى البوسنة قرب بلجراد حيث كان قد دخل فى دين الإسلام وأصبح ضابطا تركيا، فوزيرا متألقا صاحب حول وطول. ويعرج المؤلف على أعمال التخريب التى قام بها «راديرسلاف» الصربى فى محاولة منه لهد هذا الجسر وهدمه.

وتتوالى أحداث الكتاب عبر القرون متنوعة أشد التنوع، لكنها ترتبط دائما بجسر «رودينا» كوارث الطوفان والأوبئة، واحتلال الجيوش النمساوية المجرية للبوسنة سنة ١٨٧٨ – الحروب البلقانية – وقتل الأرشيدوق فرانس فريدناند سنة ١٩١٤، ونجم عن ذلك نشوب «الحرب العالمية الأولى».

ويحكى لنا المؤلف عن طريق المترجم النابه ما يكشف كما ألمحنا عن حفريات تاريخية لها مغزاها ومرامها. «فأمام الجسر، وعلى الضفة الوعرة منه ذات الحجارة الكلسية الرمادية حفرتان مدورتان، ثم حفرتان وهكذا دواليك ذهب بشأنها الأطفال (مذهيين)، وتفرقوا إلى (فئتين) (الأطفال الصربيون) يرونها ترجع إلى ماض قديم، موغل فى القدم وأنها آثار سارافيتش وماركو.. بينما يراها الأطفال المسلمون أنها لا يمكن أن تكون كذلك، وإنما هى آثار السيدة «عالية» التى كانت تمتطى صهوة جوادها الممجنح تجتاح به الأنهار وتفتح به الأخطار بوثبة واحدة.

ويردف المؤلف قائلا: ما من مرة استطاع أحد أن يزحزح أحدا عن رأيه، كما يقص لنا قصة «فاطمة بنت عبدان» ذات الهمة والجمال والدلال، وما يننى يتكلم عن العوامل النفسية، والعلاقات الاجتماعية التى تسيطر على سكان هذه البلاد فيحدثنا أنه فى إبان

الثورة الصربية كان الشعب قد حور أغنية من الأغاني الفولكلورية تبدأ بهذين البيتين :
«حين كان» على بك «فى ريعان شبابه كانت فتاه تحمل رايته».. فجعل الصرب الأغنية
تصح بأنه : «بينما كان» جورج «فى ريعان شبابه كانت فتاه تحمل رايته».. ويعلق المؤلف
قائلا : وكان ذلك فى غضون عام ١٩٤٥ ، غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وفى خلال ذلك الصراع الكبير الغريب الرهيب الذى يقوم منذ قرون خلت بلاد البوسنة
هذه بين عقيدتين كان الخصمان لا يسلب أحدهما الآخر نساء وخيلا وسلاحا فحسب بل
يسلبه كذلك أغاني وأشعارا !! .

ويذكر «أيفو أندريتش» كيف توغل النمساويون داخل البوسنة وجاسوا خلال ديارها
من أقصاها إلى أقصاها ، وكيف جمع «عثمان أفندى» الناس لمقاومة المحتل الدخيل.. وإن
«على خجا» الأقل عنفا كان يتألم أشد الألم من الشقاء الذى يقترب إذ كان يشعر بعذاب
وسخط لا يستطيع أن يشعر به إلا مسلم مؤمن يرى اقتراب قوة أجنبية لن يستطيع النظام
الإسلامى القديم أن يصمد لها مدة طويلة.

ويشير «أندريتش» إلى اعتقاد الأتراك منذ أزمنة بعيدة جدا إلى أن وليا من أولياء الله
الصالحين يدعى «الشيخ تركمان» استشهد فى سبيل الله ليبعد هؤلاء الذين جاءوا لاجتياز
نهر درينا.. وأنه إذا اتفق وزحف جيش من الجيوش على هذا المكان ، فإن الشيخ تركمان ،
يخرج من قبره ليدق عنقه ويوقف زحفه.

وهكذا نجح ايفو أندريتش فى تصوير قصة الصراع الذى يدور رحاه بين الصربيين
والمسلمين ، فى تلك البلاد البعيدة.

والسؤال الذى يثور : وماذا بعد هذه الإغارات المتتالية ، والمتوالية (لحلف الناتو) وبقيادة
الولايات المتحدة الأمريكية؟. هل تنجح فى محاولة وقف هذه الجريمة اللاأخلاقية ،
والمذبحة الدموية التى يقودها رئيس سفاح ، ضد شعب أعزل من السلاح؟.
هل ينجح (لحلف الناتو) فيما أراده.. وفيما أقدم عليه؟.

أم هو (الشيخ تركمان) سوف يهب من رقدته ، ويصحو من غفوته ، ليكسر شوكة
(سلوبيدان) ، وينقذ شعب «كوسوفو» الذى بات مهيبضا محصورا بين مطرقة الصرب ،
وسندان الغرب؟ !.

بابا مصر - والعرب -.. غزير العلم، وجه الأدب..

فوق قمم الجبال وفى السفوح وأسفل الوديان، وفى الأديرة الموحشة التى ران عليها الظلام وتغشاها الإظلام، ولم يظأها من قبل إنسان.. وفى جوف الصوامع المتناثرة على كثبان الرمال فى الفيفاء، وفى بطون البوادرى والقفار الصماء، وداخل «القليات» القابعة على الرمال الحصباء، عاش الرهبان المسيحيون الأوائل يتبتلون فى محاربيهم، بنسكهم وصيامهم وصلاتهم، للرب الخالق الواحد الديان.. رهبان الله.. الذين نزحوا إلى الصحارى مودعين الدنيا بالآخرة من أجل دينهم الذى فجر منهم معينا دافقا مع شظف عيشهم من ندرة الماء وضآلة الغذاء إلا بالنذر اليسير منهما بما يمسك رفقهم ويقيم أودهم فبطونهم طاوية وأديرتهم خاوية يمر عليهم الأصرمان وقد غاب عنهم الأبيضان هذه هى الحياة فى الصحراوات يوحى كل ما فيها بالموات، لا ينفكون ينظرون إلى القبور، ويفكرون فى البعث والنشور، وهوذا «ذو نواس» يحفر الأخاديد العميقة المملوءة بالنار يقذف فيها كل من يتمسك بالمسيحية.. ولم لا؟ ألم يلق الجبابرة أمثاله بالمسيحيين للأسود والنمور الجائعة فتلتهمهم أمام الجمع الصاخب لا لشيء سوى أنهم آمنوا بالعزیز الحكيم. هاتيك الصحارى التى امتزجت بالتاريخ منذ أمد بعيد دالة على الوجدان المسيحى منذ عصر الرومان. حيث دأب الرهبان المسيحيون فى العصور الأولى للمسيحية على استخدام المعابد الوثنية مثل معبد الدير البحرى، ومعبد الأقصر، للوقوف فيها على ذكر الرحمن.

لاقى المسيحيون فى سبيل إيمانهم بعقيدتهم الويل والثبور وعظائم الأمور، وذاقوا عذاب الهون على يد روما القديمة، وروما البيزنطية، حيث اعتلى دست الحكم الإمبراطور قسطنطين الكبير، الذى نقل عاصمة الإمبراطورية من مدينة روما القديمة إلى مدينة بيزنطة أو القسطنطينية. ارتقى الإمبراطور «ديقلديانوس» عرش الأمبراطورية البيزنطية، فشدد من قبضته على الكنيسة المصرية، وأنزل بها ألوانا من العذاب المهين، وأعمل قتلا فى المسيحيين المصريين، فقتل بسببه مئات عديدة من الألوف، وهو ما عرف فى التاريخ باسم «حقبة الشهداء»، وأقيم عمود السوارى بالإسكندرية تخليدا لذكرى أولئك الشهداء الذين جادوا بالدماء من أجل عقيدتهم التى عضوا عليها

بنوا جذهم، وجاء استشهدهم نقطة تحول فى تاريخ المسيحية فى مصر، يُؤرخ بها - فى التقويم القبطى حتى الآن.

دارت عجلة التاريخ وتسلم الإمبراطور «جوليان» مقاليد الأمور فى مصر، فانتهج نهج سلفه فى تعقب المسيحيين، وجاء من بعده «سيروس» - من قبل الإمبراطور الرومانى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١) ليكون نائبا له فى حكم مصر، وأحكم هو الآخر سيف الظلم على رقاب المسيحيين المتدينين، جمع بين السطلتين الدينية والدنيوية، فسلط نيران حقده - هو الآخر - عليهم، حتى اضطر البابا البطريرك «الأنبا بنيامين» هلعا من بطش ذلك الامبراطورى الوثنى، إلى أن يقر هاربا فى حلقة الليل ميمما وجهه شطر الصحراء، مفترشا الغبراء، وملتحفا بالسما، نازحا إلى الكهوف النائية، البعيدة عن الأعين، متنقلا من كهف إلى كهف، ومن مكان إلى مكان حتى يكون بمنأى عن بصر الإمبراطور الطاغية، وعن بصيرته. وإذ استبد اليأس بعسس «سيروس»، فى العثور على البابا الهارب أو اقتفاء أثره، ألقى «سيروس»، الذى لم يكن ليغضض نظريه عن البابا المؤمن، القبض على أهله وذويه، انتقاما منه، وقذف بهم فى غياهب الجب، ثم شوى لحومهم بالنار، وألقى بأجداثهم فى مياه الأنهار، بعثت المسيحية فى مصر فى آواخر القرن الثانى الميلادى على يد كل من (كلمنت Clement) و (أورجين Origen)، وتوغلت فى أرجائها، على يد القديس «مار مرقس الرسول» عام ٦٣ بعد الميلاد، الذى تربع على الكرسي البابوى المرقسى، وقبض عليه الملاحدون الوثنيون فى الإسكندرية وفصلوا رأسه عن جسده وأزعموا على أن يوقدوا فى الجسد النيران، فأخذوا يكومون الحطب تمهيدا لحرقه، وما كادوا يفعلون هذا حتى هبت فى وجوههم عاصفة هوجاء وهى عليهم المطر كالسيل الجارف فتركوا الجثة وولوا بوجوههم مدبرين، فدفنها المؤمنون فى الكنسية المسماة «بوكاليا» ودعوها بعد ذلك باسمه وقيل إن المسيح عليه السلام كان قد بشره قبل استشهاده «بنيله إكليل الشهادة» (تشدد يا بشيرى وليفرح قلبك)، وذلك بعد أن نشر الدين الجديد فى ربوع مصر. حيث كان أول المؤمنين بالمسيحية صانع أحذية مصريا يقيم - فى الثغر - يدعى «أنيانوس» حوّل بيته - بعد اعتناقه المسيحية - ليصبح أول كنيسة فى مصر وفى أفريقيا.

وجاء آخر الرهبان الذى تأسى بمن سبقوه من أرباب الكنسية المصرية، القديس الراحل «الأنبا شنودة الثالث» الذى كان امتدادا للرهبنة التوحيدية «للأنبا أنطونيوس»، ورهبنة

الشركة «الرهبنة الجماعية» (للقدّيس باخوميوس). حرص الأب شنودة، منذ رسامته في ١٤ نوفمبر ١٩٧١ على بث روح المحبة والوئام بين مسيحي مصرى ومسلميها بجهد مشكور وغير منكور وانفتحت الكنيسة المصرية في عهده على العالم شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا. ولفظ «البابا» يعنى أبا للأبأء.. وهو نوع من التقدير والتبجيل، جمع الأب شنودة بين الثقافة الدينية، والمعرفة الفلسفية، متبحرا في علوم الدنيا، والآخرة. فأصبح عقلا للكنيسة، قلبا للدين.. وأبا لجميع المصريين.

كان يحرص دائما على النعرة المصرية والوحدة الوطنية، لم تغل شبابه أو تلن قناته، في سبيل هدفه الأسمى المنشود.

كان إبان دراسته، الأول دائما، سواء في المدرسة أو الجامعة، أول بابا يمد جسور الحوار مع بابا روما والفاتيكان رأس الكنيسة الكاثوليكية بالعالم، بعد توقف دام لعقود عديدة. وأول بابا يقرض الشعر ويستظهر آلاف الأبيات، يستدعيها من ذاكرته، تنساب من قريحته على لسانه في برهة وجيزة، مستشهدا بالكثير منها، حسبما تستدعي الأمور. سبر أغوار اللغة العربية وهام بها عشقا، وبذ أقرانه فيها، فأبدع فيها نثرا وشعرا، وكان الأول دائما في مراحل حياته المختلفة، وهو أول بابا يتخرج في كلية ضباط الاحتياط برتبة ملازم، وخدم بالقوات المسلحة. وأول بابا يحصل على عضوية نقابة الصحفيين ويرأس تحرير «مجلة مدارس الأحد» وهو في مقتبل العمر، وأول بابا يدخل سفارة السعودية، ومشیخة الأزهر، ودار الإفتاء. وسار على نهج «قداسة البابا كيرلس السادس» في الدفاع عن القضية الفلسطينية، ورفض زيارة بيت المقدس إلا مع المسلمين وبعد تحريرها.

جمع في شخصيته - في ثوب واحد - بين طالب العلم، والمعلم الزاهد. «ولد يتيما ليس له من أب يعزیه أو خال یواسیه» فأصبح أبا للجميع: يقول هو عن نفسه فيما سمى في الغرب بمصطلح الذكريات «Recollections / Reminiscence»: «كنت طفلا وحيدا.. ماتت أمه دون أن يرضع منها، وكانت الحاجة «زينب» - جارتنا - أمی بعد أمی، فأصبحت شقیقا لابنها - زهري في الرضاعة. كنا نأكل ونتمشى سويا، نصطاد السمك ونجلس على شاطئ النيل معا ونأكل العیش والبلح الأخضر، حيث كنا روحا واحدا تسرى في جسدینا.. وكنت أسیر من منزلی إلى المدرسة، حيث كانت تبعد كثيرا عن البيت الذی أقطن فيه، وكنت دائما أفكر وأقول لنفسی، متى ينتهی هذا الطریق الطویل؟ «ولم ينته هذا الطریق من حیاته عبر سنی عمره».

كان الأب شنودة، يعكف دوماً على كتب الأدب والعلم، فاغترف منها ما غذى به قلبه، وأضاء به عقله وفكره حتى انتهى به المطاف إلى أن يحصل على أربع درجات في اللاهوت، وسبع درجات في الدكتوراه الفخرية، من جامعات العالم الشهيرة. استوعب ما جاء بالكتاب المقدس من آيات الله، وكذلك ما جاء في التوراة والقرآن، فكانت رسالته كلها محبة في الله، فنقطة الانطلاق الأولى في المسيحية هي المحبة.. فإله ذاته محبة (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٨)، والله في المسيحية هو الله المحب، ويسمى هذا الحب (آغابي - Agape) تمييزاً عن حب الإيروس (EROS).. حب الملذات. تأمل معنى قوله، في كتابه (ما هو الخين): «أحب من يكرهك، واستمر على حبك له حتى يحبك، ولا تقسو على أحد» ويقول: «إذا أعطاك الله موهبة ابتهل إلى الله أن يعطيك معها اتضاعاً.. لئلا تقع بسببها في الكبرياء وتهلك.. فالاتضاع هو الأساس، الذي تبني عليه جميع الفضائل.. وكل شيء تعطيه ستجده في الأبدية.. محب المديح يخسر محبة الناس.. كل الأشياء تعمل معاً للذين يحبون الرب.. ليتنا نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الناس، بل قبل أن يحاسبنا الله».

بعد أن أصدر الرئيس «السادات» قراره رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ بإلغاء قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بشأن تعيين الأنبا شنودة بابا للإسكندرية وبطريركا للكراسة المرقسية، شد رحاله إلى الدير الأثير لديه (دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون) والذي أنفق سنين عمره عليه، وعلق على باب الدير: «هنا المقر البابوى» وإذ سأله أحد الصحفيين ما شعورك وأنت هنا قال: «أشعر بأننى مثل إنسان مسجون فى الجنة».. وهل هناك أحد يغضب إذا سجن فى الجنة؟!، وقال هو عن هذه الفترة التى قضّاها هناك: «انتهيت من تأليف ستة عشر كتاباً جديداً»، ثم يردف قائلاً: «وطبعاً الذى يؤلف كتباً جديدة، لابد أن يكون مرتاح النفس، وروحه المعنوية عالية».

كما أجاد فى النثر، قرض الشعر، وبزغ فيه، بعد أن حفظ منه آلاف الأبيات، ومنها قصائد (شوقى، والجارم، والعقاد). تأملوا معنى أبياتاً من شعره الصوفى الجميل:

أهدم فى المخازن ثم أبنى وأجمع قبضتى وأضم بترى
وأغرس لى فراديسا كبارا بأثمار وأطيّار وزهر
وأقطف وردة من كل غصن وأطرب مسمعى من كل طير

يحكى هو عن نفسه فى هذا الخصوص، بما سمعناه منه «فى التلفاز» أنه إذا خلد إلى النوم جاءه وحى الشعر، فيقوم من مرقدته ويمسك قلمه ويدون ما أوحى به إليه، ومن ثم كان ينام ويضع على وسادته قلما وورقة يخط بالمداد على القرطاس، ما يخطر على باله من شعر - فى هنيهة - دون أن ينهض من مهجعه.

وقر الكبير، وعطف على الصغير، ولجأ إلى النكتة - التى ارتآها الفيلسوف «هنرى برجسون» فى كتابه «سيكولوجية الفكاهة والضحك» إنها قريحة الأذكيا، تجود بها على من يستمع لها، كما أنها هى والنسك المصرى كما يرى العقاد «إخوان توأم أو صنوان يتجاوران»، فكان البابا الراحل بدعاباته يدخل البهجة على نفوس مستمعيه بابتسامة لا تفارق وجهه، وبروح مرحة نزع بها فتيل الكثير من الأزمات.

حضر رجل أعمال أردنيا إلى البابا شنودة ليعرض عليه مشروعا ضخما كما وصفه له، ولكنه يحتاج إلى دعم الكنيسة، وكان المشروع ينحصر فى تعبئة مياه نهر الأردن، وهو النهر الذى تعتمد فيه السيد المسيح، فى زجاجات ليتم بيعها فى كنائس مصر للبركة.. فكر البابا قليلا ثم رد على رجل الأعمال قائلا: «المسيح تعتمد فى نهر الأردن، ولكنه عندما جاء إلى مصر شرب من مياه النيل سنوات ثلاث كاملة، فما رأيك لو قمنا بتعبئة مياه النيل فى زجاجات، وبعناها فى الأردن للبركة؟» السؤال ألجم رجل الأعمال الأردنى.

ذهب إليه أحد الأخوة المسيحيين سائلا: «عمرى خمسون عاما.. فمن أتزوج؟» فقال له البابا وابتسامته المشرقة على وجهه: «خذ أم ٤٤؟»!

وحين سقط القلم الخاص به على الأرض بدير الأنبا بيشوى التقطه أحد الرهبان وطلب منه السماح له بالاحتفاظ بهذا القلم فضحك البابا قائلا له: «تريد أن تكتب به وتقول بعدها بقلم البابا شنودة؟»! وضع الجميع بالضحك. طُلب إليه أثناء زيارته للأزهر الشريف أن يلقي كلمة فقال لهم: «أنا فى الأزهر مقدش أظهر؟!»، وارتسمت البسمات على وجوه الحاضرين، روح وثابة، وسرعة بديهة جذابة. أسلوبه يجمع بين الهدوء والاعتدال، كتب مقالا قيما عن «المسيحية فى القرآن» أضحى محل إعجاب الكافة. زار المساجد كما كان يزور الكنائس حتى إن «مفتى سوريا» قد حياه خلال زيارته لسوريا بقولته: «أنت لست بابا المصريين، بل أنت بابا العرب» - بعد محاضرة قيمة ألقاها على الحضر  فى أحد المساجد، كان رجلا فى أمة، وأمة فى رجل راهبا عالما أديبا شاعرا يتأجج فى قلبه

حب مصر والمصريين، انظر إلى قولته: «إن أمن الأقباط الكامل هو فى اختلاطهم بإخوانهم المسلمين فى كل بيت فى المستشفى، فى الشارع، فى المدرسة، وإنك لا تستطيع أن تفرق وأنت تسير فى الطريق من هو المسلم، ومن هو المسيحى؟».

يذكر الفيلسوف «برتراندراسل» فى كتابه القيم «تاريخ الفلسفة الغربية»: (إن أربعة رجال يطلق عليهم أساتذة الكنسية الغربية هم أمبروز، وجيروم، وأغسطين، والبابا جريجورى الأعظم).. يمكننا - نحن - كذلك أن نقول: «إن البابا شنودة الثالث هو أول أساتذة الكنسية المصرية والشرقية بين بطاركها جميعا» فالدنيا بأسرها قاصيها ودانيها، لن تنسى أبدا - لهذا القديس - أنه كان لأرض مصر سندها وحاميها من فتنة اشتعل أوارها وشبت نيرانها على مدى سنوات طوال وكادت أن تأتى على اليابس والأخضر لولا حصافته وحكمته، شد إليه الرحال وفود من أنحاء المسكونة لتنهل من مناهل فكره تترى يوما بعد يوم يتككب كل وفد عليه لتصفى إليه فى حديث الأربعاء حيث كان يقطر فكرا وأدباً وعطرا، وجل حديثه إليهم، عن انتمائه لوطنه وأبوته للمصريين أجمعين، وحين زار الرئيس الأمريكى «كارتر» مصر توجه إليه فى الكاتدرائية بالعباسية ورجاه أن يكون ضيفه فى البيت الأبيض الأمريكى، ولبى البابا دعوته، ومما قاله له خلال لقائه به: إن الأسطورة اليهودية القائلة «إن اليهود هم شعب الله المختار غير صحيحة، وإلا فأنا وأنت من غير هذا الشعب؟!».

ولن ينسى كاتب هذه السطور حسن استقباله له بمستشفى «السلام بالمهندسين» حيث كان بصحبته - آنذاك - الأب متى المسكين وهو يودعه بأدبه الجم داعيا له قائلا: «رينا معاك».

انتقلت روح هذا الراهب الناسك، البابا القديس، إلى بارثها، لا جَرم، إذن - بكته مصر، واعتمل الأسى فى عقلها، ومس لواعج قلبها - مسلمين ومسيحيين - على السواء، وهى تودعه إلى مثواه، بالدمع السخين، وكذلك كان الملايين من أنحاء المعمورة من شتى البقاع والأصقاع.. فى حزن مقيم للذى لم يكن لوطنه يوما بالخصيم.. بل كان له نعم الخديم.

.. رؤية قبطية للفتح الإسلامى ..

هذا الكتاب - لعله من المفيد أن أشير إليه لأنه يتحدث عن أحداث الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى وتبدو أهميته إلى أن مؤلفه «يوحنا النقيوسى» قد عاصر هذا الفتح ودونه فى مخطوطة له حيث إنه كان شاهد عيان على الوقائع التى حدثت إبان تلك الفترة.

وقد أشار المؤرخ «بتلر» فى كتابه عن الفتح العربى لمصر صراحة إلى هذه المخطوطة قائلاً: «والحق إنه لم يكن فى الإمكان أن يُكتب هذا التاريخ الخاص بتلك الحقبة لولا أن البعثة البريطانية فى بلاد الحبشة قد عثرت عليها، وهى خاصة برؤية قبطية للفتح الإسلامى» قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور «عمر صابر عبد الجليل».

فمنذ فجر التاريخ ومنطقة شبه الجزيرة العربية منطقة طاردة للسكان وليس جاذبة لهم، وذلك لطبيعتها الجغرافية حيث يغلب على معظم مناطقها الجفاف وصعوبة العيش مادفع أهلها إلى معرفة المناطق الخصيبة المجاورة لبلادهم حتى يتسنى لهم الترحال إليها والعيش فيها.

ومن هذه المناطق الخصيبة كانت مصر حتى إن القلقشندى وصفها بقوله: وكذلك ترى الناس يرحلون إليها وفوداً من كل ناحية وقل أن يخرج من كائن دخلها أو يرحل عنها من وجلها مع ما اشتملت عليه من حسن النظر وبهجة الرونق.

فهناك شخصيات بارزة منذ أن تنفس التاريخ نزلت من شبه الجزيرة العربية إلى مصر منها نبي الله إبراهيم عليه السلام وبرفقته سارة زوجته وقصته مع فرعون مصر الذى أهدى لها هاجر المصرية لتكون وصيفة لها ثم زواج سيدنا إبراهيم من هاجر المصرية.

وكذلك كان الأمر مع يوسف عليه السلام الذى نزل سلطاناً عليها. كما كان الحال مع آل يعقوب عليه السلام، كما ورد فى سفر التكوين أن يوسف دعا أباه للسكنى «فى أرض جيوش» وهى مقاطعة مصرية تقع شرق الدلتا.

كما ذكر «هيرودت» الذى زار مصر حوالى ٤٤٨ - ٤٤٥ قبل الميلاد أن الأقسام الشرقية لمصر وخاصة تلك المتصلة بطور سيناء كانت مأهولة بقبائل عربية كانت تسكن غزة حيث كان سكان غزة من العرب من أمد طويل قبل الميلاد.

ومع مرحلة الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين كانت مصر من أوائل البلاد التي العرب حتى أن المصادر العربية القديمة تشير إلى أن عمرو بن العاص قد سبق له أن زار الإسكندرية قبل الإسلام.

وقد عرف العرب الصعيد الأعلى مثلما عرفوا مصر السفلى الأمر الذي أدى إلى وجود جاليات عديدة عربية اندمجت مع المصريين وكانت نتيجة هذا وجود آثار إسلامية وثقافية مما أثر في سرعة تعريب مصر.

وتشير المصادر أن الرسالة التي بعث بها الرسول عليه السلام إلى أشهر زعماء العالم في ذلك الوقت «هرقل» ملك الروم، «كسر» ملك الفرس، «المقوقس» عظيم القبط، «النجاشي» ملك الحبشة، يدعوهم فيها إلى الإسلام كانت باللغة العربية مما يدل على أن العربية لم تكن مجهولة في ذلك الوقت حتى إن المقوقس «قيرس» قد رد عليها باللغة العربية، جاء فيها «ل محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط .. سلام. أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعث إليك بجاريتن لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام».

وقد ذكر «يوحنا النقيوسي»: أن ظلم هرقل الملك وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» هلك الروم الذين توسدوا حكم مصر.. وسادوا مسلمون مصر حيث لم يسلك عمرو بن العاص شيئا من مال الكنائس ولم يرتكب أمرا ما سلبا أو نهبا وحافظ على الكنائس طوال الأيام.

وعندما استولى عمرو بن العاص على حصن بابليون كتب بيده عهدا للقبط بحماية كنيستهم ولعن كل من يجزؤ من المسلمين على إخراجهم منها.

وإذ أخبر رجل من القبط يدعى «سانتيوس» عمرا بن العاص بأمر بنيامين بطريك الأقباط الذي فر من مصر خوفا من الاضطهاد مختفيا في دير صغير في البرية الصعيد كتب عمرو إلى عماله في مصر كتابا قال فيه: الموضع الذي يكون فيه بنيامين بطريك النصارى القبط له العهد والأمان والسلام من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدير حال وسياسة طائفتهم. فلم سمع القديس «بنيامين» هذا سعد وعاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم، وقال: لقد تغير حال القبط بعد دخول العرب «فأجد السيد المسيح» إذ خلصني من اضطهاد المخالفين ونجاني من التنين العظيم المطارد لي ووهبني أن أشاهد أولادي.

وألقى «باسيلوس» أسقف دير مقاريوس خطبة بالغة رد عليها بنيامين بقوله : «لقد رجعت إلى الأسكندرية فوجدت فيها زمن النجاة، والطمأنينة اللتين كنت أنشرهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون».

تاريخ.. له تأريخ؟!



أحمد زويل.. العبقرى المصرى..!

تنداح دائرة الكشوف العلمية يوما بعد يوم وتترى الأبحاث الكيميائية عاما بعد عام لتثبت مقولة «باراسيلوسوس» التى قالها منذ حوالى قرنين من الزمان إن فن علم الكيمياء هو «فن التقدم من غير النقى إلى النقى» فقد أتى على الإنسان حين من الدهر كانت جل المنتجات الطبيعية تقل فاعليتها جزئيا لاختلاط الحابل بالنابل فيها حيث تعلق بها النفايات التى لا يستطيع غير عالم الكيمياء أن يغربلها وينقيها إما بالتقطير أو السعار أو النار.

وكان «باراسيلوسوس» يرى أن العمليات الحيوية مثل «الهضم» ماهى فى حقيقة أمرها إلا عبارة عن عمليات كيميائية أى مواد تتحول رويدا رويدا بواسطة التطور الطبيعى إلى أخرى ومن هنا تفتق ذهنه عن العديد من الكتب العلمية الكيميائية «الصيدلانية» تحدث فيها مليا عن الكيمياء الطبيعية.

وقبيل ذلك بأجيال طويلة كان علم الكيمياء قد استطالت قامته وعلت هامته ووقف شامخا على قدمين راسختين عن طريق العلماء المسلمين الذين كانوا قد ضربوا بسهم وافر يكشف عن نبوغهم وألعتهم بل وعبقريتهم التى أحدثت التجديد لهذا العلم الوليد الذى نما على أيديهم وذكا عوده على عيونهم الأمر الذى دعا علماء الغرب إلى أن يسجلوا ذلك فى كتبهم ويثبتوا هذا فى دراساتهم ومنها على سبيل المثال ما ذكره «مكسيك رودنسون» فى كتابه «جاذبية الإسلام» من أنه سوف ينسخ ويطبّع ويشرح ويدرس ولقرون «ابن رشد» و«الغزالي» و«ابن سينا» بالنسبة للفلسفة وابن سينا والرازى Rhazy مع الطبيب العربى المسيحى «ابن مسكويه» المسمى «Mesue»، للطب - ناهيك - عن الجبر والكيمياء - كما ذكر «فولتير» - ويتوقف التاريخ عند معلم الكيمياء ومؤسسها وأبيها الذى تولاه بالرعاية والعناية والبحث والدرس والفحص «جابر بن حيان» الذى ظلت تواليقه هى الثابت والمرجع لهذا العلم ردحا طويلا من الزمن استمر حتى نهاية القرن السابع عشر.. ولما تزل مؤثلا ومرجعا لكل باحث فى علم الكيمياء.

وعندما أراد «ألفريد برنارد نوبل» الرجل الرقيق الحاشية كما وصفه عارفوه والذى لم ينجح فى أن يكون أديبا كما قال عنه مؤرخوه - مع أن جائزة نوبل - المسماة باسمه - هى

وسام على صدر أى عالم أو أديب. فأتجه إلى ميدان العلم واخترع «الديناميت».. ولما رأى ما رأى من أثار اختراعه الذى تطايرت الأجساد بسببه، وتناثرت العظام فى الهواء بفعله رأى أن يكفر عن خطئه وخطيئته من جراء اختراعه لهذا البارود الذى أسسى شيطاننا بين الناس يحصد الأرواح، ويمم وجهه بعد ثراء عريض هبط عليه فى «سان ديموه» بباريس قبل وفاته بعام واحد فى ديسمبر ١٨٩٦ غير حافل بنصيب «الآحاد»، إذ جعل كل همه فى نصيب «الجماعات»، فأوقف ريع أمواله الطائلة كما ذكر فى موسوعة «المعرفة» على هؤلاء الذين يسدون خدمات جليلة للإنسانية وهى الطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا أو الطب والأدب أو السلام، سواء أكان هؤلاء الرواد من الدول الإسكندنافية أم من الدول الأخرى.. وإن كان بنك السويد قد قرر فى عام ١٩٦٨ أن يمنح جائزة سنوية فى العلوم الاقتصادية أحياء لذكرى نوبل وهى تعادل نفس جوائز نوبل الأولى وتطبق عليها شروطها.. وكان أول من نال جائزة نوبل فى الكيمياء كما ورد فى الموسوعة السالف ذكرها هو Jacobs Van't Hokff «جاكوب فان هوكف» عام ١٩٠١ من هولندا.

وكان آخر من نال هذه الجائزة العالمية فى ذات العلم هو العبقري المصرى الدكتور أحمد زويل الذى أضحى باكتشافه «الفيمتو ثانية» أشهر علماء الكيمياء فى القرن العشرين فهو كما وصفه «رودلف ماركس» العالم الأمريكى الحائز على الجائزة نفسها فى علم الكيمياء عام ١٩٩٢ قد أستطاع أن يغير نظرية العلماء للديناميكية الكيميائية فقد جاءت دراساته عن التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية التى تحدث فى زمن «الفيمتو ثانية» هى أقصى انجاز لجهود البشرية فى أكثر من قرن من الزمان.

وقالت الجمعية السويدية فى أسباب منحة للجائزة : إن فوز «زويل» بها يعنى أننا قد وصلنا إلى نهاية الطريق حيث لا توجد تفاعلات كيميائية يمكن أن تحدث أسرع من زمن «الفيمتو ثانية» حيث أصبح من المستطاع للمرة الأولى فى التاريخ أن نرى بطريق الحركة البطيئة ماذا يحدث للذرات والجزيئات.

ويقول هو نفسه أن ثمة انقلاباً سوف يحدث فى مجال الطب والكيمياء مثبتاً بهذا ما سبق أن تنبأ به «بارسيلوسوس»، وسوف تقل الأمراض التى أصبح من الممكن التحكم فيها - بعد قليل فى «أعشار الجزئ من الثانية»!.

وهكذا أثبت العالم المصرى بكشفه المثير هذا كذب ما ذهب إليه «هيجل» الفيلسوف الألمانى الذى فلسف التاريخ الإنسانى ودعته نعمة الألمانى إلى أن يقول ذات يوم «إن أفريقيا

السوداء تمثل القلاقل والاضطرابات وإن أوربا هي التي توفق بين جمود أفريقيا وقلاقل
أسيا».

فهاهوذا «زويل» العالم المصرى.. «الأفريقى» يحدث أنقلابا علميا فى عالم الكيمياء
أوقف به الزمن مسجلا اسمه واسم موطنه مصر واسم قارته أفريقيا بأحرف من نور بسبق
علمى وخلود أبدي ومجد تعنو له الرؤوس.

ثم ماذا؟ ألا يؤكد ما وصل إليه العالم المصرى قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى ما يُنعم به
على عباده من رؤى وكشوفات عبرت عنها الآية الكريمة ﴿سَرُّهُمْ إِنِّي فِي الْأَفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت - الآية ٥٣].



أخطاء تتحدى الصواب..؟!

إذا كان الخطأ الشائع خيرا من الصواب المهجور - كما يقال - فثمة أخطاء في اعتقادي لا يصح أن ندعها تحتل مكانتها في العقول طاردة من أمامها الصواب. فيصبح من المحال تصحيح الخطأ بعد أن وقر في الأذهان.

وفيما يلي بعض ما يتردى فيه الكثيرون من أخطاء لغوية أرجو لو التفتت إليها الأنظار لننقى لغتنا العربية من الشوائب التي علقت بها.. وهاك هي :

١ - «يخيل لي» وصحتها «يخيل إلي» وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِمْ سَعِيرِهِمْ أَتَاهَا نَتْنٌ﴾ [سورة طه - الآية ٦٦].

٢ - «إمكانيات» والصواب «إمكانات» وقد سبق للأستاذ العقاد أن نبه إلى خطأ هذه الكلمة وصوابها في يومياته.

٣ - «على بكرة أبيهم» والصواب «عن بكرة أبيهم».

٤ - استخدام كلمة «أحقاد» على إنها جمع «حفيد» والصحيح «حفدة».

٥ - استخدام كلمة «خذلان» للدلالة على الخزي والعار وصحتها «خزيان».

٦ - استخدام كلمة «مشغوف» بمعنى محب والصواب «مشغوف بكذا».

٧ - استخدام صفة «طموحة» المرأة والصحيح أن نقول امرأة أو فتاة «طموح» بدون تأنيث وكذلك الحال بالنسبة لكلمة إنسانة.

٨ - استعمال كلمة «رتيب» وصحتها «راتب».

٩ - جمع كلمة «نية» بـ «نوايا» والصواب «نيات».

١٠ - وأخيرا - وليس - أخرا ضم الميم في كلمة «مشين» والصواب فتحها على وزن

«معيب» وكذلك الحال في كسر الواو في كلمة «تدوي» والصحيح تشديدها.

وهلم جرا بالنسبة لأخطاء عديدة تتردد على الألسن دون مراعاة للخطأ فيها ووجوب

إعمال الصواب.

وانني أقترح على مجمع اللغة العربية حامى الحمى للغة القرآن الكريم أن يوثق الأخطاء

الدارجة وتصويبها في كتيب يوزع على طلبة المدارس والجامعات حتى يتعود طالب العلم

على استعمال اللغة العربية بالصحيح منها.

أخطر يوم فى تاريخ القاهرة..!؟

الذى لا مريية فيه أن نهر النيل وحده ليس بمكنته أن يصنع حضارة مصر كنهر مهما كانت عظمتة، ومن ثم جاءت مقولة المؤرخ اليونانى «هيرودت»: «إن مصر هبة النيل» وقد أخرجها المؤرخون المحدثون من حظيرة العلم الجغرافى وكذلك التاريخى إلى غير رجعة، فقد كان هذا النهر شرسا جامحا فجاءت يد المصرى فهذبت من ضراوته وبنت حضارته.. حضارة سامقة خلدها التاريخ، وأصبحت العبارة التى يجب أن تقال: «إن مصر هبة المصريين» وليست هبة النيل، و من قرأ السفر الرائع «نهر النيل» الذى دبجته يراعة «إميل لودفيج» يعرف ذلك، فلم يكن النهر وحده هو صانع تاريخ مصر وإنما كانت البيئة المتكاملة لمصر من صحراء ورياح شمالية وشمالية غربية متكاملة فى اتجاه سريان النهر من الجنوب ناهيك عن عبقرية شعبها هى التى ضربت بسهم وافر فى بنيان تلك الحضارة الضاربة فى القدم.

وفى غضون القرن التاسع عشر ولدت إمبراطوريات ثلاث البريطانية، والفرنسية، والنمساوية، وكانت أولاها من الطموح والجموح حتى إنها بسطت يدها على بلدان لا تعد ولا تحصى ومن ثم كانت هى وحدها: «الإمبراطورية التى لا تغيب الشمس عن أراضيها» وأبتليت مصر باحتلالها لها، بيد أن مصر لم تكل ولم تمل من خلال كفاح أبنائها شبابا وشيوخا، ونساء وأطفالا فقد تصدوا لجيروت هذه الإمبراطورية التى أوغلت فى احتلالها وشذت فى عدوانها، حتى أذن الله بنفضال شعبها - فى إجلال الغاصب المحتل الغشوم عن أرضها حتى أجبرته - بعد ربح طويل من الزمن - على أن يحمل عصاه على كتفه ويرحل.

ومن بطون التاريخ نسوق هذا الكتاب الذى خطه أحد غلاة هذا المستعمر البغيض يشهد فيه - وإن كانت مصر فى غير حاجة إلى شهادة أحد فتاريخها يشهد لها - لمصر. أرسل رسل باشا الحاكم العسكرى لمدينة القاهرة كتابا إلى أمه قال فيه: أخشى أن يكون هذا اليوم أخطر يوم فى تاريخ القاهرة، فالمدينة مهددة بأن تسيل الدماء فى شوارعها أنهارا. وأعترف الجنرال (النبى) بأن ساسة إنجلترا قد أخطأوا لما منعوا (سعدا) وصحبه

من الذهاب إلى لندن. لقد ظل البوليس حتى ظهر أمس يسيطر على الموقف بعض الشيء إلى أن تعقدت الأمور فجأة عند المغرب، إذ اشتبكت جماعة من الجنود الإنكليز والأستراليين في معركة مع جنود الجيش المصري فقتل اثنان من رجال البوليس وأصيب واحد من جنود المطافئ بجراح خطيرة، ولم تمض ساعة وبعض الساعة حتى كانت الاضطرابات تشمل المدينة بأسرها، إذ فقد الأستراليون صوابهم فأخذوا يطلقون النار على المصريين، فقتلوا عشرة منهم.

وما كادت تشرق شمس اليوم حتى كان عشرات الألوف من المصريين يتدفقون على الميادين والشوارع، وأخذوا في إقامة المتاريس وقطع الخطوط التليفونية، ولم تُستخدم القوات البريطانية - حتى كتابة هذه السطور - السلاح معهم، وإن كان لا بد من استخدامها؟!، أما رجال البوليس فلا أمل البتة في مقدرتهم على تشتيت تلك الجماهير.

وفي يوم الأحد ١٣ أبريل أكمل رسل باشا خطابه إلى أمه وهو يردف قائلا:

«منذ أن بدأت في كتابة هذا الخطاب يوم الأربعاء الماضي، مرت بنا أيام لم نذق فيها طعم النوم، ولقد استطاع الجنود البريطانيون السيطرة على الموقف، ولكن بعد أن قتل عدد من الطلبة وعامة الشعب».

والواقع أن سبب تلك المتاعب يرجع إلى الأوروبيين من الطبقات الدنيا لأنهم يركبون رؤوسهم ويطلقون النار من النوافذ والشرفات على المتظاهرين، ويترتب على ذلك أن يعمد المتظاهرون إلى إشعال النيران في المنازل وحرق سكانها.

وقد نجح المتظاهرون في ذبح عدد من المدنيين الإنجليز والعسكريين الهنود بعد أن سدوا عليهم الطريق من الناحيتين، وأعتقل المتظاهرون مصرياً يعمل في قلم البوليس السياسى ثم قتلوه.

أما يوم الخميس ١٧ أبريل فكان يوماً حالك السواد، إذ سدت الجماهير عدة شوارع في المدينة، بينما جلس كبار العسكريين يبحثون عن أنجح الوسائل لتهدئة الموقف دون إراقة دماء، وعهد إلى بأن أنظم جنازة رجلى البوليس اللذين قتل أمس، وفي الصباح وجدت الأمور تسير إلى أسوأ.. إذ حاصرت جماهير الشعب مستشفى الأوقاف القريب من عابدين حيث ترقد الجثتان، فإنهم مصممون على أخذ الجثتين لدفعهما، وإنهم بدأوا فعلاً في مهاجمة المستشفى، ويردف الجنرال رسل في خطابه المذكور قائلاً: وقررت أن أتصل

بالعيادة العسكرية العليا أطلب عونها ولكن جرس التليفون دق وتحديث (الضابط) ضابط بوليس إلى فقال: إن عددا من الجنود وصلوا إلى المستشفى وقد أثار وجودهم ثائرة الشعب، فإن لم ينسحب الجنود في الحال فستقع الكارثة.

ولم أر بدا والحالة كذلك من أن أغامر سيارتي وأذهب إلى المستشفى سيروا على الأقدام، وبدأت أتسلى سدا أقيم من جذوع الأشجار.. وأخذت أحاول تهدئة الثائرين، ولكن كان من العبث سماع تلك الجموع الصاخبة.

وأخيرا استقر رأيي فاتصلت بالقيادة العليا وأبلغتهم أنى سأتولى بنفسى الإشراف على جنازة رجلى البوليس وحذرتهم من إرسال جندى واحد وخرجت إلى الميدان فوجدت عدة آلاف من الناس كلهم مسلحون بالسكاكين والفنوس وأسيخ الحديد وجذوع الشجار.. ولكن لم أر بنادق ولا مسدسات.

وبعد دقائق وصلت فرقة من رجال البوليس ورجال المطافئ للاشتراك فى الجنازة، ووقفت فى الميادين بين الجماهير الصاخبة وأبلغتهم بأن الاحتفال بتشييع الجنازة يبدأ الآن وأنى سأسير معهم وأحافظ عليهم من الجنود الإنجليز.

ويكمل رسل باشا حديثه قائلا:

ومما يدعو إلى الدهشة (والإعجاب) أيضا أن تلك الجماهير التى كانت منذ لحظات صاخبة ثائرة أخذت تسير فى نظام عسكرى رائع وهدوء تام، ولست أدرى ماذا فعلوا بأسلحتهم.. وما إن فرغت الجنازة حتى انقلبت إلى مظاهرة سياسية طافت بالسفارات والمقوضات الأجنبية.

يوم من أيام القاهرة إبان ثورة ١٩١٩ التى كتب عنها المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يقول: «إنها من مفاخر تاريخ مصر القومى، وإن ألمع صفحة بها هى صفحة أولئك الأبطال المغمورين، والشهداء المجهولين، والمعتقلين الذين قضوا السنين فى غيابات السجون»، وكانوا وراء استقلال مصر ونيلها حريتها.

الإسراف.. فى حياتنا..!؟

أسرفت مصر فدفعت حريتها ثمنا لذلك الإسراف، وأسرفت الصين فغربت شمس الحرية عن أرضها وتلبدت سماؤها بغيوم الإستعمار الذى أوقع إياها فى حبال جيش من الأوبئة والأمراض - جرار، وحاربت (روسيا) الإسراف فانتقلت من مجموعة من ذوى الثياب المهلهة - كما عبر - لينين عام ١٩٢٤ إلى دولة ناجحة نحو غزو الفضاء. وحاربت (ألمانيا) الاسراف فهتف أبناؤها: «ألمانيا لنا اليوم» وغدا العالم كله!.

فلا شئ يستذل الأفراد والأمم مثلما يفعل الإسراف ولا شئ يهدد الكرامة ويورث الندم مثلما يورث الإسراف.. فهنا تدوى الصيحة - لقد أسرفت - وهاهوذا الإسراف يضيعنى؟!!

لذلك كان الإسراف مرضا يجب على الإنسان أن يحاربه محاربته للأمراض المستعصية المعروفة بمضاء سهمها.. بل يجب على المرء أن يعده وبالا، وداء.. لا دواء له، وليس منه شفاء..

ومخطئ من يظن أن الإسراف - رغبة - مقترنة بالثروة والغنى فقد يسرف المرء وهو «غنى» لديه من الأموال «ما يزيد» عن حاجته، وقد «يسرف» المرء وهو «معوز» إلى المال، مفتقر إلى أقل القليل منه، وقد تسرف الأمة وهى ثرية غنية تكتظ خزانتها بأكداس مكدسة منه فى الحال وفى المآل، وقد تسرف الأمة وهى فقيرة، ليس لديها ما يكفيها أو يمسك رمقها ويهيئ لها أسباب الحياة.

مفارقة عجيبة؟.. وعجيبها يزول بصحة الأدلة والبراهين، فأمريكا تسرف وفى حصيلتها ما يحفرها لهذا الإسراف، فهاهى ذى المعونة الأمريكية تبلغ فى إحدى السنوات القريبة مليارات الدولارات أنفقت على دول مختلفة لتعزز بها هاتيك الدول دفاعاتها فى مجابهة العدوان الشيوعى (المحتمل) !، أيام كان المد الشيوعى قد بلغ ذراه، ووصل إلى منتهاه. وقد جاءت الأنباء تخبرنا ذات يوم بعيد قريب أن المزارعين فى الولايات الأمريكية المتحدة قد أسرفوا فى زراعة القمح إلى الحد الذى دعا الحكومة لأن تعلن عن مكافأة لكل من يمتنع عن زراعة ذلك النبات الذى أصبح فائضه يزيد كثيرا على حاجة الشعب الأمريكى.

ومصر كانت تسرف وهي في أمس الحاجة إلى المال، وتلجأ إلى غيرها طالبة النقود، والأموال!، ونستند في كلامنا إلى فقرة جاءت في خطاب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قال فيها: إن الحكومة المصرية قد شاركت الأفراد إسرافهم وتبذيرهم فأنفقت ما يقرب من سبعة ملايين من الجنيهات من «النقد الأجنبي» عام ١٩٥٧ من أجل نفقات سفر أفراد إلى الخارج لا من أجل شراء أشياء!.. وفي وقت كانت فيه مصر في أمس الحاجة إلى المال الذي تنفقه لتحسين أحوالها؟!

ومن قبل أسرفت في عهد خديو مصر إسماعيل وخزانتها خاوية تشتكى من «الجذب» الذي أصابها و«الفقر» الذي ألم بها!.. وسياسة الحبل على الغارب هي سياسة الإسراف! التي تولد السفه والاستهتار.. وقد ورد في «الإنجيل»: «الشجرة الردية تصنع أثمارا ردية».. والإسراف توأم، «التقتير»، وكلاهما توأم للشقاء الذي يجلب الأوصاب والأضرار - وكلاهما شر على صاحبة في نهايته حسرة وإعوال، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ٢٩﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٩] - كما يقول - جل جلاله - في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٣١﴾ [سورة الفرقان: الآية ٦٧].

ونبادر إلى تصحيح ما قد يقر في بعض الأذهان من معنى الإسراف فنقول: إن الإسراف إذا ذكر فلا يصح أن يؤخذ معناه، وأن يتجنب من ناحيته المادية التي تصافح العقول والأسماع أول ما تبدو، فإننا إذا عينا مثلا على الرأسمالية سياستها الإسرافية أو ما يسمونه بـ *Laissez passer Laissez faire* التي هي حجر الزاوية في النظام الرأسمالي. فإننا نقصد هنا بالإسراف معناه الواسع العريض من إقامة مصانع وإغلاقها.. ورفع أثمان وخفضها.. واختزان سلع وتوزيعها.. وكل ما تحفل به (الغابة الرأسمالية) الملتفة المتشابكة من إقدام وإحجام، وشائعات وحقائق.. «كما هو ثابت في تحليل الفلسفة الرأسمالية. كذلك يجب أن يؤخذ معنى الإسراف في حياتنا فتجنبه من أصله ومنتهاه. نتجنب الإسراف في «الإنفاق» لأنه كما ذكرنا توأم الشقاء، وإذا كان «هوراس» قد عبر عن وجهة نظر (روما) في المال في عهده بقوله: «إن المال يمنح القوة والسلطان» فإننا نقول: إن الإسراف يورث الضعف والضياع، وقد قال حكيم لأن أترك المال لأعدائي بعد موتي خير من أن أحتاج إلى أصدقائي في حياتي.

تتجنب الإسراف فى (الكلام) والثرثرة التى لا تنفع أو تفيد، فهى مضيعة للوقت الذى لا طائل تحته، وكان «عمرو بن العاص»، يقول: الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل.

تتجنب الإسراف فى «التشاؤم» الذى يقعدنا عن العمل المثمر الفعال.. وقد صدق الإمام على بن أبى طالب فى حكمته: «الهم نصف الهرم».

ولنتسكىو كلمة صائبة تقول: لو شاء الإنسان الاقتصار على إصابة الهناء لكان ذلك ميسورا له، ولكنه يبغي أن يكون أكثر هناء من سواه وهذا أمر شاق لأنه يتوهم أن سواه أعظم منه؟!.

تتجنب الإسراف فى «الضحك».. «فكثرته» كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (تميت القلب)، وإذا مات القلب مات معه الإنسان.

تتجنب الإسراف فى «الطعام» الذى يتخم المعدة ويضر بالبدن..، وإن أبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم، أكل، شروب.

تتجنب الإسراف فى السفاهة، فلا تكن كمن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء، ويجرى فى العمل مجرى السفهاء!.

تتجنب الإسراف فى حب الظهور، والتعالى الكاذب، والتفاخر المزدول، والتشدد العقيم!.

تتجنب الإسراف فى الجهل الذى ينزل بأدميتنا إلى مستوى الحيوان الذى يأكل من خشاش الأرض، فنوصم نفوسنا، ونعطل عقولنا، ونصبح كدابة تسعى دون فهم أو إدراك. وخلاصة ما نرجوه هو أن نتجنب «الإسراف» بالمعنى الصحيح لكلمة «الإسراف».

القاضي الأول فى الجاهلية.. وفى الإسلام..

القضاء رسالة الأنبياء.. قال الله تعالى: ﴿يَنْدَادُوا إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص - الآية ٢٦].. ومن ثم جاء قول رسول الله بعد أن تبوأ القضاء فى الإسلام: «قاض فى الجنة.. وقاضيان فى النار» لعظم رسالة القاضى، وجلال رسالة القضاء، وتأثيرها على الناس أجمعين.

كان عليه الصلاة والسلام - وقبل تكليفه بالنبوة - (القاضى الأول فى الجاهلية)، ففى مسألة أبرم عقدها، وتعدّد شأنها. ولم يكن لها من حل بين قبائل العرب إلا بسل السيوف وقرع الدفوف.. دفوف الحرب. حيث كان محلها البيت العتيق «أول بيت وضع للناس بمكة.. مباركا وهدى للمصلين» إذ كانت الكعبة - وستظل - موئل المسلمين وقبلتهم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وهل ينسى التاريخ (أبرهة) وما كان يريد أن يفعل بالكعبة المشرفة، من هدم لها وطمس لمعالمها، بيد أن الله قد حفظها، فما كان لأحد حتى ولو كان فى جبروت (أبرهة) أن ينال من بيت الله فقد أرسل الله عليه وعلى جيشه العرمرم.. «طيرا أبابيل» ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

فقد تحالف بنو عبد الدار، «وبنو عدى» على أن يحولا بين أية قبيلة تطمع أو تطمح فى أن تنال شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه بالكعبة المشرفة إذ أقسموا يمينا على ذلك، حتى قيل إن عبد الدار قد وضعوا أيديهم فى قرية مملوءة بالدم وغمسوا أيديهم فيه لكى يبرهنوا على صدق حلفهم وتأكيد إيمانهم فى منع من يراوده عقله - على ذلك، ومن ثم أطلق على عبد الدار (لعقة الدم)، وإذ رأى «ابن المغيرة» ما آل إليه حال قومه، وقد تجمعت نذر الحرب وظللتهم سحابة سوداء «وغشيتهم موج كالظلل»، وأوشكوا على أن يتقاتلوا فيما بينهم، ولسان حالهم يقول: «نرى خلل الرماد وميض نار.. ويوشك أن يكون له ضرام».

أبصر ابن المغيرة «محمدًا» وهو يدخل من باب الصفا أحد أبواب الكعبة، وكان ابن المغيرة قد دعاهم إلى الإحتكام إلى أول من يلج أبوابها، ليكون حكما فيما شجر بينهم، واختلفوا فيه، فما كان من قومه بعد أن رآه حتى هللوا مكبرين.. محمد الأمين، وارتضوه حكما وقاضيا لهم، فما كان من محمد إلا أن قال لهم «هلم إلى بثوب»، ثم نشره ورفع

الحجر الأسود ووضعه بيديه في المكان الذى خصص له ثم دعا كل كبير من القبائل المتنافرة وطلب إليهم أن يأخذ كل منهم أحد أطراف الثوب فحملوه جميعا ثم تناوله محمد صلى الله عليه وسلم ووضعه في موضعه.

انحسم الخلاف وانطفأت نار العداوة والبغضاء بعد أن كاد أن يخيم عليهم الإدعاء. ونامت الفتنة في مهدها، وزالت الغمة ففى إبانها، بحكم محمد (وبعدل قضائه) الذى فطر عليه بنعمة من الله سبحانه وتعالى.

كما كان محمد عليه الصلاة والسلام قاضيا عدلا عدولا بعد تكليفه بالرسالة، فقد أمره الله تعالى بالفصل فى المنازعات التى يشتجر فيها الخلف والخلاف بين الناس زرافات ووحدانا. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٦٥]، كما قال سبحانه: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة المائدة - الآية ٤٨]. فكان الرسول - بهذه المثابة - القاضى الأول فى الإسلام قبل أن يرسل خلفاءه الراشدين للقضاء بين المسلمين.. بل وبين غيرهم، هو عليه الصلاة والسلام صاحب الحديث الشريف لرجلين تنازعا فاحتكما إليه فقال لهما: «لعل أحدكما أن يكون ألحن بحجته من الآخر، فمن حكمت له بغير حقه فإنما أقطع له قطعة من النار».

كما كان عليه الصلاة والسلام هو القائل: «إذا جلس القاضى للحكم بعث الله إليه ملكين يسددانه، فإن عدل أقاما، وإن جار عرجا وتركاه»..

وبعد الرسول الحكيم، (وبعدل قضائه)، ودقة أحكامه، بزغ نور الإسلام بين أرجاء الأرض، وبعد أن أتم «محمد» رسالته، وخطب فى المسلمين خطبة الوداع، مات النبى بعد أن اختار الله هذا - الطفل اليتيم - والذى أوصى بكل يتيم فقال: «خير البيوت عند الله بيت فيه يتيم مكرم»، بأن يكون حكما وقاضيا بين الناس، بعد أن وأد الإلحاد وحطم الأوثان وأصبح الإسلام كامل البنيان، و«كان الله» وكما يقول الكاتب الإنجليزى «لويل توماس».. قد اختاره ليعيد به تاريخ العالم فمحا به دولة الشرك والطغيان، وكان هو أول من وحد قبائل العرب فى تلك الجزيرة الغارقة فى الوثنية التى امتلأت فجاج الأرض منها بأصنام ما أنزل الله بها من سلطان، يقصدونها، ويعبدونها كما كان يفعل قوم نبى الله «إبراهيم» عليه السلام، وأول من ألف قلوب شعوبها المتقاتلة بعد أن كان الكفر يخيم عليهم لجة بعد لجة، عمت الغبراء وماجت بها البدياء، فجمع كلماتها تحت راية واحدة..

ليس باستعمال القوة بل بكلام عذب حكيم أخذ منهم كل مأخذ فأحبوه ووقروه ، واتبعوه ، وآمنوا به .. وقد فاق «فتى مكة» (بعدله) جميع الرسل بصفات لم تكن معروفة لدى العرب ، فجمع بين قلوب المتخاصمين ، الذين امتلأت سويداء قلب كل واحد منهم بالغل والحق والكفر بالله والزيف عن الحق والعدوان على الآخرين .

مات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وتدفقت موجة فتوحات الإسلام فاجتازت الصحارى ودخلت المدن التى ذكر فيها اسم الله بالإصباح والإساءة ، وذلك لتجعل ذكره ذكرا أبديا سرمديا لذلك الرسول العظيم الذى أنتجته وأنبئتته صحراء جرداء «لا زرع فيها ولا ضرع ولا حياة ولانماء» ، فأثمر ثمرا - كما عبر أحد المستشرقين ، لم يحلم به العالم من قبل وامتدت هذه الموجة فعمت آسيا وأفريقيا إلى أن استولت على عواصم أوروبا .. تلك الموجة التى لم تلحق بها موجة الرومان فى إبان مجدهم وعظمة عهدهم - كما ذكر المستشرق الإنجليزى سالف الذكر ، إذ قدم العرب للعالم برمته أنبغ رجالات الإسلام وأكثرهم ثقافة ومعرفة ، وانتشر الإسلام حتى عم الكون وأشرقت الأرض - برسالته - بنور ربها .

وها هوذا «مايكل هارت» فى كتابه «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله» - والذى ترجمه المرحوم الأستاذ الأديب «أنيس منصور» ، يذكر بين دفتى كتابه هذا : أن الرسول محمدا قد نجح فى رسالته نجاحا لا يدانيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله ، فقد خاطب العرب على قدر عقولهم ولجأ إلى أخيلتهم وخيالهم ، وإلى مخاوفهم ، وآمالهم حيث كانت بلادهم يسكنها قبائل من عبدة الأوثان الذين خيم ظلام الجهل على عقولهم وران على قلوبهم ، فكبح كبح ذلك الجهل ، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ، ودين بلاده القديم ديننا سهلا واضحا قويا ، وصرحا خلقيا قوامه البساطة والعزة وانتصر فى مائة معركة فى جيل واحد ، وفى قرن واحد استطاع أن ينشئ دولة عظيمة « تحدث بها الركبان وأشير إليها بالبنان .

يقول البروفيسور «سميث» : «إننى أجد محمدا أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلا» ، أما الدكتور «لينز» فقد قال : «رسالة محمد هى إلهام نفسه .. وإننى لأجرؤ بكل أدب أن أقول : إن الله هو مصدر الخير والبركات .. فدين محمد هو دين الوحي» .

كما يقول الكاتب الإنجليزى الأشهر «برنارد شو» : «إن محمد لو كان حيا لحل مشاكل العالم فى برهة قصيرة ، ولجعل السلام يستتب على وجه الأرض» .

ويقول السير «توماس أرنولد» فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام): «لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أى اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى».

إن عدل الرسول الذى انداح على العالمين، كان مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِيْنَ لِلّٰهِ شُهَدَآءٌ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة - الآية ٨].

صدقت يا من قلت: إن رسالة الرسول العادلة والتى جاءت من الحق وتدعو إلى الحق قد سعدت بها الأزمان.. واغتترف من شذا عبيرها الأكوان.. وأشرق بها الإيمان.. فقد صان محمد عليه الصلاة والسلام، «المنان».. وأتم حسن صفاته «الرحمن».



الأعياد.. والعباد..

يقول صاحب كتاب «أشأت مجتمعات فى اللغة والأدب» الأعياد من المراسم المرعية فى جميع الأعياد الكبرى، لأن الاشتراك فى الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعا هو بعض المعالم العامة التى لا غنى عنها فى كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها.

فالأعياد اليهودية كلها لا تزال على صبغتها الأولى من مراسم الاحتفال بمواقيت الزرع والحصاد، وهى بأسمائها فى العهد القديم تشير إلى موعد الحصاد، وموعد الجمع، وقرايين البواكير من الثمرات والأنعام.

والعيدان المسيحيان يوافقان موعد انتقال الشمس فى الشتاء وموعد انتقالها فى الربيع، وقد كان آباء الكنيسة الأولون يقيمون الاحتفال بالعيدين فى هذين المواعدين ليصرفوا جمهرة الناس عن تقاليد عبادة الشمس إلى تقاليد العبادة المسيحية.

وجاء العيدان الإسلاميين - عيد الفطر، وعيد الأضحى المبارك - ليكونان فرحة للمسلمين أولهما عقب صيام رمضان والثانى لزيارة بيت الله ونحر الذبائح، فلعل المسلمين يتعلمون، ولا شك أن جلهم كذلك يتعلمون «من الأضحية.. معنى التضحية».

والأعياد أشبه بواحة تستظل بها الشعوب فى صحراء حياتها.. ومن هنا راحت الدول تتفنن فى خلق أعياد جديدة.. تبعث النشاط فى أوصال شعوبها، وتجدد حيويتها وطاقاتها..

فى جنيف مثلا.. يحتفلون بعيد جنيف! وفى لوزان بعيد قطف العنب.. وفى كوبنهاجن يحتفلون بنهاية الصيف! وفى ميونيخ بعيد البيرة.. وفى هامبورج عيد الضيوف، وفى ويسلدورف عيد الحب، وفى فرانكفورت عيد السيارات، وفى بون عيد الجمهورية. وفى أمريكا عيد الشكر!

وهناك العشرات من الأعياد الأخرى.. مثل عيد انتهاء الحرب.. وعيد الشهداء وغيرها!.

وليست هذه الأعياد من قبل اللهو والعبث.. فشعب ألمانيا وهو من أكثر شعوب العالم نشاطا وحرصا على الوقت.. يحتفل كل عام بأعياد لا مثيل لها فى أى بلد آخر.

لماذا لا نزيد من أعيادنا، فنجعل عيداً خاصاً لكل مدينة.. وكل قرية.. فتكون هناك
أعياداً للقطن، والقمح، والأرز، والموسيقى.. وغيرها؟!..
إننا بهذا نبعث في الشعب روحاً جديدة من النشاط، والمرح تمشح عن جبينه مسح
حزن رائت عليه طويلاً.. فجعلته بعيداً كل بهجة مزوراً عن كل عيداً..



الافتئات على الحق.. وعلى عظمة الرجال..

كنا ثلاثة «المستشار محمد عطية إسماعيل نائب عام مصر ووكيل نادى القضاة» ، والوالد «المستشار محمد مرشدى بركات رئيس الاستئناف» ، وأمين عام النادى وكاتب هذه السطور وأما المكان فميدان عابدين أمام القصر الملكى القابع هناك فى غضون شهر شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ وأمام حشد حاشد كان المتحدث الرئيس «جمال عبد الناصر» يخطب أمام الحاضرين فقال - ضمن ما قال - لقد أصبحنا الآن دولة كبيرة.. وأضحينا نصنع من الإبرة إلى الصاروخ، كنا فى الماضى عندما كنا نقدم على عمل شئ يقال لنا «سعد زغلول قال مفيش فايده» وأردف الرئيس قائلا: دى شعارات رجعية.. دى شعارات إنهازمية.

وقد دأب البعض من طلاب القوت ومن مزورى التاريخ والذين يقتاتون على جميع الموائد على مهاجمة «الزعيم سعد زغلول» قائد ثورة ١٩١٩ هجوما شرسا لاهوادة فيه حتى إن الميثاق الذى ألقوه ورد به: «عبارة وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية يقود النضال الوطنى» إلى آخر ما جاء به.. أرادوا بذلك أن يزعموا أن سعدا كان انتهازيا واستغل الثورة فركب موجتها؟!!

كنت أعلم - سلفا - أن الزعيم سعد زغلول قد فاه بهذه العبارة وقبل أن تصعد روحه إلى بارئها بثوان معدوات إذ أن أم المصريين «صفية زغلول» وهى تشد على يده مواسية إياه فى مرضيه الشديد قال لها سعد: «ياصفية.. مفيش فايده.. أنا انتهيت».

فما كان منى إلا أن حررت خطابا لأستاذنا العقاد قلت فيه :

«كثر القيل والقال عن سيرة زعيم من أكبر زعماء مصر كان له فضل كبير .. وهو سعد زغلول».

وإليكم ما استطعت أن أجمع من هذه التهم التى أُلصقت بذلك الرجل العظيم، راجيا أن تضعوا لها النقط فوق الحروف لأنكم إذا فعلتم - وستفعلون - أحسنتم إلى سعد فى مماته كما أحسنتم له فى حياته ، وهاك هى :

١ - أنه كان صديقا للاحتلال وقد ذكر ذلك شارلز آدمس فى كتابه عن

الإسلام والتجديد.

٢ - أنه اختير لتقلد نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ ليقتضى على روح الثورة التى نشرها مصطفى كامل.

٣ - أنه كان حاد الطباع أنانيا ضيق الصدر بالمعارضة أيا كان فى البرلمان أو فى الصحف..

٤ - أنه كان يجرى فى ركاب كرومر وملنر وأنه رحب بالمشروع الملنرى.

٥ - أنه بحديثه مع السير ونجت البريطانى فى ١٣ نوفمبر قد وصم نفسه بوصمة لاتشرفه ولا تشرف مؤرخيه.

٦ - أنه صاحب كلمة «مقيش فايدة» ولا نعرف المناسبة التى قيلت فيها هذه الكلمة وما كان يصح أن تصدر منه هذه الكلمة وهو زعيم الأمة وقائدها.

٧ - وأخيرا وليس آخرا أنه كان يغار من المرحوم إسماعيل صدقى وأن المرحوم عبد العزيز فهمى ذكر ذلك فى معرض حديث له عن ثورة ١٩١٩ وقال: «لقد فشلت ثورتنا بسبب ذكاء إسماعيل صدقى فقد حقد عليه سعد لذكائه وأقصاه عن الوفد ومن هنا تفرقت الكلمة.. إلخ».

ونذكر فى هذا الخصوص أن الأستاذ «أحمد لطفى السيد» حكى فى مذكراته أن عبد العزيز فهمى ما يكاد أن يسمع اسم سعد زغلول إلا وينتفض انتفاضا ويرغى ويزبد لكرهاته الشديدة الغير مسبوقه للزعيم سعد زغلول.

تفضل أستاذنا العقاد فأجاب على خطابى فى يوميات الأخبار بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٥٩ فقال:

هذه خلاصة الخطاب الذى يحق الإشارة إليه لأنه مثال لما يقال عن عظمائنا فى أكثر الإحيان بغير دليل يكفى لإدانة متهم فى قضية مخالفة، فضلا عن الزعماء الذين يناضلون عن قضايا البلاد، ويجب قبل الإتهام أن نسأل المدعى عن دليله ولا نسأل الزعيم المتهم أن يبرئ نفسه من دعوى لا دليل عليها.

أما الثابت بجميع الأدلة فهو:

أولا: أن سعدا قد وقع عليه الإختيار فى الوزارة عندما أضطر الإنجليز إلى الإذعان للحركة الوطنية، قبل عزل كرومر بسنة واحدة.

ثانيا: أن الاحتلال نفى سعدا مرتين وأسقط وزارته بإصدار عنيف ومنع تأليف وزارته الثانية بعد نجاحه فى الإنتخابات بإصدار أعنف منه وأشد وعيدا للدولة ومن يتولاه.

ثالثا: أن سعدا رفض مشروع ملنر ولولا رفضه إياه لتم تنفيذه عند صدوره.

رابعا: أن محاضر المجلسين موجودة وفيها مشروعات كان فيها الرأى مختلفا بين سعد رئيس الوزارة وبين أعضاء حزبه. وهم الكثرة الغالبة في المجلسين.

خامسا: أن المتهمين لسعد هم الذين كانوا يدخلون الوظائف بعد إسقاط الوزارات الدستورية.

سادسا: أن خروج إسماعيل صدقي من الوفد إنما كان بإتفاق جميع أعضائه لم يعترض واحد منهم عليه كما هو ثابت من محاضر جلساته.

وهذه هي الوقائع التي لا تنكر ولا يجسر أحد على إنكارها، وليس علينا نحن أنصار سعد في حركته الوطنية أن ندفع عنه الأوهام والخزعبلات من أمثال «مفيش فايدة».. «ووصمة لا تشرفه».. وأشباه ذلك من المختلقات والمخترعات. وإنما المتهمون للرجل العظيم هم المطالبون على الأقل بشئ واحد، وهو تفسير عداوة المحتلين له وإصرارهم على إسناد الوزارة لغيره بعد الانتخابات البرلمانية، ووقوفهم منه موقف العداء حتى في عهد الجمعية التشريعية كما ظهر في مسألة الوكيلين. وحتى في وزارة الحقانية قبل الثورة كما ظهر من الأزيمة بينه وبنى لورد كتشنر باعتراف دائرة المعارف البريطانية.

إن التهم لرخيصة جدا إذا كان من اليسير بذلها بهذه السهولة، وإن المجد الوطني لأرخص من التهم إذا بقي أو زال على هذا المنوال. بأمثال ذلك القيل والقال.



الاهتمام بقواعد اللغة العربية..

لامراء أن الغلو في تبسيط قواعد اللغة العربية - كما يدعو البعض - مجلبة إلى تشويه اللغة العربية ذاتها فالقواعد هي الأساس الصالح الذي يجب أن تؤسس عليه الأداب. ولقد كان الاهتمام بالقواعد اللغوية حجر الزاوية وقطب الرchy الذي قام عليه ازدهار اللغات في كل عصر من عصور التاريخ.

ففي الهند قام العلماء اللغويون وفي مقدمتهم «بانيني» من علماء القرن الرابع قبل المسيح بأبحاث جد هامة في قواعد اللغة الهندية كانت لها أثارها في تقدم اللغة في البلاد. وفي اليونان نرى أن أفلاطون قد أعطى دراسة أصول الكلمات وصيغتها وقتا ثعينا لم يدخر فيه وسعا - وكذلك فعل أرسطو - في تركيز القواعد وصياغتها صياغة سليمة.

وجاءت مدرسة الإسكندرية فدرس العلماء شعر هويروس مستظلين بقواعد اللغة، وحذا حذوهم الرومان وعلى هذا النحو في الاهتمام بقواعد اللغة جرى علماء الكوفة والبصرة وفعل علماء أوربا كما عبر الأديب عادل الغضبان.

حبذا إذن لو وجهنا جل اهتمامنا إلى دراسة قواعد لغتنا في مدارسنا وجامعاتنا لنقضى على هذا الجهل العلمي الذي استشرى في العقول والأذهان والذي جعل من الفاعل مفعولا ومن المفعول فاعلا هكذا دون خجل أو حياء مما يهدد لغتنا بأوخم العواقب وأشد الأضرار..



الدفاع عن: كرامة القضاء..

من الذكريات الجميلة التي يشرفنى أن أعيد نشرها بما يرفع رأسى عالياً. بل ورأس أى قاضٍ، ما دبحته يراعة المرحوم والذى رجل القضاء الذى كان نبراسه العدل وديدنه الحفاظ على كرامة القضاة من أن يمسخها وضر، حتى لو صدر هذا الوضر من رئيس الجمهورية.

كتب الأستاذ «أحمد الصاوى محمد» فى جريدة الأخبار:

قال الرئيس «جمال عبد الناصر» لمؤتمر الصحافة العالمى الذى شهدناه يوم الثلاثاء الماضى: إن حرية التعبير بالنسبة للصحافة هى حرية كاملة، وهاموذا الأخ الأستاذ الكبير محمد مرشدى بركات المستشار بمحكمة استئناف الإسكندرية يسجل بوضوح ودقة وكياسة خواطره حول الجهة التى يحلف أمامها رجال القضاء اليمين قبل مباشرة وظائفهم:

تجاوبت النفس مع ما أفصح عنه الميثاق من أن الفكرة تتألق بالكلمة المكتوبة إرساء لحق النقد فجرى القلم بما جال فى خاطرى حول الجهة التى يحلف أمامها رجال القضاء يميناً بأن يحكموا بين الناس بالعدل وأن يحترموا قوانين البلاد، وذلك بعد أن تغيرت هذه الجهة من بين يدي السيد رئيس الجمهورية إلى السيد وزير العدل بموجب التعديل الأخير لقانون السلطة القضائية.

يسرنى أن أشير بادئ ذى بدء إلى أن أداء هذه اليمين سُنّة حسنة وهى لازمة للقاضى بحكم القانون ومن أول واجباته، وإلا كانت أحكامه دون أدائها باطلة وقد قصد بها المصلحة العامة من تهيئة القاضى لاستقبال عمله الجديد فى اشراق نفسى وينأى به عن أى عمل سابق حتى لو كان عضواً فى النياية العامة لاختلاف طبيعة العاملين، وهى بعد تشعر القاضى والناس كافة بخطر رسالته.. وحسبك أن قوامها سيادة القانون، وبالتالى فهى توطن سيادة الدولة بإرساء قواعد العدالة والأمن فى ربوعها.. فهذه اليمين - وهى على ما عليه من هذا الخطر - لا يمكن أن تعتبر مجرد مسألة شكلية هينة يكفى لانعقادها أن تؤدى أمام أى ممثل للسلطة التنفيذية بل هى أجل من هذا وأعظم إذ فى انعقادها غطاء لصلاحيه القاضى وأهليته، ومن ثم فهى لاصقة بصفته مما لا يجوز معه أن تنعقد إلا أمام من يمثل هذه الصفة وهم ممثلو السلطة القضائية.

نقول هذا بمناسبة التعديل الجديد الذى حوته المادة ٧٦ من القانون رقم ٧٤ لسنة ١٩٦٣ خاصا بالجهة التى يحلف أمامها رجال القضاء قبل مباشرة أعمالهم بما من مقتضاه أن يؤدى هذه اليمين رئيس محكمة النقض ونوابه ورؤساء محاكم الاستئناف أمام وزير العدل (بعد أن كانوا يحلفون طبقا للنص القديم بين يدى رئيس الجمهورية) مع إبقاء النص القديم على ما كان عليه فيما يختص بالمستشارين فيحلفون أمام إحدى دوائر النقض ومن عداهم من رجال القضاء أمام إحدى دوائر الاستئناف.

لا ريب أن حكمة هذا التعديل معروفة لاستغراق وقت السيد رئيس الجمهورية بالشئون الداخلية الكبرى والمسائل الخارجية والعالية، وضنا بما يخشى معه بحكم إصرار الظروف من احتمال تعويق رجال القضاء بعض الوقت عن مباشرة أعمالهم، وما من أحد إلا ويؤمن معى بهذه الظروف التى دعت إلى هذا التعديل، وغيره المشرع لا شك ظاهرة إذ كان هدفه المحافظة على استمرار دولاب العمل القضائى فى دورانه.

بيد أنى مع ما تقدم كنت ما زلت أؤثر أن يبقى النص القديم على حاله ولو قصرا على رئيس محكمة النقض وحده إبقاء على هذا التقليد الحميد سيما أنه فى درجة وزير أسوة بباقي وزراء الدولة يؤيد هذا النظر أن الولايات المتحدة فى أمريكا تسبغ على رئيس المحكمة العليا فى مثل هذا الصدد فوق ما هو فى الحسابان.

على أنه من جانب آخر إن تكن الظروف التى أوصت بذلك التعديل لا محيص منها فالرأى عندى أنه يجب تعديل النص من جديد إلى أن يحلف رئيس النقض أمام الجمعية العمومية لمحكمة النقض، كذلك سائر رجال القضاء كل أمام جمعيته العمومية باعتبار أنها صاحبة الحق الأصل والممثلة للسلطة القضائية.

وهذا التعديل أخلق به أن يتسق مع ما يجب أن يتوافر لسلطة القضاء من بقائها منفصلة عن غيرها من السلطات مستقلة فى حدود وظيفتها. الأمر الذى حرصت الدساتير على النص عليه، ذلك أن وزير العدل وإن كان له حق الإشراف على سير القضاء، وتنظيم أعماله فإنه ليس له اختصاص القاضى، ومن ثم فإن فى حلف اليمين أمامه خروجاً على طبائع الأشياء ومعنى التبعية، وليس فى هذا الفهم غرابة. فقد أقرته المادة سالفة الذكر فى شقها الثانى حينما جعلت المستشارين وسائر رجال القضاء يحلفون أمام درجة أعلى.. بل إن فيه خروجاً عن مألوف العرف والتقاليد وفن التشريع، وإلا فكيف يحلف وزير أمام وزير؟.. ويزيد من وقعه على النفس أن كان ذلك الوزير رئيساً لإحدى سلطات الدولة الثلاث التى لها خطرهما وجلالها، وكان مؤدى هذا الحلف إيذاناً له بمباشرة مهام وظيفته السامية.

الرحالة العظيم..

أُجِدت عليه مجدا كما عبر فيلسوف الجيل «أحمد لطفى السيد». وخلعت عليه فخرا، وسجلت اسمه بين الرحالة العظام.

فليس هناك من العلماء كما عبر - معلم الجيل - منذ عصر نبلاء «فيلي» فى القرن الخامس والثلاثين قبل الميلاد، مثلما أضاف هو. آب من رحلته فى جوف الصحراء هذه الرحلة التى اكتنفتها الأخطار وعرضته مرات ومرات إلى الموت الرؤوام، وكبدته المشاق والأهوال، عاد منها بأرصاد فلكية واكتشافات جيولوجية، قال عنها البرفسور «مول» إن رحلة «أحمد حسنين بك» هى فوز كاد يكون فريدا فى تاريخ الاستكشافات الجغرافية، كما إنها أضافت الكثير إلى العلوم الجيولوجية ومهدت السبيل إلى الوصول إلى نتائج علمية عن المنطقة شديدة الوعورة التى جاس خلالها واخترق بشجاعة تحسب له مجاهلها.

عقب رحلته الأولى إلى قلب الصحراء نذر «أحمد حسين» نذرا - بأنه إن ضل طريقه وسط هذه الصحراء القاحلة، ومقازة المهلكة، ألا يعود مرة أخرى إليها وما أن مر عامان على رحلته الأولى حتى ألقى نفسه، وقد قذف بها فى «ذات الصحراء»، وفى «عين البقعة» التى غاب فيها الطريق عنه، بل وأمام ذات البئر التى ارتوى منها بعد عطش شديد استبد به، وكاد أن يزهد روحه هو ومن كان معه فى القافلة، فكتب الله له، ولهم النجاة.

يقول «أحمد حسنين» فيما خطه عن رحلته: قد يكون للصحراء مشاقها ومتاعبها بيد أن لها أيضا جمالها ووحشتها التى تستهوى عشاقها والمتيمين بها فتجذبهم إليها.

افتتن بالصحراء كل من جاب ثراها، وشدته عظمتها المتمثلة فى فضاءها الواسع العريض، وسكونها الموحش العميق، وحياة التنقل بين ربوعها المحقوفة دائما بالمخاطر يحيط بها الموت فى كل لحظة.. تبتسم الصحراء فما أحلى ابتسامتها، وتعبس فما أقسى عيوسها، تتألأ نجومها فى الليل فتستهوى عابر قفارها، ويتحكم قضاؤها فى القلب فتوقه فى أسرها فيسير مغتبط النفس - بين دروبها - هانيها، سير المؤننس بها، المولع بجمالها، المفتون بعشقها، ولكنها كالغانيات شيمتها الغدر. فلقد ترك بعد تمام الرضا غاية الغضب ونهاية القساوة.

الصحراء ساحرة جذابة. إذا عرفتها تعلقت بها نفسك أبد الدهر، ولكن ليس من السهل أن تدرك سر سحرها، ولا سبب خلابتها. بل كل ما تعرفه أنها تناديك، فينفذ نداؤها إلى صميم قلبك، وتدعوك فلا تلبث أن تشد الرحال إليها صاغرا.. يسوقك الحنين، وتدفعك الذكرى.

يسير رفقاؤك في هدوء وسكون وقد خفتت أصواتهم، وانعدمت فيهم رغبة التغنى. قلص وجوهم الجهد. وحالت إلى لون الدم عيونهم تبعث نظرة شاردة حائرة ملؤها اليأس، تستطلع الأفق وتستبين ذلك الخط الذي تلتقى عنده زرقة السماء بصفرة الرمال. فإذا به دائما باهت بعيد.

السكون شامل لا تصدعه إلا خضخضة النزر اليسير الباقي من الماء، في القرب المتهدلة على جوانب الإبل.

إننا في الصحراء لانتحدث كثيرا. فالصحراء تعلم السكوت. وإذا أحدق بنا الخطر تحاشينا النظر بعضنا إلى بعض وغُنيينا عن الحديث. وما يجدى الكلام؟!

كل منا يعرف ماهو واقع. وكل منا يحتمله بصبر وجلد إذ التضجر ضرب من اللوم على «الله» القدير.. وهذه معصية لا يقدم عليها بدوى قط. ففي عقيدته أن الله كتب عليه هذه الحياة، وقدر عليه سلوك هذه الطريق. وقد تقوده إلى الموت الذي اختاره له. فلا بد له من الرضاء به. والبدوى يقول: لا مفر مما كتبه الله ﴿أَيُّمَنَّا كُتِبَ لَهُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسَيَّرَةٍ﴾ [سورة النساء - الآية ٧٨]

في مثل هذه الساعات، تقطع على نفسك المواثيق والعهود أن لا تعود إلى الصحراء قاطبة إذا خرجت منها حيا.

ثم ينتهى عمل اليوم وتحط الرحال ولا تنصب الخيام لأن الرجال مجهدون غافلون عن التفكير في أجسامهم.

وكأنما الشمس قد نالها ما نالنا من تعب، وكأنما النهار الذي قطعته وإيانا في نضال الصحراء قد أسفر عن انهزامها كما أسفر عن انهزامنا، وكأنما صراع الصحراء قد أدمى وجهها؛ فإذا قرصها المهزول يرسل أشعة حمراء ضعيفة كأنها خيوط الدم. وكأنما الشمس قد عمدت مثلنا إلى الإنزواء تضمّد ثخين جروحها، وتجدد منهوك قواها حتى إذا تم لها

ذلك، عادت وعدنا فى نورها إلى مصارعة الصحراء، ولكن الصحراء لا تلبث أن تصرعها وتصرعنا.. قصة كل يوم.

ثم يهبط الظلام شيئاً فشيئاً، تطارد طلائعه فلول النور، ويسجو الليل زاهر النجوم أو وضاح البدر، وربما كان ليل الصحراء أعجب نواحي الحياة فيها. يسرى نسيم الليل عليلاً فينعش أرواح القافلة فنحاول أن نطرب وأن نبعث فى ظلام حيرتنا ومتاعبنا نورا.. إنه حب الصحراء.. حب رجل شديد الوله بغادة فاتنة ساحرة ولكنها قاسية جافة.

بدأ أحمد حسنين رحلته فى عام ١٩٢٣ من السلوم على شاطئ البحر المتوسط إلى مدينة الأبيض عاصمة مديرية كردفان بالسودان، وهى مسافة قدرها ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلو متر، على ظهور الأبل، ووفق فيها إلى العثور على واحتين مجهولتين هما (أركتو) و (العوينات)، وكان همه بعد أن يجوب الصحراء الليبية أن يصل إلى (الكفرة) وهى مجموعة من الواحات فى صحراء ليبيا لم يزرها قبله إلا مستكشف واحد هو الألماني «رولفس» سنة ١٨٧٩، ولكنه لم يخرج منها إلا بحياته.

كما قطع الطريق إلى «جغوب» ثم إلى «الفوراية» ومن بعدها «جالو» فى نفس الطريق الذى قطعه «رولفس» عام ١٨٧٩ ففتح أمام المستكشفين منطقة عظيمة، كانت من مجهول الأرض. و «جغوب» هذه قد تنازلت مصر عنها فى ديسمبر ١٩٢٥ بعد أن عقدت وزارة «أحمد زيور باشا» اتفاقية خاسرة على حد تعبير الدكتور «شوقي ضيف»، بإملاء من الإنجليز كى تضمها إيطاليا إلى مستعمراتها (ليبيا) وأثارت جل المصريين على هذه الفعلة النكراء.

وقد ارتدى «أحمد حسنين» الرى البدوى كما فعل «Glaser» فى رحلته التى قام بها فى سنة ١٨٨٧ - ١٨٨٨ قاصدا مأرب عاصمة سبأ القديمة ولكى يصل إلى هذه المناطق الخطرة إرتدى زى فقيه وسار مع من كان فى معيته من أهل البلاد إلى غايته.

لقد فجرت الصحراء ينبوع الأدب فى عقل «أحمد حسنين»، ولعمري، فإننى وقد قرأت واستمتعت بهذه النتف الأدبية الرائعة فى كتابه «فى صحراء ليبيا»، فلم أر ما رأيت فيه من ملحّة أدبية وتحفة فنية تنطق من فرط جمالها، فى مثلها من كتب الرحالة. وما أكثرها، وما أمتعها، ولكنها تتوارى خجلاً أمام ما خطه يراع «أحمد حسنين» فى رحلته هذه.

وقد عبر أمير الشعراء شديد إعجابه بهذه الرحلة الغير مسبوقه فقال :

هذا الكتاب رواية عن رحلة فى التيه أو عن نزهة فى الغاب
صحراء فى طول الظنون وعرضها تطوى وتنشر فى فصول كتاب

لقد كان «أحمد حسنين باشا» رجلا فذا ملء السمع والبصر.. سياسيا ذكيا أديبا لبيبا
تمشى السياسة فى ركبه.. عشق الصحراء فعشقه، وأحبها فأحبته، وفتحت له باب
كنوزها، ولكن ليس كما أحبته ملكة مصر «نازلى»، وهامت به.. فضيعته؟!..
ومن أسف أن حياة هذا الرحالة العظيم قد انتهت بمأساة خلال قيادته لسيارته فوق
كوبرى قصر النيل فدهمته سيارة إنجليزية فأودت بحياته.
رحمه الله رحمة واسعة..



الرسول.. وتعدد الزوجات

بادئ ذي بدء، لنا تعليق على هذا المقال الذى كتبه والدى فى ستينيات القرن الماضى يتحصل فى أن بعض المستشرقين وبدافع من الجهل الذى تردوا فيه، إذ لم يكلفوا أنفسهم الفهم الصحيح الدقيق لما يقرأون من آيات كتاب الله، فوصموا أنفسهم بوصمة الغباء اللغوى فضلا عن سقم الفهم، وعلى سبيل المثال فقد ترجم أحدهم الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا لَكَ لِبَاسًا﴾ [سورة النبأ - الآية ١٠] ففسرها بجهله أن الله قد جعل الليل.. «كلوتا»!!! وبغريزة الجهل هذه المتأصلة فى بعضهم ترجم كلمة (حافيين) التى جاءت فى الآية الكريمة «وترى الملائكة حافيين حول العرش» إلى (حافيين) أى حفاة؟!!

قال الوالد - رحمه الله - فى مقاله هذا:

١ - خلوت إلى نفسى أفكر فيما كتبه بعض كتاب الغرب بشأن صلة الرسول (صلى عليه وسلم) بالمرأة وكيف تعددت فى حياته. وفيما أثاروه حول زواجه من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة الذى تبناه محمد وأعتقه. منتهزين رواية خاطئة وردت بحسن نية فى بعض كتب السيرة والتفسير، وباليتهم وقفوا عند حدها. بل راحوا ينسجون عليها الكثير من أوهام الخيال. ولو أخذوا أنفسهم بشئ من أمانة البحث لتغير وجه الرأى.

٢ - مفاد هذه الرواية أنه (صلى الله عليه وسلم) حينما مر بمنزل زيد يطلبه، فخرجت إليه زينب فرآها فوقع منها فى قلبه شئ لجمالها فانصرف لساعته قائلاً: سبحان مقلب القلوب. ولما أبلغت زيدا ما سمعت ذهب إلى النبى وكرر استعداده لتسريحها فرفض، وقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. ولكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأحزاب - الآية ٣٧].. وبمقتضى هذه الآية الكريمة وبصريح النص زوجه الله منها إبطالا لعادة (التبني) وإلغاء لجميع آثاره.

٣ - ويعلق كتاب السيرة على ما نسب إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) من أنه وقع منها فى قلبه شئ لجمالها وفى قوله: سبحان مقلب القلوب، بأن هذه القصة مكذوبة

ويكفى لهدمها من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله - عليه السلام - وأنها رببت بعينه وعنايته وأنها كانت منه بمقام البنت أو الأخت الصغيرة. وأنه كان يعرفها قبل أن تتزوج زيدا وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب، وأنه هو الذي خطبها على زيد، إذا عرفت ذلك تدعى أمام نظرك كل هذه الخيالات والأقاصيص، وأما عن زواجه منها فالتاريخ الصحيح يحكم بأن زواج زينب من مفاخر محمد فقد جعل نفسه أول من يضرب المثل لما يضع الله من تشريع يحو به تقاليد الجاهلية وعاداتها، ويقر هذا النظام الجديد (الدكتور هيكل ص ٢٨٧ وما بعدها).

٤ - وجدير بالذكر أن المستشرق أميل درمنغم بالرغم من عدم توفيقه في سرد الموضوع انتهى إلى أن هذا الزواج جاء تنفيذا (لأمر الله بشأن) (التبني) ، ولم يكن نتيجة ميل جنسى. يقول: وفي هذا الذى انتهى إليه ما يدحض روايته التى انساق فيها

Le mariage avec Zeinab sanction d'un decret divin Sur les régles Juridiques de l'adoption.. est donc toute autre chose que le fruit d'une quelconque passion sensuelle sarvie par l'imposture. Emile dormenghem P.303 cha. XLX.

٥ - نعود بعد ذلك إلى ما لاهه هؤلاء الكتاب حول تعدد الزوجات ؟ وكمسألة أولية نلقت النظر إلى ما هو ثابت فى كتب السيرة والتفسير من أن آيات التحريم نزلت فى أخريات السنة الثامنة للهجرة بعد أن كان النبى (صلى الله عليه وسلم) بأزواجه جميعا. وقد كان التعدد إلى حين نزولها لا حد له مما يسقط القول بأن محمدا أباح لنفسه ما حرمه على الناس..

ثم إن محمدا تزوج خديجة وكانت فى الأربعين من عمرها وهو فى سنة الخامسة والعشرين، ولم يشرك أحدا معها غيرها مدى ثمان وعشرين سنة. ولم يبدأ زيجاته الأخرى إلا بعد أن تجاوز سن الخمسين، والمعروف فى الأوساط العلمية بأنه فى سن الخامسة والأربعين عادة يبدأ غروب شمس الغريزة الجنسية فتقل حدتها (الدكتور عبد العزيز عذب قانون جديد لتطور الزواج ص ٣٤) وهذا إلى انشغاله (صلعم) بنشر رسالة ينوء بحملها البشر إستلزمت منه كفاحا مرا وجهادا مستمرا وخوض حروب مستمرة حتى خلق دولة

من العدم بكل مقوماتها الدينية والتشريعية والسياسية ، وما قال أحد إنه شغل بنسائه عن القيام. بواجبات رسالته المقدسة. بل إنه خير نساءه عندما ارتفعت شكواهن من ضيق ذات اليد بين الطلاق وبين الله ورسوله والدار الآخرة، وإذا كان الأمر على هذا الوجه فهل بقي لهم شئ مما يدعون؟!.

٦ - وأكثر من هذا أن حكمة زواجه معروفة حتى من أشد المستشرقين تحاملا عليه مما يبعد قطعاً مظنة العامل الجنسي انظر إلى مارغليوث حيث نجتزئ فيما يقول:

Mohammed' Snumerous marriages.. have been attributed by many European Writes to gross Passion.... Several of his Allan - ces Were political in character.... While a political sort motive is to be found in his alliances with the daughter of political opponents or talent enemies.. the remainder are to be explained by his extreme anxiety to have a son (Mohamed and the rise of Islam. Ch. VP. 176).

وبيان ذلك أن كثيراً من الكتاب الأوروبيين نسبوا تعدد زوجات محمد إلى شدة الميل الجنسي ولكن ظهر أن كثيراً من مصاهراته كان سياسياً أو كان بغرض ارتبائه من نوع آخر من بنات معارضييه أو أعدائه أو بغية أن يكون له ولد ذكر.

ولنا تعليق أخير على هذا أن هذا المقال : أولئك الذين أخذوا على النبي «محمد» - عليه الصلاة والسلام - أنه عدد زوجاته تحت وطأة الميل الجنسي ، ألم يسألوا أنفسهم بماذا إذن يسمى زواج نبي الله «سليمان» بألف امرأة كما ورد في التوراة (سفر الملوك الأول ١١ : ٣).



مهزلة الرفق بالحيوان.. لدى الغرب ؟

عالم الحيوان كما يذهب العلماء ينقسم إلى عوامل خمسة (البدايات، والطلائعيات، والفطر، والنبات، والحيوان).

والحيوان كما جاء في «المعجم الوجيز» هو كل ذى روح، ناطقا كان أو غير ناطق ويعرف أيضا أنه: كائن حي يمتاز بالحياة والحس، متحرك بالإرادة وأنه كل ما يختص بالنفس الحيوانية، بخلاف الإنسان الذى يختص بالنفس الناطقة، وغير الإنسان من الحيوانات يسمى بالحيوان الأعجم كما جاء فى قاموس محيط المحيط.

ويُعرّف الحيوان علميا: بأنه تجميع متكامل من أجزاء تركيبية، وأجهزة تؤدي العمليات الفسيولوجية المختلفة الضرورية للحياة، ولقد ذكر الله فى كتابه الكريم - تصنيف الحيوان وأقسامه - فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة النور- الآية ٤٥].
قد كرم الله الحيوان فسمى سورا كاملة بأسماء بعض الحيوانات وكذلك الحشرات مثل: سورة البقرة، سورة الأنعام، سورة الفيل، وسورة النمل، وسورة النحل، وسورة العنكبوت.

قد أوصى الرسول - عليه السلام - بالحيوان فقال لأصحابه: «عذبت امرأة فى حرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتهها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض».

وعندما قدم رجل على رسول الله فقال له: «إن لأرحم الشاة أن أذبها». فقال الرسول له: إن رحمتها رحمك الله».

فقد شاهد عمر بن الخطاب رجلا يجر شاة ليذبحها. فضربه بالدرة وقال له: «سقاها إلى الموت سوفا جميلا.. لا أم لك».

استنكرت جمعية الرفق بالحيوان الأمريكية قيام العلماء الروس بإرسالهم كلبا إلى الفضاء.. وقال رئيس الجمعية: إن احتجاجا شديد اللهجة سيسلم لروسيا عن طريق وزارة الخارجية استنكارا لهذه الفعلية الشنعاء التى أقدم عليها السوفييت !!!.

أما فى إنجلترا وفرنسا فقد التاعت منهم القلوب ، وأطلقوا على أنفسهم اسم «أصدقاء الكلاب» .. ووقفوا دقيقة صمت احتجاجا على وضع كلب فى القمر الروسى الثانى الذى أطلق منذ أيام ، وقد وصفوه بأنه عمل وحشى مجاف للإنسانية !! .

وبلغ بهم الأمر إلى أنهم أنشأوا جامعة للكلاب !! عجباً !! إذا كان فى إنجلترا وفرنسا أناس يمثل هذه الضمائر الحية .. والنفوس الحساسة التى تشفق على الحيوان وتتألم له . فلماذا لا يوجد فى هذه البلاد من يشفق على الإنسان ، ويتألم له ؟!! .

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى يراق دمه كل يوم فى الجزائر فى أقذر حرب عرفتھا البشرية ؟!! .

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى ضرب ومازال يضرب كل يوم بالقنابل والصواريخ المميّنة ، وعلى أيديهم فى فلسطين ، وفى غيرها من البلدان ؟!! .

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى يتعذب ، ويتعرض كل يوم للفناء والدمار نتيجة لأطماع المستعمرين .. وأعمالهم التى تخرج عن الضمير وتنافى المبادئ التى نادت بها جميع الأديان ؟!! .

كفى هزلاً يا سادة !! .. وإذا أردتم أن تكونوا إنسانيين حقاً فكونوا أصدقاء لأخيك الإنسان .. قبل أن تكونوا أصدقاء للكلاب ، والحيوانات !! .

فقد زين لكم الشيطان أعمالكم فصدكم عن السبيل فأصبحتم لا تهتدون .



الرقص على البارود.. ؟

يقول صاحب كتاب - الرقص على البارود - رحمه الله.
بعض الناس يبحث في الأرض عن الذهب. والبعض الآخر يبحث عن التعب.
والذى لا شك فيه أن رئيس وزراء إسرائيل ومنذ أن ولى حكم إسرائيل وهو يبحث
(جاهداً) عن التعب؟!.

«نتانياهو» لا يكل ولا يمل، منذ أن سربته النسبة الضئيلة التى رجحت كفته فى
الانتخابات الإسرائيلية، لإدارة دفة الحكم فيها. فى أن يجعل بلده والمنطقة المحيطة به.
بل والعالم برمته يعيش فى قلق، ويحيا فى ضجر، من جراء سياسته الطائشة التى يتبعها
تجاه فلسطين، وسوريا، وجنوب لبنان والتى قوامها التسلط والكبرياء، وصم الأذنين عن
سماع كلمة الحق التى هى كلمة الله، وبشارة الأنبياء.

إنه لا يستمع إلى نصيحة تزجى، ولا إلى كلمة حق تلقى عليه، فهو يحثو التراب فى
وجوه المخلصين من ناصحيه والصادقين من محذريه من مغبة سياسته الخرقاء التى لن
تجدى قتيلًا، إلا فى جر الولايات إلى إسرائيل نفسها قبل غيرها.. وقديما ألقى اليهود
بالنبي «أرميا» إلى التراب لأنه أنبا الناس بسقوط «أورشليم».. وقالوا فى تعليل ذلك أن هذا
الرجل لا يبشر إيانا بخير، فهو علينا وليس منا.

وكذلك يفعل نتانياهو بكل من يخبره بعواقب غطرسته وتعنته وإصراره على استلاب
حق الغير، فهو جد سعيد بأن يجد العالم كله يرتجف من جراء حمق سياسته وغباء
تفكيره وفعلته.

تقول صاحبة كتاب «البحث عن المتاعب»:

إن «هتلر» كان يطر به ويشجيه أن يرى العالم يرتجف أمامه وقد كان بحاجة إلى
(الإثارة) حاجته إلى الطعام والشراب.

فهل لنا أن نقول إن نتانياهو كسلفه الآخر يبحث عما يثير.. دون ما نظر إلى (ماكان)
مع سلفه الشقى العنيد؟!.

إن نتانياهو يرفض التفاوض حول القدس الشريف ويصر على بناء المستوطنات، ويأبى
الجلء عن هضبة الجولان ويمعن فى ضرب جنوب لبنان، ويدوس على اتفاقية (أوسلو)

رافضاً مبدأ الأرض مقابل السلام.. فهو لا يعبأ بخصومة أو وئام يلوذ بالمانورة ويلجأ إلى
المراوغة ويعتنق سياسة اللف والدوران.

ونحن نقول لك:

الزم بيتك يارجل واترك السياسة لمن له فيها باع قبل أن تباع؟!.



السبت الدامى.. وضرورة القبض على الجانى

بلغ السيل الزبى.. وراجت الجريمة لإدبار الدولة وضياع هيبتها، افترس طائر حلم ثورة يناير الجميل. فلقد ذهب الخب «بأولاد الأفاعى» كما وصفهم «السيد المسيح عليه السلام». بعقولهم وجلبوا لوطنهم الويل والثبور وعظائم الأمور، وخلفوا وراء ظهرانيهم، لهم، ولها العار والشنار، وسوف يجعلهم الله سبحانه وتعالى «سلفاً ومثلاً» للآخرين. زرعوا لواعج الحزن للآباء والأمهات الذين فجعوا فى فلذات أكبادهم، على يد هذه العصبة الخائنة الجبانة، وبعد الأحبولة التى نصبوها لاصطياد الحياة، فماذا يجدى الأمل مع موت هؤلاء الشهداء؟.. وماذا يجدى الأمل فيمن فقد وحيدة وفجع فيه، والكل يرثيه؟ لقد أودت الدنيا بكل آماله وغابت مطامحه ومطامعه؟.. وماذا يجدى الأمل مكفوفاً فقد بصره إلى حيث لا يرده عليه طب ولا مال، فى الحال أو فى المآل؟.

الوطن برمته تائه كأنه قوم موسى فى الليلة الليلية تُركت الساحة على اتساع رقعتها لفئة ضالة آثمة هبطت على البلاد فأقضت مضاجع العباد، وكانت مهبط أذى أصبح يختال ويغتال، فقد أمسّت الأرض بلقعا يمرح فيها بفسقه كل شيطان مريد، ولسان حاله يقول: «هل من مزيد؟». واقتلعت العاصفة الهوجاء أمامها الأبرياء، تاركة لذويهم الحزن والأسى والدموع التى هى كدموع الخنساء. وهل أعاد البكاء الذى ذرفه ملوك الطوائف على جدران قصر الحمراء الأندلس. إلى أصحابها الفرقاء؟. إن أوهن الأشياء هو قتل الضعفاء بشريعة الحمقى الأغبياء. فمن - ذا - الذى يمسح دموع الأم الثكلى التى أطلت بوجهها علينا من خلال - التلفاز -، والههم يملأ مقلتيها، والغم يحفر وجنتيها، وهى التى فجعت فى ابنها تصرخ وتولول: ليتهم أعجزوه.. ولم يقتلوه.. ليت الموت أبقاه؟.

يقول «كعب الأحبار التابعى» مثل الإسلام السلطان. والناس مثل الفسقاط، والعمود والأوتاد، والفسطاط هو الإسلام، والعمود هو السلطان، والأوتاد هم العباد ولا يستقيم بعضها إلا ببعض. أما الإسلام فهل أباح الغدر والخيانة وقتل العزل الأبرياء؟. وأما السلطان فهو من بشاعة جرمهم حيران، وأما العباد، فقد تركوا العتاد ثقة فيما قيل لهم عن الأمن والأمان.

والسؤال: من ذلك الذى امتشق سلاح الغدر يوجهه إلى القلوب، ويصوبه إلى العيون بكل خفة ومجون؟!

إن دم الشهداء الأبرياء تطالب السلطان بجدة البحث عن هذه الوحوش الكاسرة التى شريعتهم هى شريعة الغاب، أرادت لمصر الخراب واليباب؟ القول بأن ثمة طرفاً آخرًا ليس من الشرطة وليس من الجيش والجانى فإننا نربأ بأنفسنا على مد أصابع الاتهام إلى أحدهما أو كلاهما، فهما أشرف من أن تلتخ أيديهم بدم المصريين الخلاء، وأما عن ذلك القول بوجود طرف ثالث: هو الآثم الجانى فهو لا يسمن ولا يغنى من جوع.

إن حد الله يجب أن يطبق على هذا المجرم العتيد الذى ينتظره مصيره الفاجع، فهو لما يزل يمرح بيننا هو وأترابه من الملاحين الذى يقبعون فى بيوتنا يلتمسون الملاذ والنجاة، فهيئات هيئات أن يفلتوا من جرمهم، فإن ربك لهم بالمرصاد، ولن يهدأ الموتى الشهداء فى أرماسهم إلا بعد إنزال صارم العقاب عليهم، فقد طرفت الدنيا عيونهم، وسدت سامعهم الشهوات، هم من تبعهم من الأغوات.. ومن لم يتعظ بالقرآن يأتى بالسلطان. وإلى من أصبحوا لمصر سادة، وعنهما زادة.. أسوق إليكم قول الشاعر اليمنى (الأودى):

لا يُصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ولا سَراة إذا جُهاَلهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد

إن السبب الدامى يوجب عليكم القبض على الجانى.. فهل أنتم فاعلون؟..
إننا لمنتظرون.



الشعب الذى يفرط فى كرامته.. تضعيع هيئته؟! ..

نعم هى سيف بتار .. على رقاب المصريين الأحرار! لا جَرَم تفلّه أمريكا على كل طالب معونة.. أو حتى من يرغب فى أيقونة!.

كان شيكسبير يقول: «أخذت منى نقودى.. لم تأخذ منى شيئا.. أخذت كرامتى.. أخذت كل شئ» انحرفت أمريكا عن مقولة شكسبير أو «آبدته» «والآبدة هى الكلمة التى تذهب فى أسمع الزمن مذهب الخلود»، وأرتأت أمريكا بل انتهجت نهجا اعتمل فى قلبها، وأصبح من علامات فكرها يتحصل فى أن من يأخذ منها دولارا فلا محيص له ولا معدى له، بعد أن أصبحت هى تابعا أن يكون هو - كذلك - متبوعا لها، يترسم خطاها، ويسير على هداها، بل ولا مانع لديها أن تمتطى صهوة ظهره تسوقه أنى تريد وكما عن لها أن تستفيد، وإلا فهو بعد أن تحصل منها على «ذهب المعز» فإن «سيف المعز» يظل مصلتا على عنقه. صحيح أن الشعب الأمريكى شعبا طيبا ودودا متدينا.. وصحيح أن أمريكا أسدت للحضارة الغربية مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة منذ زمان بعيد يوم أن أقرت اللائحة التنفيذية لولاية فيرجينيا عام ١٧٧٧ والتي أبنت أن تحدد فيها دينا رسميا للولايات المتحدة الأمريكية مما دفع الرئيس الأمريكى «توماس جيفريسون» أن يقول: «إن التعديل الدستورى الأول لبلاده عام ١٨٠١ قد نجح فى أن يفصم العرى بين الدين والدولة وبحائط صلد صلب ولم يحل هذا من أن تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية بعض الرموز الدينية ومنها ما طبع على عملتها (الله نثق)، وأسفل علمها «بأمر الله». واستمر الزمن فى دورته وبعد أن كانت الدولة العثمانية ملء السمع والبصر أمست رجل «أوروبا المريض» كما وصفها المؤرخون، وبمقتضى معاهدة ١٨٥٣ فقد أصبح لها حق رعاية سلطانها من المسيحيين الأرثوذكس، ثم جاء الاتفاق الودى الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا والنمسا من جهة، ومن جهة أخرى بين الدولة العثمانية على ما سمي بالخط «الهمايونى» الذى أعطى الدول المتعاهدة حق رعاية المسيحيين فى الدولة العثمانية؟.

وبعد أن تفككت أوصال الاتحاد السوفيتى وقد كان يقاسم أمريكا قيادة الأنظمة العالمية أضحى أمريكا هى بؤرة العالم والقطب الأوحده فيه، دون منازع أو شريك، ومثل كل

حضارة من حضارات العالم القديم التى سادت ثم بادت استبد الغرور بأمريكا ومشت على درب نظام دول الاستعمار القديم واعتنقت «مبدأ من ليس معنا فهو علينا» وأمعنت نظرها وأعملت فكرها فى كيفية الهيمنة على دول العالم برمتها، فاستنت قانون (يزمون هليم) الذى أطبقت يدها من خلاله على كوبا مشددة الحصار عليها وأنزلت من رحمها قانون «داماتو» الذى فرض عقوبات على كل من (إيران، وليبيا) لخروجهما عن الخط الأمريكى ثم أنزلت جنينها الثالث: (ثلاثة الأثافى) متمثلا فى قانون الحماية الدينية تحت مسمى «الاضطهاد الدينى» والذى أشرف عليه عضو الكونجرس الأمريكى (ليبرمان) وكونت من ثنياه لجنة خاصة، نسميها نحن (لجنة الأشقياء) كما وصف الزعيم «سعد زغلول» «لجنة ملنر»، أصبحت مهمتها بلغة النيابة العامة موالاة البحث والتحرى لمعرفة الفاعل: أى فاعل؟!.. هو ذلك الذى يخرج من نطاقها من الدول، بما أسمته «بالحرية الدينية» وعلى تلك اللجنة المذكورة أن تبحث وتنقب عن ذلك الفاعل (المجهول)؟!.. (والمعلوم) سلفا لدى أمريكا! والذى يضبط منها متلبسا مرتكبا جريمة الإضطهاد الدينى حتى ولو كانت هذه الجريمة لا تقوم على أساس أو أدلة أو مضامين أو براهين، وحتى لو كان ذلك هو التدخل بعينه فى الشأن الداخلى لأية أمة من الأمم ومن بينها - بداهة - مصر - والتى أسمت أمريكا المسيحيين فيها (بالأقلية المغلوبة على أمرها) مما دعا قائد الوطنية المسيحية فى مصر «البابا شنودة الثالث» - شفاه الله وعافاه - إلى أن يجأر بملء فمه: «لا يجب أبدا أن يطلق علينا أقلية لأننا جزء من النسيج الوطنى المصرى». وقد تناست أمريكا الوضع القائم على أرضها والذى جسم التفرقة العنصرية الصارخة بين أبناء الوطن الواحد ببناء كنيسة على أرضها أحدهما سوداء، والأخرى بيضاء!، ناهيك عن التفرقة العنصرية التى عاشت على أديمها، وسودت تاريخها، عقودا طويلة ضربت فى الزمان والمكان، وراح بسبب منهاضته لها - مع الألوف من الزوج -، الدكتور «مارتن لوتر كينج» بعد أن أودى بحياته رصاص البيض، وذلك فضلاً عما ارتكبته من مجازر فى حق الهنود الحمر، وقد كان ذلك محل - مقال لنا - فى هذه الصفحة الغراء، وقد كان منهم، بما لم نذكره فى مقالنا هذا، قادة الهنود الحمر العظام، «السحابة الحمراء» و«يوتابكا» و«كوانا باركر» والزعيم «جرينوبو» والذى قبض الجيش الأمريكى عليه دون جريمة ارتكبها سوى الدفاع عن أرض أجداده الأوائل وسيق مكبلا بالسلاسل حتى مات مصابا بالسل فى محبسه، ثم جاءت

معركة «نهر البرعوم» لتكون النهاية القاسمة للهنود الحمر أصحاب أمريكا الأصليين.. ولم تقم قائمة لهم بعدها.

وما برحت أمريكا تلعب بالدولار، وبالمعونة الأمريكية، تشمخ بها وتتعالى على حريات الشعوب، مع أن هذه المعونة لا تغنى ولا تسمن من جوع فقد أفادت دراسة قام بها مكتب «الإنفاق الحكومي» التابع للكونجرس الأمريكى بأن المساعدة الأمريكية لمصر تساعد تماما فى تثبيت الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية فى المنطقة العربية.

وقد أزمعت أمريكا أن تشد مصر إلى بحر الظلمات وتنجرف بها إلى الهاوية.. وإلا فما معنى هذا المشروع الجهنمى الذى تفتق عنه ذهن ثلاثمائة من زبانيتهـا أو بالأحرى شياطينهـا، والذى دعوا فيه لإصلاح حال التعليم فى مصر، وذلك بإلغاء الحروف العربية وتطبيق الاتجاهات اللاتينية «Hisponization»، وما يستتبع ذلك - بدايةً - بإلغاء المناهج القومية القائمة بما فيها المبادئ الدينية المستقرة فى وجدان المصريين.. هل هى المعونة الأمريكية التى دفعتهم إلى هذا.. أم ماذا؟

يقول السيد المسيح عليه السلام - لليهود - «أنا هو الخير الذى نزل من السماء» (يو ٦ : ٤١)، وتقول أمريكا: «إنما أنا الدولار الذى ينزل عليكم كما ينزل الغيث من السماء»، «ولا يتناطح فى ذلك عنزان»! كما عبر «مارجرسيا ماركيز» الفائز بجائزة نوبل للأدب، فقد أصبح الدولار الأمريكى مثل الدينار البرمكى، ودينار الأمبراطور فوكاس، وكذلك دينار هرقل؟! يجب أن يدخل التاريخ! ولسان حال أمريكا يقول فى هذا الصدد: «ويُظلم وجه الأرض فى أعين الورى: بلا «شمس» دينار «ولا بدر» درهم؟! فأمرىكا عندما يخرج منها الدولار تعتنق قول الشاعر (ابن النضر):

لا يألف الدرهم الصَّيَّاحُ صُرْتَنَا لكن يَفِرُّ منها وهو منطلق

هذه هى الإدارة الأمريكية التى قر قرارها على أن تهيمن على شعوب العالم «بدولاراتها».. هذه الإدارة التى يجب أن تعى تماما أن المعونة الأمريكية إما إنها شراكة بين مصر وبين دولتهم.. شراكة على قدم المساواة، وإلا فمن الحتمى مع تاريخ مصر وثورتها أن تلقى هذه المعونة على قارعة الطريق..

لا تدفعونا يا من تديرون دفة الحكم فى بلادكم أن نقول لكم كما قال لكم أيضا «Michael Rowbotham» فى كتابه (Goodbye America).. وداعا أمريكا.

الصحراء الغربية.. والحدائق الشيطانية؟!..

نشرت الصحف أن كشفًا بتروليا مهما للغاز بالصحراء الغربية قوامه ١٢ مليون قدم وخمسة آلاف برميل إنتاجا يوميا قد توصل العلماء إليه.

وصرح المهندس عبد الله غراب وزير البترول والثروة المعدنية التزام قطاع البترول بتحقيق الأهداف والمصالح العليا للدولة بالعمل على سرعة برامج الحفر المكثفة لسرعة تنمية الحقول المكتشفة.

والصحراء الغربية تتميز باتساعها الشديد فمساحتها ٦٨ ٪ من مساحة مصر ويوجد بها مناطق جمة غير مأهولة وذلك لانتشار حقول الألغام على مساحة كبيرة من هذه الصحراء بما يطلق عليها حدائق الشيطان.

وحدائق الشيطان هي هاتيك الألغام التي زرعت في الصحراء الغربية أثناء وبعد معركة العلمين - بين القوات الألمانية والإيطالية بقيادة الجنرال أرفن روميل من ناحية، وبين قوات الحلفاء بقيادة الجنرال مونتجمري، من ناحية أخرى، وكان ذلك خلال وبعد معركة العلمين ولما تزل هاتيك الألغام مغمورة في أديم مصر في جوف الصحراء الغربية تلظى بنارها من تسول له نفسه، ارتيادها.

وها هي ذى الأخبار تترى أن الأمم المتحدة قد حذرت من ارتفاع عدد ضحايا الألغام، والمخلفات الأرضية في مصر خلال الشهور الخمسة عشر من العام قبل المنصرمة، وأردف تقرير الأمم المتحدة قائلا: إن عدد ضحايا الألغام بلغ خلال هذه الفترة عددا لا بأس به من القتلى ناهيك عن العديد من الجرحى. وأكد التقرير ارتفاع نسبة الإصابات بين المصريين بنسبة تعدت الخمسين في المائة.

ومن الثابت علميا أن حوالى العشرين بالمائة من الألغام الموجودة على مستوى العالم تتركز في مصر حيث تعد مصر ثاني أكبر دولة مليئة بالألغام على مستوى العالم بعد أنجولا، مما يعنى أن أكبر دولتين مزروعتين بالألغام، توجدان في قارة أفريقيا.

ولا مشاحة أن مأساة الألغام تعتبر أسوأ وأطول مأساة عاصرت أحداثها الحرب العالمية الثانية وقد أطلت على مصر بوجهها القمئى فى خضم المعارك العاتية التي دارت رحاها

بين قوات الحلفاء، والمحور، وأشهرها (معركة العلمين الكبرى) وهى كذلك - الأخطر - لأنه منذ زراعتها فى مصر وهى تحصد أرواح المصريين الأبرياء المرة تلو المرة. مع تعاقب السنين، وكر الأيام فى أبشع جريمة ضد الإنسانية ناهيك عن أنها قد أدت إلى حرمان مصر من خيرات أرضها التى تموج بها هذه المنطقة من ديارها إذ أنها تزخر بالثروات الطبيعية والبتروولية، والإمكانات الزراعية، فضلا عن الأثرية والسياحية، بالإضافة إلى النهضة العمرانية التى طال انتظارنا لها وهى تفتح ذراعيها للمصريين.

أما الخسائر الاقتصادية التى نجمت جراء ذلك، فحدث ولا حرج. فمنطقة العلمين، وتخومها، تحتوى على حوالى مليون وربع مليون فدانا من الأراضى الصالحة للزراعة.. وهى مليئة بالمياه الجوفية، وأرضها من أجود وأخصب الأراضى الصحراوية لقربها من وادى النيل.. وقد وصفها الخبراء الثقات بأنها - تبدو - وكما تيقن لهم «كباخرة عائمة فى حوض من الذهب الأسود .. البترول».

والذى لامرية فيه - إن جريمة بث الألغام، ودسها فى أعماق أرض مصرية - وهى الصحراء الغربية - كانت من (صروف الدهر) - (ولا يعاند الدهر إلا كل ذى خطي)، ومسئول عنها كل من اقترفها فى حق مصر إذ وضع بقعة غالية من تراب هذا الوطن فى برزخ من الآلام، وقد زلقت بها أرجل الدول الثلاث: ألمانيا وإيطاليا، وإنجلترا وكما ألعنا من خلال جحافل قوادها، وجنودها الذين جاسوا خلال أرض مصر - إثر حرب ضروس بينهم لم يكن لمصر فيها (ناقة ولا جمل).. وقد باتت تحكم على أرض الكنانة أطرافها، وتستتر فخاخها حتى لم يبق مع وجودها فى قوس الصبر منزع؟!.

ولقد كشفت الدكتور إيمان غنيم مديرة معمل أبحاث الفضاء بجامعة نورث كارولينا الأمريكية من أن المياه المنهمرة والتى هطلت على صحراء مصر الغربية منذ عشرات السنين قد حفرت بئرا يسمى «بئر كيفرا» كون امتدادا لخزان جوفى كبير قابع أسفل بحر الرمال الأعظم موضحة أن هذه المياه هى «تسريبات» لممر مائى عملاق مدفون فى باطن الأرض المصرية وتمثل ممرا هائلا من المياه الجوفية مطمورة تحت الرمال، وهذا معروف لدى غالبية علماء الرصد الفضائى والجيولوجيا لأنه من الثابت علميا أن أى نهر يجف لعوامل التغيرات المناخية والزمن يتجمع أسفله خزان جوفى، يتوقف حجمه على طبيعة الصخور والأرض الموجود بها مؤكدة أن طبيعة أراضى المنطقة المحيطة بهذا المر تتكون من صخور حجر الرمل النوبى المعروفة بمساميتها الشديدة .

وأضافت الدكتورة الباحثة أن رصد هذا الممر استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل بالأقمار الاصطناعية الرادارية، التي تمكن من مشاهدة ما تحت الرمال بوضوح بالغ وإنه طبقا لتجارب علمية عديدة، يمكن القول أن أسفل هذا التجمع المائي توجد طبقات من حجر الرمل النوبي الذى شرب من مياه هذا الممر الأشبه بالنهر وقت سريان المياه فيه قبل آلاف السنين، ثم خزنها فى مسامه، وقام بحفظها نقية .. فيما يشبه الثلاجة الطبيعية. وأوضحت الباحثة المصرية أن المنطقة المحيطة بهذا الممر المائي فى الصحراء الغربية كانت قبل «خمسین ألف سنة» أشبه بالغابات الاستوائية، أو غابات «السافانا». بسبب انهيار الأمطار بشدة غالبية العام، فى هذه الفترة، لافتة إلى أن التغيرات المناخية وعوامل الطبيعة التى طغت على المنطقة بمرور الزمن تسببت فى دفن ذلك المجرى المائي، واندثار الحضارة المحيطة به، وهذا يعنى أن نهرا عظيما يقبع داخل رمال هذه الصحراء يبشر بنهضة زراعية كبيرة فيما إذا لو استغل على النحو العلمى السليم بعد أن تعمل الدولة جاهدة على دفع الدول التى أجمرت فى حقها وفى تاريخها على نزع واقتلاع الحقائق الشيطانية التى عاقت تقدم النهضة فى هذه البقعة الهامة من تراب مصر.

لما كان ذلك وكان القانون الدولى الإنسانى (International Humantarian Law) وهو مصطلح جديد ظهر ليطبق على النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية. ونص فى البرتوكول الثانى (فى الفقرة الثالثة من المادة الثالثة وكذلك الفقرة الثانية من المادة الرابعة) من الاتفاقية المنبثقة منه قد جاء مجرما لزرع الألغام والأفخاخ المتفجرة وعلى حظر الإستعمال العشوائى للأسلحة التى تنطبق عليها هذه المادة وهى الألغام والشراك الخداعية، كما أشار هذا البروتوكول إلى حظر استعمال الألغام فى أية مدينة، أو بلدة، أو قرية، واتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية المدنيين من آثارها.. كما جاء فى عجز هذه المادة منع استعمال الألغام ما لم يكن كل لغم منها مزودا بألية فعالة لإبطال مفعوله حيث لا يعود فى وسعه أن يخدم الغرض العسكرى الذى بث من أجله.

ولقد كان لآباء القانون الدولى الحديث ومنهما الفقيه الهولندى «جروسويس» و«فاتيل»، الفصل فى نص القانون الدولى على نظرية الخطأ، وكذلك نظرية الفعل الغير مشروع (Acte illicite)، ووجوب تعويض الدولة التى تصاب بضرر من دولة أخرى جراء العمل الغير مشروع فتفتنت به الثانية على حق الأولى فهنا تنهض المسؤولية الدولية المطلقة لتقوم

بواجبها بهذا الخصوص بالنسبة للدولة التي حيف عليها ووقع عليها الضرر وارتباط هذا الخطأ بذاك الضرر ارتباطاً لا يقبل التجزئة، مكوناً علاقة سببية بينهم.

لما كان ذلك كذلك. فلا جناح على مصر أن تتحرك في حينه لمخاطبة أولئك الذين زرعوا هذه الحقائق الشيطانية وهم ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا.. لما أن هذه الحقائق الشيطانية التي زرعوها في أرض مصرية هي بالفعل (حقائق).. وليست حديقة واحدة؟!.. وقد أُمست ذات حول وطول، آن الآوان لاقتلاعها من جذورها حتى تستطيع مصر أن تعمر قطعة عزيزة من أرضها أصابها الإهمال والنسيان وجار عليها الزمان.



الصفات التي يجب أن يتحلّى بها القاضى

بزغ فجر الإسلام ليضع دستوراً يجب أن يسير عليه القاضى تمثل فيما كتبه على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - إلى الأشتر النخعى «لما ولاه مصر» وجاء فيه:

اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك فى نفسك، فمن لا تضيق به الأمور لا يتمادى فى الزلة، ولا يحصر من الفىء إلا الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى منهم إلى أقصاه. أوقفهم فى الشهادة وأخذهم بالحجج وأولهم تبرماً بمراجعة الخصوم وأصبرهم على كشف الأمور وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهبه إطراء ولا يستميله إغراء، ولا يخشى فى الحق لومة لائم.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن «الحسن بن على» رضوان الله عليهما «شهد لأبيه على قنبر» عند «شريح» القاضى - فى درع خاصم فيه يهوديا، فأنكره فقال شريح لعلى بن أبى طالب - كرم الله وجهه، إيتنى بشاهد آخر. فقال على: مكان الحسن؛ أو مكان قنبر؟ قال شريح: لا، بل مكان الحسن. فقال على بن فى طالب: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. فقال شريح: قد سمعت، ولكن إننى بشاهد آخر يا أمير المؤمنين. كى أقبل شهادة ابنك له؟.

وكذلك فيما خطه عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه فى قوله:

إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل :

١ - علم ما كان فعله.

٢ - ونزاهه عن الطمع.

٣ - وحلم على الخصم.

٤ - واقتداء بالأئمة.

٥ - ومشاركة أهل العلم والرأى.

ومما قيل فى آداب القاضى:

«وأما آداب القاضى فيجب أن يكون ذا دماثة مشهودة وسيرة مشكورة وصيانة معروفة

وعفة مألوفة ووقار وسكينة ونفس شريفة، تام الورع، خاليا من الطمع، منزها عن ملابسة الرذائل ومخالطة الأردال، شديداً غير عنيف، لينا غير ضعيف».

ولله در سيدنا عمر بن الخطاب فى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى حين قال له حين عينه قاضيا:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب. أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس (أبى موسى الأشعرى):
سلام عليك، أما بعد:

فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فإنه إذا أُل إليكَ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى خصمك، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، «فإن الحق قديم»، ومراجعة الحق خير من التماذى فى الباطل الفهم الفهم فيما يلجلج فى صدرك، بما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهى إليه، فإذا أحضر بينته أخذت له حقه، وإلا استحال عليه القضية، فإنه أنقى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض. إلا مجلودا فى حق ومجربا عليه شهادة زور أو ظنا فى ولاء أو نسب.. وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات..

ويلخص ابن القيم الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى فيما يلى:

أولا: أن يكون كاملا فى نفسه.

ثانيا: الذكورة: لأن المرأة، لا يجوز توليها القضاء إلا أن ابن جرير الطبرى يرى جواز تسولى المرأة القضاء كالرجل، وأبو حنيفة يرى توليتها فيما تصح فيه شهادتها، وتصح - فيما يرى - فيما سوى الحدود والقصاص.

ثالثا: الحرمة: فإذا انعدمت حرمة القاضى لأى سبب لم يجوز قضاءه.

رابعا: الإسلام فلا يجوز أن يكون الكافر قاضيا على المسلمين وجوز أبو حنيفة توليته على أهل الذمة، وجوز شهادة بعض أهل الذمة على بعض.

خامسا: العدالة وهى صدق اللهجة وظهور الأمانة والعفة عن المحارم والبعد عن الريب، والأمن فى الرضا والغضب.

سادسا: أن يكون عالما بالأحكام الشرعية.

سابعا: أن يكون عاملا بأصول الشرع الأربعة، فلا يجوز تولية من ينكر أيا منها.

العقاد.. وأقول العقل؟!..

فى بواكير هذا القرن، الذى أوشكت شمسهُ أن تغيب، دعت مجلة الهلال المصرية، عملاق الفكر العربى الأستاذ عباس محمود العقاد، وعميد الأدب الدكتور طه حسين أن يكتب كل منهما مقالا عن الآخر: عما يعنيه، وعن فكره وأدبه، ويدلى بدلوهُ فيه.

وبعد أن أفاض كلاهما على الآخر ثناء وإطراء، قال الدكتور طه حسين فى معرض نقده للعقاد: «إن عقل العقاد أطول من لسانه».. ورد عليه الأستاذ العقاد قائلا: «إنه بالقياس على ما قاله الدكتور طه عنى فإننى أقول: إن لسان الدكتور أطول من عقله!».

أراد الدكتور طه حسين بمقولته السابقة أن يبين أن (الجانب العقلى) يغلب دائما على الأستاذ العقاد فى كتاباته. وهدف الأستاذ العقاد إلى أن يوضح أن الجانب العاطفى يجور على الجانب الفكرى فيما يخطه عميد الأدب.

وفى احتفالية حضرها رهط من الأدباء، وكوكبة من المفكرين، وزمرة من العلماء فى عيد ميلاد الأستاذ العقاد، وقد بلغ السبعين، سأل سائل الدكتور الفيلسوف زكى نجيب محمود عن رأيه فى فرسان الأدب الثلاثة: العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، فأجابه: «إن طه حسين يمثل فى كتاباته (الأديب). وتوفيق الحكيم يمثل (القنان) أو الفن. كما ذهب مجمع اللغة العربية. أما العقاد فيمثل فى كتاباته (المفكر). وهذا هو مثلث الأدب العربى الحديث.

وفى سفره الضخم الفخم غير المسبوق (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) كتب الأستاذ الكبير أنيس منصور من بين ما كتب يقول: «كان عقل الأستاذ العقاد كالشمس المتوهجة.. وكانت عقولنا لها طبيعة الشمع وطبيعة الزبد، وكنا نخاف عليها أن تذوب.. فلا نكون شيئا.. ولذلك كنا نجلس أمامه وقد أنحنينا احتراما له. وإخفاء لما عندنا وهو قليل، ووقاية لقلوبنا وعقولنا.. لولا هذا الخوف على ما عندنا لانفتحنا له أكثر، وتمددنا فى شمسهِ ونعمنا بظلاله.. ولكن عذرا أننا كنا صغارا.

وأردف الأستاذ أنيس قائلا - وقد كان يومها يدرس الفلسفة بالجامعة: «إن فهم الأستاذ العقاد للفلسفة التى ندرسها أحسن. وأدق. وأوضح».

ومن نافلة القول - أن نذكر - أن الكثيرين من شائنى الأستاذ العقاد أو قل ممن عجزوا عن استيعاب أغوار أدبه نثرا، أو أعماق فكره شعرا، قد دأبوا يرومون نفى العاطفة عن العقاد، و يرومونه بالعقل دونها، إذ أن العاطفة فى «هواجسهم» مغيبة لديه، مع أن الأستاذ العقاد كان يمثل مع عقلانيته وجبروت عقله فيما دبجته يراعيته وأفاء به فكره. روح المفكر العبقري المتزجة بعاطفة الأديب اللوزعى، فقد مج مرقمه بالسحر. ينفثه أفانين وألوانا من الشعر العاطفى الذى يخاطب العاطفة، والوجدان وإن كان لا يطغى على العقل فالعقل إمام للأدميين وأولى بالاتباع من كل إمام.

نقول هذا، وقد أخذنا العجب العجاب فيما قرأناه أخيرا للدكتور مراد وهبة فى كتابه الذى أسماه (ملاك الحقيقة المطلقة). فقد جاء فى الصفحة السابعة والسبعين تحت عنوان (العقاد وأفول العقل) ما كتبته من أن فهم العقاد لـ (جوتة) قد جاء فى ضوء العقاد نفسه بلغته العربية التى تتميز بجرس موسيقى قد يطغى على إبراز الفكرة.. ولم تجئ فى ضوء التنوير ولا فى ضوء فلسفة (كانت).. وأغلب الظن أن العقاد لم يفهم روح القرن الثامن عشر إلا على أنه القرن المتعطش إلى المعرفة والحرية، وهذه ألفاظ بلا مدلول لأن التعطش إلى المعرفة والحرية لا يميز هذا القرن وحده وإنما الذى يميزه هو دعوته إلى تحرير العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل الأمر الذى أدى إلى أبداع الثورة العلمية والتكنولوجيا.

وتمنى الدكتور لو أن العقاد قد جاء نقده لـ (فاوست) من زاوية روح العصر، ولكنه لم يفعل. وإنما رد الإنتاج الأدبى لجوته إلى عبقرية جوتة.

وختم الدكتور مراد وهبة مقاله قائلا، والعقاد فى نهاية المطاف، لم يدرك روح عصر التنوير إذ يقول عن هذا العصر الذى نشأ فيه جوته إنه لم يكن عصر إحصاء بل كان عصر إحاطة وإجمال، وتمهيد من الإجمال إلى التفصيل.

وأنهى الدكتور مقالة بقوله: «وليس عندى من خاتمة توجز ما انتهينا إليه من تحليل فكر العقاد سوى.. عنوان هذا المقال» أى أفول العقل.

هل هذا كلام يا دكتور؟! وهل هذا هو النقد العلمى؟!.. وهل هذا هو ما تعلمه لتلاميذك فى الجامعة عندما يريدون أن يتصدوا لمسألة فكرية أو علمية أو لمقولة فلسفية، أن يتهموا صاحبها - إن اختلفوا هم معه فيما قاله أو كتبته أو رواه بأفول العقل!.. أليس بمكنتنا إذن أن نقول للأستاذ الدكتور أن ألفاظه هى الأخرى، كما رمى الأستاذ العقاد.

بلا مدلول (لأن الدعوى) إلى تحرير العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل كانت هي الأخرى مما يميز القرن السابع عشر. وكذلك القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وقد ظهر فيهما العديد من المفكرين والعلماء الذين أحدثوا انقلاباً في تاريخ العلم والتكنولوجيا، فقد كان (كوبرنيكوس) هو العالم الذى قام بالانفلاق الأكبر عن الماضى مبشراً بمجئ عصر العلم الحديث مع بدايات احتياج تمخض عنه أعظم كشوف القرن الخامس عشر: اكتشاف أمريكا وما تلاه من إبحار حول العالم عن فكرة كروية الأرض من استنباط عقلى إلى واقع عيني فى نهاية القرن الخامس عشر وألف كتابه العظيم «حول دورانات الكرات السماوية» فى منتصف القرن السادس عشر كما ظهر (فباليوس) الذى فجر ثورة فى علم التشريح، كما اكتشف (ويليام هارفى) الدورة الدموية، أو بالأحرى حل مشكلتها، كما نشر الإيطالى (فانوكر بيرينجيكو) عام ١٥٤٠ بحثه حول استخدامات النار فى العمليات التقنية. كما كان هناك فى عالم الرياضة (كبلر) و(بيزاجاليليو جاليلى) و(روبرت هوك) و(فرانسيس بيكون) وغيرهم من العلماء الذى أحدثوا ثورة فى كل مجالات العلم المتباينة. وفى غضون القرن السابع عشر ومنهم «إسحق نيوتن» الذى ابتكر حساب التفاضل والتكامل ناهيك عن نظرية الجاذبية الأرضية.

ثم أليس من الثابت - يادكتور مراد - أن مظاهر التطور فى حركة النقد الأدبى والتى كانت بمثابة الثورة العاتية على الكلاسيكية كما عبر الأستاذ الدكتور محمد زكى العشماوى قد تبلورت فى القرن الثامن عشر (وفى مذهب جديد)، كان أبرز صفاته التحرر والفردية. ومحاولة سبر أغوار النفس الإنسانية، واكتشاف أفاق جديدة لأسرار الابتكار والإبداع؟. فيم - إذا - كان خطأ الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه على نحو ما قلته: من أن الأستاذ العقاد لم يفهم روح القرن الثامن عشر، إلا على أنه القرن المتعش إلى المعرفة والحرية؟! وهل يميز القرن الثامن عشر وحده بدعوته إلى تحرير العقل من كل سلطان ماعدا سلطان العقل.. كما قلت؟!.

قال فولتير: «إنى أختلف معك فى رأى، ولكننى مستعد لأن أدافع عن رأيك أنت حتى الموت»؟.

ألم يكن من اللائق - يادكتور وهبة - إذن - أن تختلف مع الأستاذ العقاد دون أن تصمه بأفول عقله؟!.

كما كنا نود وأنت الأستاذ الكبير أن تيمم وجهك شطر هذا، وإلا تكون كمثل الذين
(قتلتهم أشعارهم)، أو - ياترى - هل أردت أن تقول للأستاذ العقاد ما قاله الشاعر إيليا
أبو ماضى للبحر فى قصيدته العصماء (الطلاسم):
إنما أنت بلا عقل، ولى يابحر عقل فلماذا ياترى أمضى وتبقى؟..
«لست أدرى!».



الغنم بالغرم.. والهنود الحمر؟..!

يقص علينا التاريخ أنه فى غضون عام ١٧٣٠ أصدر البرلمان الأمريكى تشريعا يبيح إبادة الهنود الحمر، كما أصدر قرارا بتقديم مكافأة كبيرة مقابل كل رأس مسلوخ لهندى أحمر سواء أكان رجلا أم امرأة أو طفلا صغيراً؟! حيث كان عدد الهنود الحمر سكان أمريكا الأوائل الأصليين يبلغ أثنى عشر ومائة مليون نسمة وصل بعد عمليات الإبادة لهم إلى أربعة ملايين فقط بعد أن حصدهم الأمريكيون حصدا يعيشون فى مخيمات وهى أشبه بمخيمات اللاجئين الفلسطينيين وفى مناطق أسوأ بكثير من أفقر المناطق فى العالم؟! ولم يبق منهم اليوم سوى مليون هندى أحمر مع إنهم لم يكونوا هنودا ولم يكونوا حمرا وإنما أطلق عليهم هذا الاسم «كريستوفر كولومبس» عام ١٤٩٢ عندما حط على أرضهم، ويعيشون فى محميات مستقلة أطلق عليها أماكن تجميع الحيوانات حيث أرغمت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية هذه القبائل على الانتقال والعيش فيها قبل أكثر من قرن من الزمان مع إنهم هم سكان أمريكا الأصليين (Native Americans)؟! وتعرضوا للمجازر الجماعية من قبل المستوطنين البيض سواء البريطانيين أو الفرنسيين أو الإسبان.

شبه المرحوم الكاتب الساخر الأستاذ محمود السعدنى رحمه الله - أمريكا - بأنها مثل «إبراهيم كروم» فتوة مصر فقد استطاعت - كما هو - أن تحطم كل الفتوات الآخرين وأن تزيعهم من طريقها وأن تدوس عليهم بالأقدام فالويل كل الويل لأية دولة تقف فى وجه أطماعها أو تتحدى إرادتها أو تخرج عن خطها فهى تارة تتدخل بنفسها لإزاحة أية دولة تجابهها، وهى تارة أخرى تستخدم - الآخرين - مثلما استخدمت إسرائيل ضد العرب حتى استلبت إسرائيل - فلسطين - من العرب؛ فلقد فلحت أمريكا فى وضع حكومة بريتوريا ضد أفريقيا، وباكستان ضد أفغانستان؛ والسان سلفادور ضد نيكاراغوا، وجواتمالا ضد كوبا، وتايوان ضد الصين، وكوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية.

فأمريكا هى البلد الوحيد التى تطلق على حكومتها اسم إدارة لأنها ليست دولة ولكنها شركة (الغنم فيها بالغرم).

وقد غرم الهنود الحمر من خلال ثقتهم فى أمريكا وغنمت أمريكا من خلال سحقها ومحقتها لشعب الهنود الحمر، فالهنود الحمر وكما أطلق عليهم هذه التسمية «كولومبوس»

عشية اكتشافه لأمريكا اعتقاداً منه أنه حط رحاله على أرض الهند، وكذلك درجت أمريكا على إطلاق هذا الاسم عليهم تمييزاً لهم عن الهنود السمر ثم بدلت أمريكا هذا الاسم إلى الأمريكيين الأصليين (Native Americans)، وكانوا كما عبر «راسل مينز» أحد المناهضين عن حقوق الهنود في الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ تعدادهم في الماضي حوالى خمسة عشر مليون نسمة ولم يبق منهم اليوم سوى المليون يعيشون في مخيمات مستقلة حقداً عليهم وإزدراء لهم، يحيط بهم أحاطة السوار بالعصم جيش من الأويثة والأمراض جرار وذلك من خلال أكبر جريمة عرفها التاريخ ومن بعدها ولدت جريمة اغتصاب فلسطين العربية من رحم الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها الذين دبروا اغتصاب فلسطين بليل.

ولقد أرغم الهنود الحمر عبر مسيرة طويلة من الإبادة على عقد ثلاثمائة وسبعين معاهدة مع الحكومة الفيدرالية الأمريكية انتهكت جميعها وأمسست ذرات تذروها الرياح بعد الفتك بأصحاب البلاد الأصليين وإذ رست حرب الإبادة مرفأً نجاحها. وقف زعيم من زعماء الهنود الحمر وهو يخاطب مفوضيه من الحكومة الأمريكية الفيدرالية كما جاء في الكتاب القيم «أساطير الهنود الحمر» للأستاذ إبراهيم جلال.. قائلاً لهم: «تطلبون منى أن أتنازل لكم عن الأرض؟ ولكن، هل أنا أملك الأرض حتى أملك حق التنازل لكم عنها؟ من يستطيع الزعم بأنه يملك الأرض والبحار والسماء؟! أنتم. عندما وصلتم إلى بلادنا، رحبنا بكم وعلمناكم كيف تبدؤون حياتكم الجديدة على أرض تجهلوننا، وتطلعنا إلى التعلم منكم. لكنكم رحتم تبيدون قطعان المواشى، وتدمرون الغابات، وتقتلون الناس!. نحن نأخذ من القطعان حاجتنا، ونأخذ من الغابات ما يلزمنا، فلماذا تبيدون القطعان وتدمرون الغابات؟! أشعر أن قلبي يدمى!».

أبادت أمريكا شعب الهنود الحمر وطمسست تاريخه محاولة أن تلقى عليه تراب النسيان وأثبت التاريخ أن «أندرو جاكسون» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق والذى يطلق عليه الهنود الحمر اسم «السكين الحادة» قد ذبح خلال عمله كضابط عشرات الألوف من الهنود فى أعجب وأغرب مأساة فى تاريخ البشر.

هل لنا أن نتعظ.. وأن نستقرئ التاريخ حتى نستبطن الظاهر، ونستظهر الباطن، ونعلم كيف يكون المغرم من البعض هو مغرم للآخرين كما حدث مع الهنود الحمر. وكذلك.. كما حدث مع شعب فلسطين؟!.



ألف ليلة وليلة.. والقضاء المصرى..

يقول كوكاردو: «cacardeau» من احتكاك الإحساس بالإحساس والرأى بالرأى تتألق الحقيقة ويكون لها ضياء، والذي لا مزية فيه أن مقارعة الحجة بالحجة توصل إلى الحق الذى يسفر عن العدل والعدل أساس الملك والعدل هو رسالة القاضى. وكما ذكر الفيلسوف «Fermi» إن الأحكام التى تصدر بسرعة تكون فى الغالب الأعم فى منأى عن محجة الصواب.

والفيلسوف العظيم أرسطو فى كتابه «De mundo» يدعو إلى أن يتشرب القاضى منذ حداثة عهده الحب العدل وأن يسلك سبيله.

وبإمعان نظر، وإعمال الفكر أصدر النائب العام قراره الذى هو - كالحكم سواء بسواء - بحفظ البلاغات المقدمة ضد كتاب «ألف ليلة وليلة» وهو الكتاب الذى أسس على «فن الحكى» فى لغة الضاد، وترجم إلى اللغات الحية.

ودحض النائب العام اتهام الكتاب بالاحتواء على العديد من العبارات التى رأى فيها البعض ازدراء للدين الإسلامى وخدشا للحياء العام قائلا: «إن هذه الاتهامات بعيدة كل البعد عن فكرة انتهاك حرمة الأخلاق».

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر - كما يقال - فلقد سبق أن ألصق بالعديد من التواليف الأدبية مثل ماوجه إلى الكتاب المذكور ويزخر التاريخ بروايات عديدة سار الحال معها على هذا المنوال، مثل: رواية دى كاميرون «الأيام العشرة» وكتاب مدرسة البنات (١٦٦٥) لمؤلفه ميشل ميليلوت، وكذلك كتاب (الكاما ستر - الهندا) الذى نشر عام ١٨٧٥ ناهيك عن غيرها من الكتب المغضوب عليها من بعض شائئى الفكر. وأنصف القضاء فى الدول - صاحبة هاتيك الكتب - ما وجه إليها من سهام وأخلت سبيلها بعد (القبض) عليها. ومصادرتها؟.

إن قرار النائب العام أثبت بما لا يدع - مجالا للججاج - أن فى مصر قضاء.. وأن فى مصر قضاة.. كما أكد أن حرية الفكر المستنير لها رجالها.. ولها مفكروها.



القضاء المصرى.. بين التقليد.. والتقاليد؟!

معنى القضاء هو الحكم ومن المتفق عليه أن معنى الحكم هو القضاء بالعدل بالقضاء إذن هو القضاء بالحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء - الآية ٥٨].. ومن نافلة القول أن نقول إن الكثيرين من ذوى رأى والحجة قد أحجموا عن قبول تولى مناصب القضاء مع كونهم من العلماء، ومن زمرة الفقهاء، أحجم عنه الإمام (أبو حنيفة) وهو من هو، وولى الأدبار، وهرب منه الفقيه (أبو قلامه). وهو من العارفين الثقاة واختفى فى الأمصار، وهو يقول: ما وجدت مثل القاضى إلا مثل ساحب فى بحر، فكم عسى أن يسبح حتى يغرق.

بل ها هوذا (ابن مكحول) العالم اللوذعى يجأر بالشكوى منه ويشيح بوجهه عنه وهو الذى جأر قائلا: لو خيرت بين أن يضرب عنقى وبين القضاء لاخترت ضرب عنقى؟!.. كما أن معنى القاضى القاطع للأمور المحكم لها ومن هنا قيل «للحاكم قاض».. لأنه يمنع الظالم من الظلم، ويرد الحقوق إلى أهلها ويقيم العدل وهو أساس الملك بين الناس قال تعالى ﴿يُنَادُواذُنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص - الآية ٢٦] واستدل الشراح من هذه الآية الكريمة على أن رسالة القاضى هى جزء من رسالة الأنبياء. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٠٥].

والثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مارس القضاء فى شتى مناحى الحياة ونواحيها، وقلد بعضا من أصحابه وظيفة القضاء، وهو عليه الصلاة والسلام، يحذرهم، وينبههم، من هول ما يجابه القاضى، وما يلقاه يوم القيامة يجاء بالقاضى العدل - يوم القيامة قليلى من شدة الحساب ما تمنى إنه لم يقض بين اثنين قط.

والمعروف أنه عليه السلام لم يول امرأة منصب القضاء فى قطر من الأقطار.. أو مصر من الأمصار، والمأثور عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما بلغه أن «فارس» ملكت عليها ابنة (كسرى) قال (لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة)؟. ولم يذكر لنا التاريخ أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل من بين رسله أو اصطفى من بين أنبيائه الذين أرسلهم للناس كافة.. امرأة.. ولو أراد سبحانه لفعل.. فلماذا إذن يريد البعض مالم يرده الله؟.. نقول هذا لمن قال إن الدستور

لا يمنع المرأة من أن تتوسد كرسي القضاء أو لمن قال إن قانون السلطة القضائية لم يحظر ذلك. ثم نقرع حجتهم بالحجة مذكرين: (أولاً) إن كان صحيحاً أن الفقهاء، قد اختلفوا في شرط الذكورة لمن يتولى القضاء، بيد أن الأمر الراجح، هو ما اتفق عليه جمهور الأئمة وزمرة العلماء. أن اشتراط أن يكون من يتولى القضاء هو من الرجال دون النساء، هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، القضاء ثلاثة: واحد في الجنة، وإثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففُضِيَ به، وأما الذي في النار فرجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار.. ووجه استدلالهم بهذا الحديث هو أن الرسول عليه السلام قد أفصح بما لا يدع مجالاً للشك أو اللجاج من أن القاضي يجب أن يكون من الرجال.

(ثانياً) تقول الآية الكريمة من سورة البقرة (٢٨٢) ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. هذا النص الصريح يؤكد أن المرأة لا يصح لها أن تشهد في الأموال أما في القصاص والحدود فالفقهاء مجمعون على عدم قبول شهادتها فيما، وإذا كانت قد قبلت شهادتها مع الرجل كما في الشهادة في الأموال فمعنى هذا أنه لا يجوز لها أن تتولى إلا بالاشتراك مع الرجل.. وهنا غير جائز في القضاء.. لأن القضاء (لا يتبعض).. أى لا يتجزأ.

(ثالثاً) من ارتفعت عقيرتهم بالمناداة بتولى المرأة قضاء الأحداث بحسبان أن محاكم الأحداث ليست بمحاكم جنائية.. مردود عليهم بأن قضايا الأحداث كثيراً، ما تكون في حقيقة أمرها أقضية جنائية عقوبتها كما في الشريعة الإسلامية حدوداً وقصاصاً.. والفقهاء قد أجمعوا على عدم شهادتها أو بالأحرى قبولها فيها وكما أسلفنا القول.

(رابعاً) إن القاضي بحكم عمله - يتعرض للمدح والقدح، وللقليل والقال ونصف الناس له أعداء هذا إن عدل. فكيف بالمرأة إن تولت وظيفة القضاء وهي صاحبة العاطفة الجياشة وذات الخدر والحياء!؟.

(خامساً) من الثابت علمياً، وكما عبر المفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد أن إرادة المرأة الفردية تختلف عن إرادتها النوعية.. فكيف بالله تقضى بين الناس مع اختلاف هاتين الإرادتين؟.

(سادسا) جاءت فتوى الأزهر الشريف الصادرة عام ١٩٥٢ - ولم تصدر فتوى أخرى تناقضها تؤكد: «أن الإجماع كان منعقدا على بطلان تولى المرأة القضاء، وإثم توليها، فلا اعتداد برأى من قال بجواز توليها القضاء، بعد انقراض عصر المجمعين من غير دليل معتبر ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء - الآية ١١٥].

أو بعد هذا هل يجزئ قائل على جواز تولى المرأة القضاء؟!

ياليتنا نأخذ بالتقاليد المجيدة التليدة.. تقاليد القضاء الإسلامى الشامخ.. وتقاليد قضاء مصر الساطع البازغ الذى أرساها عبر حقبة طويلة من الزمان.. وننحى جانباً التقليد، (الوليد) الذى يحلو للبعض بين الحين والحين أن يلوح لنا بزرائعه، وهى أشبه بذراع من جريد، وليست بالقطع هى فى يد من حديد (؟) مع الاعتذار لأستاذنا العقاد، طيب الله ثراه، حتى يظل القضاء المصرى كما كان دائماً ودوماً فى موقعه من الأمن والأمان صوتاً له، ولنا ورحمة بكل إنسان؟.



القضاء.. بين الماضى والحاضر..

وذكر إن نفعت الذكرى، فما زلت مؤمنا أن قضاء مصر وقضاتها فخر الأجيال والدرع الواقى لكل مظلوم، وهو الأمن والأمان والكرامة لكل جيل من الأجيال، وهو فخر مصر أمام العالم أجمع ومازلت أذكر أن عبد العزيز فهمى باشا أول رئيس لمحكمة النقض والذى أرسى مع زملائه المبادئ التى يهتدى بهديها القضاء.

فقد كان يذهب إلى محكمة النقض فى عربية سوداء مغلقة، وكذلك يعود بها إلى منزله نأيا بنفسه عن أن يراه أحد من الناس.

وتعود بى الذكرى مرة أخرى إلى وزير العدل الأسبق المرحوم «أحمد خشبة باشا» وكان قد أصدر الحركة القضائية فى أحد الأعوام، وإذا بصديق يدخل عليه مكتبه مغضبا قائلا له: لماذا لم تعين فلانا قاضيا، إنه يصلح أن يكون وزيرا فأجابه على الفور: قد يصلح أن يكون وزيرا لكنه لا يصلح أن يكون قاضيا.

ذلك ما كان عليه القضاء فى زمن ليس ببعيد.

والقاعدة المعمول بها الآن يشملها العوار لأنها تعتمد على درجات شهادة الليسانس بالإضافة إلى امتحان شفهي شكلى لا يؤدى إلى غرضه، الأمر الذى ترتب عليه إلحاق البعض فى سلك القضاء مع أنه ما كان يصلح له، وقد يفلح فى وظائف أخرى.

ومن هنا فإننا نرى أنه يجب أن يوضع نظام جديد للقبول فى السلك القضائى يقوم على وضعه كبار رجال القضاء لا يعتمد فقط على الدرجات الدراسية ولكن يكون قوامه التأكد من صلاحية من يريد أن يلتحق بالقضاء من الناحية النفسية والثقافية لاختيار الصالح من بين المتقدمين.

وأخيرا يحضرنى قول القائل: «خذوا حذرکم من نوبة الدهر فإنها إذا لم تكن حانت فسوف تحين».



القضاء ذلك الحصن ..

القضاء فى مصر هو الحصن المنيع ، الذى بقى لنا بعد الأختراق الذى حدث فى السلطتين التشريعية والتنفيذية فى عهد ثورة يوليو . بل إن هذا الحصن نفسه جرى اختراقه فى عهد الثورة ، وشهد تاريخنا القضائى ما عرف باسم «مذبحة القضاة» . وفى عهد السادات ، وعلى الرغم من إعادته للقضاة الطمأنينة والأمن ، فإن أحكام القضاة فى القضايا السياسية كثيرا ما حدث تجاهلها وتوقيفها بمقتضى قانون الطوارئ.

وقد أتيح للقضاة الفرصة لكى يلعبوا دورا هاما فى صيانة الحريات السياسية ، جعلهم جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية . وأصبح القضاء عنصرا هاما فى إلغاء سلبات السيطرة على السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وإقامة نوع من التوازن الفريد ، تقف فى كفته الأولى السلطان التشريعية والتنفيذية ، وتقف فى الكفة الثانية السلطة القضائية . وفيه تستطيع السلطان التشريعية والتنفيذية ، ممثلتين فى مجلس الشعب والحكومة . ارتكاب الأخطاء والتجاوزات والانتهاكات . وتقوم السلطة القضائية - عن طريق أحكامها - بإلغاء أثر هذه الأخطاء والتجاوزات والانتهاكات !.

ولكن القضاء لا يقتصر دوره على الدور السياسى ، فدوره الأساسى هو الفصل فيما يشجر بين الناس من خلافات ، سواء كانت هذه الخلافات جنائية أو مدنية أو تجارية وسواء كانت خلافات تتعلق بالأحوال الشخصية بين الزوجين ، أو بالأحوال الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال .

وهذا التفرع فى مجالات الفصل ، يتوقع المرء أن يتبعه تفرع فى مجالات التخصص ، لأن هذا التفرع فى التخصص هو الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، كما و الحال بالنسبة لكل فروع العلم . فحق فى مجال علم التاريخ بتخصص الباحث - منذ البداية - فى فرع التاريخ الإسلامى أو القديم أو الوسيط أو الحديث أو المعاصر . ولا يحاضر أستاذ التاريخ الحديث فى موضوعات التاريخ القديم ، والعكس بالعكس .

ولكن فيما يبدو أن ما يعتقده المرء أمرا بديهيا لا يحتاج إلى إثبات فى العالم الخارجى ، يحتاج إلى إثبات فى مصر ! فكم عجبت حين كتب إلى المستشار محمد مرشدى بركات

رسالة يعنى نفسه فيها بإثبات هذه البديهية !. وكنت أعتقد أن مجرد الإشارة إليها كاف فى حد ذاته للتنبيه إليها ومعالجتها - الأمر الذى أوضح لى كيف تحولت هذه البديهية إلى قضية عويصة تؤثر سلبا على رجال القضاء، بل تؤثر أيضا على مصلحة المتقاضين وتؤثر على الأحكام، حتى إنها لتعد السبب الرئيسى فى كل الأزمنة الحالية للقضاء فى مصر. وبطبيعة الحال فلست أنوى أن أعالج القضية على أنها بديهية، وإنما أعالجها على أنها قضية عويصة تتطلب تدخل وزير العدل، إن لم تتطلب تدخل رئيس الدولة. حرصا على أن يأخذ العدل مجراه فى بلادنا، ومن أجل ذلك - الكلام على لسان أ. د. عبد العظيم رمضان - فإنى أنشر الحثثيات التى كتبها المستشار محمد مرشدى بركات للتدليل على أهمية تخصص القاضى، وتمضى على النحو الآتى:

أولا: إن تخصص القاضى يعد ضمانا للقضاة والمتقاضين، حيث يتيح التخصص للقاضى المزيد من الإطلاع على الفرع الذى تخصص فيه، والعكوف على البحث والاستقصاء فيما تخصص فيه من فروع القانون. وفى الوقت نفسه فإن هذا التخصص يضمن للمتقاضين وجود القاضى العالم الملم بدقائق الموضوعات والتباينات المتفرعة من القضايا، الأمر الذى يترتب عليه - سرعة البت فيما يثار أمامه والدقة فى اتخاذ القرار. وصحة الأحكام.

ثانيا: إن عدم تخصص القاضى يعرضه دائما لعدم الاستقرار ذهنى. إذ أنه يتعرض كل عام أو عامين للتنقل من عمل إلى عمل، بعد أن يكون قد سبر غور العمل الذى نهض به، ويكون عليه أن يبدأ من جديد فى البحث والإطلاع والتمكن من الفرع الذى انتقل إليه، حتى يستطيع أن يحكم بالعدل بين الناس، وقبل أن يتمكن من ذلك يفاجأ بالانتقال إلى عمل آخر وعلم جديد، فيعيد الكرة من جديد!.

وفى الوقت نفسه، ويضاعف من حجم المشكلة، تضخم أعداد القضايا التى عليه أن يقضى فيها شهريا، من مختلف التخصصات. فلم نسمع عن قاض من القضاة فى جميع أنحاء العالم يقضى فى آلاف القضايا شهريا، وفى أكثر من فرع من فروع القانون - ما بين مدنى وجنائى وأحوال شخصية - فى وقت واحد؛ بل إننا سمعنا عن القيامة تقوم فى أحد البلاد الأوروبية عندما رفع نصيب القاضى فى ذلك البلد من ثلاث قضايا فى الشهر إلى خمس قضايا ! ولم تهدأ الأمور حتى عاد النصاب المقرر للقاضى إلى ما كان عليه!.

ثالثا: إن طبيعة عمل القاضى، تحتم عليه ألا ينحصر علمه داخل تخصصه، إذ عليه أن يثقف نفسه بشتى ألوان المعرفة، وقد كان والدى رحمه الله - وكان من أعلام القضاء -

يقول إن القاضى يجب أن يعرف كل شئ. ومن هنا كانت قراءاته المتنوعة واطلاعاته الواسعة. وعلى سبيل المثال فإن القاضى يجب أن يكون مثقفا فى اللغة العربية وواقفا على دقائقها لكي يدون بها أحكامه ، فاللغة وعاء الفكر، ولعل أكثر القضاة علما أكثرهم سبرا لأغوار اللغة العربية وأسرارها - ناهيك عن ضرورة اطلاع القاضى على أحدث المراجع المختلفة والنهل من مناهل العلم المتباينة. ومن البديهي أن القاضى المصرى لا يتأتى له ذلك، وهو غارق فى بحر لجى من فروع القانون المتضاربة المختلفة.

رابعا: لولا التخصص، ما عرفت مصر علامة مثل السنهورى باشا، الذى بز أترابه، وفاق أقرانه، وكان علما فى جيله وفى جميع الأجيال، وأصبحت تواليقه ومؤلفاته فى القانون المدنى الذى تخصص فيه، مرجعا هاما ورئيسيا لكل قاض، ولكل أستاذ من أساتذة القانون فى مصر وفى البلاد العربية قاطبة.

خامسا: من العجيب والغريب معا أن قانون السلطة القضائية (القرار بالقانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٧٢) قد حل - بالفعل - قضية التخصص. فقد نص فى المادة الثانية عشرة منه على أنه يجوز تخصص القاضى. بعد مضي أربع سنوات على الأقل من تعيينه فى وظيفته. ويجب أن يتبع نظام التخصص بالنسبة للمستشارين، وبالنسبة لمن يكون من القضاة قد مضى على تعيينه ثمانى سنوات. ويصدر بالنظام الذى يتبع فى التخصص، قرار من وزير العدل، بعد موافقة المجلس الأعلى للهيئات القضائية، على أن تراعى فيه القواعد الآتية:

١ - يكون تخصص القاضى فى فرع أو أكثر من الفروع الآتية: «جنائى مدنى تجارى أحوال شخصية - مسائل اجتماعية (عمال)».

ويجوز أن تزداد هذه الفروع بقرار من المجلس الأعلى للهيئات القضائية.

٢ - يقرر المجلس الأعلى للهيئات القضائية الفرع الذى يتخصص فيه القاضى، بعد استطلاع رغبته. ويجوز عند الضرورة ندب القاضى المتخصص من فرع إلى آخر. والسؤال الذى يثور: أين ذهبت هذه النصوص؟ ولماذا لم تطبق حتى الآن؟.

سادسا: إن سمو مركز القاضى يحتم على الدولة أن ترفع عن كاهله هذا الظلم الشديد، الذى يعرضه فى عمله للعنت والمشقة من جراء عدم تخصصه. ولقد كان شيخ القضاة عبد العزيز فهمى باشا هو الذى عبر فى أهمية رسالة القاضى خير تعبير عندما قال قوله

الخالدة وهو يرفض منصب الوزير فى عام ١٩٢٨ قائلا : «إن مركز القاضى من الدرجة الثانية أكرم عندى من مركز الوزير». وقد اشتكى يلزك من أن فرنسا فى حاجة إلى ستة آلاف قاض، ولا يوجد جيل يضم ستة آلاف رجل عظيم ! ونحن نقول إن مصر فى حاجة إلى عشرة آلاف قاض، ولا يوجد جيل من الأجيال يضم عشرة آلاف رجل عظيم!.

انتهت رسالة المستشار محمد مرشدى بركات الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة، وهى رسالة خطيرة بكل المعايير، بل هى رسالة تثير الإزعاج، لأن الأمل فى العدل - عدل القضاء - هو الذى يمنع الناس من الاقتصاص لأنفسهم بأيديهم. وهذا العدل يتطلب من القاضى أن يكون متفقا فيما يحكم فيه، وهذا التفقه لا يتأتى إلا عن طريق التخصص، وفى الوقت نفسه فإن هذا العدل لا يتأتى إلا إذا كان لدى القاضى الوقت نفسه فإن هذا العدل لا يتأتى إلا إذا كان لدى القاضى الوقت الكافى لوزن الأدلة والبحث فى المراجع، وتحرى الدقة فى حكمه، وهذا كله لا يتأتى إلا إذا كان عدد القضايا التى ينظر فيها فى حدود إمكانياته البشرية، فإذا تجاوزت هذه القضايا تلك الإمكانيات البشرية، وإذا كانت هذه القضايا فى الوقت نفسه قضايا متنوعة تنتمى لأكثر من فرع من فروع القانون، ما بين مدنى وجنائى وأحوال شخصية كيف يمكن لشعبنا الاطمئنان إلى أن العدل سوف يأخذ مجراه؟.

صحيح أننا نملك فى مصر قضاة نفخر بهم نزاهة وعلماء، ولكن العدل يتطلب أكثر من ذلك، أى يتطلب أن نوفر للقاضى الفرصة لكى يمارس نزاهته وعلمه، وذلك بتخصيصه فى فرع من فروع القانون من جهة، وعدم إثقاله بألوف القضايا التى تحتاج إلى وقت لا يملكه من جهة أخرى فإذا لم تفعل ذلك فإننا نكون قد دفنا رؤوسنا فى الرمال.



المكتبات الموسيقية

جبلت النفس على كراهة ما تجهله ومن هنا ظهر ما يسمى بالمعاداة «messonism» للجديد، وفقاً لمصطلح «يونغ» Yong.. أحد أقطاب علم النفس الثلاثة (فرويد، وأدلر، ويونغ).

والذى نراه أن هذه القاعدة أو المقولة تنطبق على الأدب برافديه.. الشعر والنثر. كما أنها تكاد تشمل كذلك الفنون الأخرى ومنها فن الرسم، وعلى سبيل المثال فإن لوحات الرسام العالمى السيرىاليه «بابلو بيكاسو» «Picasso Pablo» لا يهضمها أو يستسيغها الكثيرون.. مع أن لوحاته تباع بالملايين من الدولارات وكان بين هؤلاء أستاذنا «العقاد». أما الموسيقى هذا الفن الرفيع، فالجميع يرهف أذنه - ولا نقول آذانه - لأن لغة الموسيقى لها نشوة وسعادة بالغين.. لماذا؟

لأنها ليست لغة عالمية فقط، ولكنها مجموعة من اللغات تخاطب كل فرد وكل شعب، فلكل منهما لغته الموسيقية.

توارث الإنسان حب الموسيقى عبر آمار طويلة من الزمان، وكذلك كانت هى مع الحيوان، فإن الحيوان يطرب أيضاً للموسيقى - كما يطرب لها الإنسان، ويحكى أنه قد حدث فى «هولندا» أن عولج بها نوع من الماشية أصيب بمرض، جعل اللبن يتأبى عليه، فعُزفت له الموسيقى، فأحدث له التأثير الموسيقى ما بدد سقمه ودر لبنه، ومن المعروف أن الخيل تهيم بالموسيقى وتتأثر بسماعها حتى إنها ترقص على إيقاعها، والأمر هكذا مع الطيور فى التأثر بالموسيقى وثمة أنواع منها يبلغ تأثرها بها مبلغاً كبيراً، فإنها تأنس بها فى وحدتها، وقد لاحظ العلماء أن عصفور «الكنارى» يهيج بسماع الموسيقى فيأخذ بالغناء والتغريد.

ويحكى التاريخ أنه فى أيام الجاهلية الأولى كان العربى وهو يشق بطون الصحراء يلجأ إلى الجداء ليُنسى إبله الإجهاد ومشقة ارتيادها للصحراء الميته ليخفف عنها ما فيها من ألم وما اعتورها من جوع وما استبد بها من ظمأ فيبعث فيها الحيوية والنشاط.

وفى أقدم الأساطير أن الكثير من الرعاة كانوا يستخدمون المزامير فى الترويح عن أغنامهم، فتقبل بعد ذلك على رعى الكلا بشهية وإقبال، وما هى ذى التواراة تقص علينا

أن النبي داود عليه السلام وفى أثناء رعيه لأغنامه ، كان يدندن لها بمزاميره ليخفف عنها مشقة الطريق فورد فيها : كان داوود هو أصغر الرعاة وبينما كانت الحرب مشتعلة بينه وبين أعدائه كان يردد هذا النبي عليه السلام مزاميره وببده القثيارة التى يعزف عليها .
وقد إهتم حكماء العرب فى فجر الحضارة العربية «بالموسيقى» كوسيلة ماضية للعلاج من الكثير من أوصاب الأمراض ، ومن هؤلاء «الكندى» و«الشيخ الرئيس ابن سينا» و«الرازى» . وكذلك الفيلسوف «ابن رشد» ، و«ابن سيمون» فى الأندلس . وعندهم انتشر استعمال الموسيقى فى القارة الأوروبية .

وعندما بزغ الإسلام استهل بها نغمة الآذان ، فكانت - بهذه المثابة - البوادر الفنية للموسيقى فى هذا العصر فى العام الأول أو الثانى من الهجرة على يد (بلال الحبشى) الذى كان أول من قام بتأدية الآذان ، ومما يروى أن النبي «محمد» كان يقول له : (يا بلال غن الغزل) .

ومرت بالموسيقى عقود طويلة حتى وصلت إلى الموسيقى «الباروك» التى تأسست فى أوروبا وبدأت فى عهد الموسيقار «بالسترتبا» وظهر من بعده الموسيقار «جان باخ» . وجاء العصر «البرومستيكى» ، ثم العصر «الرومانتيكى» فى بداية القرن التاسع عشر .
والذى لا مراء فيه أن للموسيقى شأو كبير وأثر عظيم فى تربية الشعوب ولا سيما النشء والشباب ، فهى تهذب الأخلاق وتشذب الأذواق وتبعث الحمية والحيوية فى سويداء القلوب ، وكان «هتلر» الزعيم النازى يتفاخر بذلك . ويقول : إن سبب قوة شباب ألمانيا ونشاطهم وحيويتهم هو الموسيقى .

لذلك تتسابق الدول المختلفة ولا سيما المتحضرة منها إلى العناية بالموسيقى والاهتمام بالتربية الموسيقية ونشرها بين أبنائها متبعة فى ذلك فكرة «المكتبات الموسيقية» .
وهذه المكتبات عبارة عن دور خاصة مجهزة بأحدث أجهزة الاستماع والتسجيلات الموسيقية الممتازة ، وكتب ومراجع للإطلاع والبحث ، وقاعات لإقامة المحاضرات والندوات الثقافية الموسيقية .

وتعد هذه المكتبات ركنا هاما وخطيرا من أركان الثقافة الموسيقية وتوجيهها وتوجيهها توجيها رشيدا مبنيًا على سياسة مدروسة تفى بحاجات الشباب الموسيقية .
فحبذا لو اهتمت - وزارة الثقافة - بالأخذ بهذه الفكرة - فكرة المكتبات الموسيقية - وتعميمها فى أقاليم مصر حتى نطبع شبابنا بطابع الموسيقى فيستفيدوا ، ويفيدوا !! .

تعمير صحراء سيناء

أثبتت البحوث القيمة التى قام بها مجلس الإنتاج القومى ووكالة هيئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين أنه فى الإمكان توصيل مياه النيل إلى صحراء سيناء بتوسيع ترعة الإسماعيلية، وعمل أنفاق تحت قناة السويس، مع وضع طلبمات فى شرق القناة لرفع المياه إلى الصحراء، كما أثبتت بحوث كل من المهندس المصرى عدلى عرابى.. والمهندس الأمريكى جون أديكسون أنه يمكن توصيل مياه النيل إلى سيناء بعمل ترعة عبر صحراء الصالحة تغذيها مياه المصارف التى تصب فى بحيرة المنزلة، وبحرا حادوس ويقر.. لذلك فإبنى أقترح أن تقوم حكوماتنا الرشيدة - وهى العاملة على مصلحة الشعب ورفع مستواه.. بإقرار تنفيذ مشروع تعمير سيناء.. الذى سيكون له كبير الأثر فى مواجهة الزيادة المطردة فى السكان وذلك باتساع رقعة الأرض مع وجود مقومات الحياة بها.



النائب العام .. محامى الشعب

فى سفره الذى حوى بين دفتيه روائعه عن «فن القضاء» تساءل القاضى الفرنسى «ج. رانسون» ماهو فن القضاء؟ وأجاب : هو مجموع القواعد التى تقوى الاستعداد الطبيعى عند القاضى وهو بصدد تطبيقه للقانون. فلا يعتذر بأنه قد خدع ولا يقصر فيما يمكن عمله لأنه - بهذه المثابة لم يؤد واجبه .. ويجب أن يكون رحيمًا مع المستضعفين.. قاهرا للمستكبرين، كما ذكر «فرجيل» وأن يكون على نزاهة تامة واستقلال مطلق وضبط نفس وذكاء وأن يكون متمكنا من العلوم القانونية قمين به كذلك أن يكون دائم النظر فى أحوال الناس.

ولقد صافحت الأعين الخبر الذى نشرته جميع الصحف السيارة أن النائب العام قد توجه باقتراح إلى المستشار ممدوح مرعى وزير العدل السابق لتعديل قانون العقوبات لحماية أرواح المصريين بالخارج وأن تختص السلطات المصرية بالجرائم التى تقع على كاهل المواطنين المصريين خارج البلاد إذ خلا قانون العقوبات المصرى وطبقا لما نصت عليه المادتان الثانية والثالثة منه - من هذا الأمر الحيوى.. وذلك احترامًا لكرامة الإنسان المصرية، وسلامة جسده وممتلكاته ودرءا لأى اعتداء يتعرض له خارج الديار، ناهيك عن حماية المصالح الحيوية للدولة إذ أن الدستور المصرى قد قنن ذلك.

لا مشاحة أن النائب العام قد أضحى - بهذه المثابة - ضمير الشعب المصرى.

وإنى أقترح أن يطلق عليه (محام الناس).



النفاق جرثومة الداء.. وسر البلاء.. وفساد العباد والبلاد؟!..

لا مشاحة أن المؤمن يحسن الحسن ويقويه.. أما المنافق فيقبح الحسنى ويوهيه، والمنافق يُدخل في كل حُب حب وفي كل رغبة طمع وفي كل خير شر لا ينتهى من نفاقه إلا ليبدأ ولا يبدأ حتى ينتهى، وهكذا دواليك - عود على بدء يغفوا على نفاقه فهذا هو مبتغاه لا يعرف الصدق فقد شاقق الله ومن ثم عاداه، ولم يرتض عن فسقه بديلا، بمنهجه الذى تغياه يمسى ويصبح فى فرح، فارح بنفاقه، يظن أنه بالمداهنة أصبح فى عداد الفائزين السعداء لا يغلب عليه الملل، وهو فى حقيقته من التعساء الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم مع غيره من الأشقياء الذين اتخذوا النفاق دينا لهم لا يبعون عنه عوجا أو سبيلا.

هو يخلع رداء النفاق تارة ثم يرتدى مسوحه طورا آخر متسربلا بالغش والخداع يقتل نفسه بنفاقه ويزرى عقله بكذبه وريائه؛ فالمنافق دائما وأبدا يحترف الكذب لا يخاف ربه فقد ران الظلام عليه وسعى الفساد سعيًا إليه، هو كالأرض الناشئة وهى السبخة التى يمتزج فيها الملح بالماء فيقتل الملح أرضها ويميتها ثم لا يحييها فهى غريزة النفاق التى تأصلت فيه تدور معه ويدور بها لا ينفك يتحول عنها فهو مقيّد بأهوائه ونزعاته وكلماته الفضيلة والاعتداد بالنفس معدومة فى لغة الأهواء والنزعات وطالما رضى عنه المنافقون ممن على شاكلته فيظل ركينًا هادئًا مشدودًا بأعضاده فى طبقات الأرض ولا جرّم أن يكون خسفا فى أديم الأرض، والمنافق يظهر غير ما يبطن ويبطن غير ما يظهر تحقيقًا لمصلحته الذاتية فهو يعتنق الأباطيل ويطمح فى البراطيل عن طريق الزلفى والوشاية والغواية، والنفاق ظاهرة مرّضية وهو إن كان دليل ضعف للنفاق فهو دليل قوة للذى ينافقه فأحيانًا يكون على ذات دربه من النفاق، والكذب هو من خصال المنافق يقول الرسول الكريم عليه صوات الله وسلامه: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر»، كما يقول صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله من الشرك الأصغر» قالوا: «وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: النفاق فإنه يدب على القلب دبيب النمل»، وقد حرمت الأديان جميعها

النفاق ففي الديانتين المسيحية واليهودية ذكر العهد القديم كلمات لا تسرق ولا تكذب ولا تغدر بصاحبك .. وهاتيك هي علامات المنافق.

ظهر النفاق في ضحى الدولة الإسلامية بعد أن أصبح الإسلام دولة وقوة، وجاء الإسلام ليقسم النفاق إلى نوعين (اعتقادي) وهو الذى يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، و(عملى) وهو الذى يأتى أعمالا من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان فى القلب.

والنفاق فى اللغة العربية هو من النفق الذى تحفره بعض الحيوانات فى جحورها بغريزتها دفاعا عن نفسها فتجعل فيه فتحتين أو أكثر فإذا هاجمها عدو من واحدة خرجت من الأخرى، وقد سمى المنافق منافقا لأنه يجعل لنفسه وجهين يظهر أحدهما ويخفى الآخر حسب الموقف الذى يجابهه.

وكما ألعنا فإن المنافق لا مندوحة له من اقتراف الكذب ويذهب علماء النفس إلى أن الكذب أنواع: فمنه الكذب المثلث وكذب المبالغة والكذب المرضى، والكذب الانتقامى ناهيك عن الكذب الاجتماعى وهو شر أنواع الكذب لإسقاط اللوم على شخص يكرهه أو يغار منه وهو أشد أمراض الكذب على الصحة النفسية وعلى كيان المجتمع برمته، عرفه قدماء المصريين وعانت منه أكثر شعوب الأرض ومنها بداهة مصر التى انتشر فيها انتشار النار فى الهشيم، وكان سببا فى استبداد حكامها وتخلف شعبها ونهب أموالها وافتقار أهلها وقد أسهم المنافقون فى طغيان حكامهم حتى بلغ بهم الظلم مداه وجب ماسواه فقد أحس كل منهم بعد نفاق شعوبهم إليهم أنه الإله وباطل كل ما سواه.

انظر إلى «أبى نواس» وهو يمدح «الرشيد» قائلا: وأخفت أهل الشرك حتى إنه: لتخافك النطف التى لم تُخلق؟.

وهاك آخر، وجه حديثه إلى الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»: إنك لو أدركت نزول الوحي لأنزل الله فيك قرآنا؟!

ومن خلال هذه الظاهرة.. ظاهرة النفاق التى تفشت بين البشر، حدد العلماء اليوم الرابع من فبراير (يوما عالميا للكذب)؟.

وتعريف النفاق كما جاء فى قاموس (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية) المنافق هو: الذى يخفى الكفر ويظهر الإيمان، ويضمّر العداوة، ويظهر الصداقة خلاف ما يبطن.

يجامل ويكثر من مجاملاته ليجلب محبة الناس وهو كالوسواس الخناس، مهما كرت السنون وتوالت الأيام لا يهدأ له بال من خلال حقه وحسده إلا ويتمنى لمن

يعرفه أو يصادقه أن تلم به ضائقة أو تتربص به المحن والإحن ويا ليتها تنتهى به إلى الموت الزؤام.

وقد هتك الله سبحانه وتعالى أستار المنافقين وكشف أسرارهم فى القرآن الكريم وجلّى لعباده أنوارهم، وقد ورد ذكر المؤمنين فى كتاب الله فى أربع آيات، وفى الكفار آيتين وفى المنافقين ثلاث عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم فكم من فضل للحق هدموه وكم من حصن له قد نزعوه من أساسه وخربوه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٨﴾ [سورة التوبة - الآية ٦٧ - ٦٨].

والمنافق دائما يغط الحق ويلوذ بالباطل فالقيم «VALUES» والمعايير «Norms» غائبة عنه بل معدمة لديه فهو يتككب دائما فى نفاقه كأن النفاق هو الشوب الذى يرتديه ويتسربل به تسربل الرهبان وهو كالأفعوان.

ويقول «الإمام ابن القيم» عن النفاق إنه الداء العضال الباطن الذى يكون الرجل ممتلئا منه وهو لا يشعر فإنه أمر خفى على الناس وكثيرا ما يخفى على من يلبس به فيزعم أنه يصلح وهو فاسد، وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب المكوث فى النار فى دركها الأسفل.

ويستطرد «ابن القيم» واصفا المنافقين أنهم: «أحسن الناس أجساما وأخلبهم لسانا وألطفهم بيانا وأخبثهم قلوبا وأضعفهم جنانا. فهم كالخشب المسندة التى لا ثمر لها. قد قُلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها، لئلا يطأها السالكون» ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبََّعُوكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذَرَهُمْ قَتْلَهُمْ اللَّهُ أُنَى يُؤْكَلُونَ﴾ [سورة المنافقون - الآية ٤]. فلا يزال الناس منهم فى محنة وبلية.

وقد سجل التاريخ الأدبى وصفا لأعرابى أجاد وأفاد فى وصف المنافق فقال: «إن سأل ألحف، وإن سئل سوف، وإذا وعد أخلف، وإذا صنع أتلف، وإذا هم بالفعل الجميل توقف، ينظر بنظر الحسود، ويعرض إعراض الحقود. فناؤه شاسع وضيغه جائع، وشره شائع، وسره ذائع، ولونه فاقع وجفته داعم، ودياره بلاقع. ردئ المنظر، سئ المخبر. يبخل إذا أيسر، ويهلع إذا أعسر، ويكذب إذا أخبر. إن عاهد غدر. وإن خاصم فجر، وإن خطب نفر».

ويوجه «صالح بن عبد القدوس» حديثه إلى المنافق: «قل للذي لست أدري من تلونه أناصح أم على غش يداجيني إنى لأكثر مما بسمتنى عجباً يد تشج وأخرى منك تأسونى». ويخاطبه «المنقّب العبدى»: «فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثى من سمينى وإلا فاطرحنى واتخذنى عدواً.. أتقيك وتتقينى» تغتابنى عند قوم وتمدحنى فى آخرين وكل منك يأتينى.

فى الأثر أن «شبرويه» أمر بنزع لسان منافق من قذاله «قفاه» جزاء نفاقه؟! وأخيراً - وليس آخراً - يقول الأستاذ العقاد فى قصته سارة: «ذو الوجهين منافق، وذو الوجه الواحد ميت»!.

«فإن الإنسان يعيبه أن يصنع له نفساً غير نفسه ووجهها غير وجهه وأن يبدو للناس بوجهين يلعن أحدهما الآخر ويعلم هو أنهما - كليهما - ملعون، ولا يعيبه أن يكون له مائة وجه ينم كل منها على سمة من سماته ومعنى من معانيه وذو الوجهين فى كل وجه من وجهيه كذب وطلاء».

وخير للمرء أن يموت وهو صاحب وجه واحد من أن يعيش بوجهين.



أنيس منصور بين تفاحة الصحافة وجنة الأدب؟!..

يقول عميد الفلسفة العقلية (ابن رشد) في كتابه «تهافت التهافت»: «إن قصد الفلاسفة إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد لكان ذلك كافياً في مدحهم». فرق «أفلاطون» بين الفضيلة العادية والفضيلة الفلسفية فالأولى تجئ عن التقليد فصاحب التقليد لا يعدو كونه مقلداً سلوكه للآخرين تماماً مثل النمل والنحل فكل نملة تفعل فعلاً كغيرها من النمل تسودها وتسيطر عليها، أما الفضيلة الفلسفية فتقوم على النقد وعلى الذاتية وعلى التفرد ومن ثم كما يقول الفيلسوف «عاطف العراقي» فلا يكون صاحبها مقلداً لسلوك غيره من أفراد البشر بل هو كالإنسان المتوحد الذي تحدث عنه أول فلاسفة المغرب العربي «ابن باجة».

ولقد ذهب «إخوان الصفا وخلان الوفا» في القرن الرابع الهجري إلى ضرورة الانفتاح على كل الأفكار والتيارات في كل دول العالم شرقاً وغرباً، أو كما قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - «اطلبوا العلم ولو في الصين».

وهكذا كان الأستاذ «أنيس منصور» رحمة الله عليه، فقد انفتح بعمق قراءته على جميع روافد المعرفة، وانفتحت له أبواب القراءة بمختلف صنفاتها وعلى مصاريعها، هو من الرعيل الأول من جيل العمالقة (التي وضعت لهم الملائكة أجنتها رضا لهم) لأنهم كانوا طلاب علم، والعلم هو العنصر الأول من عناصر الحياة في نظر الإسلام، كان يجيل في الليل البهيم خواطره فعكف على القراءات العلمية والأدبية ناهيك عن الفلسفية وهضم ما قرأه فبث أنهار الصحف السيارة ما جادت به قريحته، مع تدبيجه للكتب الرائعة التي بلغت زهاء المائتين كتاب. كان يقرأ أكثر مما يتنفس، وإذا كان عملاق الفكر الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد» قد قال: «إنني أقيس الإنسان بعدد الكتب التي قرأها» فقد قرأ الأستاذ «أنيس منصور» ما ينيف على السبعين ألف كتاب؟!!

أي رجل كان هذا الرجل؟ وأي أديب كان هذا الأديب؟!.. كان أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، فكتاباتاته يشع منها نور العبقرية المتميزة المتفردة كما كان أستاذه العظيم «عباس محمود العقاد». عشق الصحافة، وأحب الأدب، وأولع بالفلسفة، وكنا ونحن في ميعة

الصبا وشرح الشباب نقرأ ما يكتبه سواء في «الأخبار» في عموده اليومي أو في مجلة «الجيل الجديد» الذي ترأس تحريرها وأحيانا في مجلة «آخر ساعة» التي أختصها بسلسلة مقالاته التي عنوانها باسم «طلع البدر علينا» عقب قيامه بالحج إلى بيت الله العتيق فمحا بذلك فترة إيمانه بالوجودية وما كتبه «ألبير كامى» و«جان بول سارتر» ورفيقته «سيمون دى بوفوار»، ألفتيته في أوائل الستينيات بمكتبه بجريدة «الأخبار» مع رهط من محبيه ومحبي الأدب جلسنا إليه، وجلس إلينا زهاء الثلاث ساعات نتجاذب معه أطراف الحديث فما أحسنا بعد انصرافنا من لقيه إلا أنها كانت دقائق معدودات، والتقيته مرة أخرى مع المرحوم والدى الذى كان قد كتب مقالا عن سعد زغلول وثورة ١٩١٩ بعد أن ضرب لنا موعدا محددا للقياء فإذا به بعد لقينا يعتذر لوالدى اعتذارا كريما بأن (الأوامر) قد صدرت إليه بعدم نشر أى تعليق على «هذا الموضوع» الذى دعا الأستاذ «أنيس منصور» الكافة إلى الكتابة فيه على نحو ما ألعنا إليه سالفا، وكان هذا إثر حملة ظالمة ضارية وجهت إلى حزب الوفد وزعيمه وما أكثر هذه الحملات التى تشن على الوفد وتاريخه فى تلك الحقبة من الزمن، وأدلى فيه بدلو المرحومان «الدكتور محمد أنيس» و «الدكتور ضياء الدين الرئيس» أستاذ التاريخ بالجامعة، والذى لفت نظرى آنذاك - أن (الحياة) قد غلف وجه الأستاذ «أنيس منصور» وهو يحدث والدى رحمة الله عليه - وقد تشابكت يداه وانحنى انحناءه ظاهرة تدل على جم أدبه وجمال تواضعه.

ولقد تفرد الأستاذ «أنيس منصور» بكتابين بلغا من الذيع والانتشار ما بلغاه كلاهما، أولهما «٢٠٠ يوم حول العالم» الذى سجل اسمه به بين الرحالة العرب بل الرحالة العظام مثل «ابن جبير»، و«المسعودى» و«أبو الريحان البيرونى» أصحاب القدح المعلى فى هذا المضمار - هم وآخرون، الذين أتت إلينا كتبهم تذخر بما ذخرت به من ذكر أحوال الأمم، ووصف معاشها وطبائعها وعاداتها، وكما فعل ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» مدونا ما شاهده من أخبار الشعوب التى زاروها، وهكذا دهجت يراعة الأستاذ «أنيس منصور» - كذلك - فى تواليقه العديدة مثل: «بلاد الله خلق الله»، و«غريب فى بلاد غريبة»، و«اليمى ذاك المجهول» وغيرها وغيرها، فقد ولج فى هذا الرافد الأدبى ولوجا يؤكد جرأته وعميق ثقافته.. وأريحيته وشغفه باقتحام المجهول وارتياح أماكن بعيدة نائية فى الزمان وفى المكان لم يكن أحد قد ارتادها من قبل.

أما سفره الفخم الضخم «الغير مسبوق» (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) فقد جاء عملاً لم يسبق له نظير فى «سسيولوجيا» الأدب العربى كما عبر الأستاذ «أحمد بهاء الدين» والذى كان يدأب على نشر فصول منه فى مجلة «أكتوبر» ودل هذا الكتاب على عبقرية أنيس منصور وعبقرية العقاد (معاً). مما دفع الرئيس الشهيد «أنور السادات» عقب قراءته لها إلى أن يعبر له عن إعجابه بها: «يا أخى لقد قتلنا ما كتبته عن العقاد». ومن العجيب أن الرئيس الراحل قد قتل - غيلة وغدرا - ظهر اليوم التالى لتعليقه ذاك؟!..

ولا عجب - فأنيس - هو القائل «اقرأ.. ثم اقرأ.. ثم اقرأ.. ثم اكتب» وأليس هو صاحب كتاب «وأنا اخترتُ القراءة».. القراءة التى أوصلته بإمعان نظره وإنعام فكره إلى ما وصل إليه من رفعة ومن مجد، وتأمل معى أيها - القارئ العزيز - ما ختم به حياته بعبارة التى لهج بها لسانه: «إذا كنت مع الله فأنت مع الأغلبية المطلقة».

ثمة عبارة تقول: «من أكل تفاحة الصحافة، خرج من جنة الأدب».

ولقد أكل الأستاذ الكبير «أنيس محمد منصور» تفاحة الصحافة (بتمامها).. ولكنه لم يخرج من جنة الأدب؟!..

رحمه الله رحمة واسعة، جزاء ما أثرى به حياتنا إبان حياته، وبعد مماته.



.. مأساة طبيب عظيم ..

رحل عن عالمنا أحد علمائنا الجهابذة الأجلاء ، وعندما يختطف الموت عالم من العلماء فإن السماء تبكى عليه قبل أن يضمه الثرى إليه .
لا جَرَم - إذن - أن اتفق العلماء على أن قبض العلم هو أحد علامات الساعة الصغرى ! .

يقول الحديث الشريف : «يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج» .

كما يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً بنزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلو وأضلوا» .

قال النووي : هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالتهم فيضلون ويضلون .
فى مأساة أشبه بالمآسى التى وردت فى أدب الإغريق ، هى كاليبالي الدهم ، والعشايا الجهم ، رحل عن عالمنا الأستاذ الدكتور العالم الجليل «فؤاد ثاقب» الذى عرفته منذ نيفٍ وعشرين عاماً ، وهو لما يزل بعد فى شرح شبابه وفى أوج عطائه .

كان يعود ابن عمى وزوج شقيقتى المهندس «محمد عبد الله بركات» وكيل وزارة الإسكان ، الذى تليف الكبد منه وأصابه فى مقتل حتى أوشك على الرحيل وهو فى ربيع عمره .. وإذا بالمرحوم الشهيد «فؤاد ثاقب» ، بفيض علمه ، وعميق فكره ينهض على علاجه يصبر وأناة ، وبصر وبصيرة ، حتى عادت نضرة الوجه إليه . وقد كانت مستعصية عليه . وزكا منه العود الذى كان قد أضمحل .. وتأبى عليه أن يعود ! .

كنت أرى فى الدكتور «فؤاد ثاقب» النطاسى البار ، وقدرت علمه وبادلنى تقديراً بتقدير .. وكان رحمة الله عليه ، كلما يرى بثاقب فكره ، القلق يعتورنى على زوج شقيقتى والهلع والحزن ينتابنى . يبرتسم على وجهه النبيل ابتسامة طيبة .. ثم يردف قائلاً لى : «أنت رجل عظيم .. ياليت لى قريب مثلك» . قالها لى وهو الرجل العظيم فى علمه ، وفى خلقه وفى وفائه للناس أجمعين .

ولقد نشرت جريدة الأهرام مأساة رحيل العالم الجليل بهبوطه المفاجئ من المصعد وهو ينقذ شقيقتيه من مغبة السقوط منه ، وذكر - كاتب التحقيق - أن السيدة البارة زوجته هُرعت إلى مكان الحادث ، وهي تذرف الدمع السخين ، تجأر بصوتها الذى يعلوه الأنين : «أنتم لا تعرفون فؤادا»! .. ونقول - صبرا جميلا - أيتها الزوجة الوفية «فإنا لله وإنا إليه راجعون».

نحن جميعا نعرف فؤادا.. متألقا فى فكره.. متعمقا فى علمه.. كريما فى عطائه.



بل.. عندما تصبح القضية.. امرأة.. !!

أحسن الصديق المستشار مصطفى الكومى فى مقاله القيم المنشور فى هذه الصفحة الغراء بتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٨ بعنوان «عندما تصبح المرأة».. قضية؟!.. والذى نعى فيه على المرأة المصرية انشغالها بأمور لا تغنى ولا تسمن من جوع وإغلاقها لمدرستها (مدرسة الأمومة)، وتركها لأولادها (حتى شد منهم الدين، وضاع اليقين)، وها هى ذى أخيرا وليس أخرا - تجهد الرأى العام، وتشغل نفسها بالمطالبة بتوسيدها كرسى القضاء.

ولسو سمح لنا الزميل الأديب أن نقدم كلمة (قضية)، مضافا إليها الألف واللام، وأن تؤخر كلمة (امرأة)، فما بين (تقديم)، و(تأخير) تبزغ الحقيقة واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض، فى هذا الزمن الردئ العضوض؟!.. فلقد أصبحت (القضية) بالفعل فى بلادنا، قولا وعملا.. امرأة؟!.

والذى لا مرية فيه، أن المرأة المصرية ومنذ أن هبط عليها كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين فى بداية هذا القرن، وهى تعتقد أن لها حقوقا قد ألف بخصوصها كتاب وأن هاتيك الحقوق لما تزل فى حاجة إلى المزيد من الكلمات، وأن يكتب فيها المجلدات؟!.. ولقد أصبح الناس - فى مصر - وأمسوا خلال شهور طوال ولا شغل لهم إلا أحقية المرأة فى تولى منصب القضاء الذى أحجم عنه الثقات من الفقهاء، والزمرة من العلماء، تحرزا من الخطأ - حتى اليسير منه - فيما لو أصبحوا قضاء خشية، وخوفا من عقاب الله، وفى سبيل هذه الطلبة، وتلك الرغبة، انشغلت الدولة كلها، وأجهزتها جميعها بهذا الأمر، الذى ملأت به المرأة من الصحف الأنهار، وهى تصيح ليل نهار، وعبر الإذاعة المسموعة والمرئية وعن طريق المحافل والندوات، وعقد المناظرات، وبصوت قوى جهورى. تجأر، أريد أن أكون قاضية، (وأريد حلاً)، لما أبغيه، وأطمح إليه، وأطمع فيه، ومع يقينى (بأن طالب الولاية لا يولى)، فأنا من حقى القضاء فهل تمنحوا لى هذا الحق، يجب أن ترهفوا أسماعكم لهذا النداء، فهو الرجاء ولا شئ دونه على البال، فقد أصبح وأضحى، هو السؤال؟!.

ولقد تسأل الزميل المفضل: لماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا لا تطالب مثلا - بأن تعمل عمدة، أو شيخ البلد،

أو شيخ خفراء.. أو فى المناجم والمحاجر وأعمال البناء؟. ونقول له : هذا هو دأبها ، فكل ممنوع لديها مرغوب ، ومطلوب؟!.

وإذ هدأت اللجة ، وخمدت الضجة ، بعد أن هدأ خاطرهما ، الكبار ، واستماحاها العذر ، الصغار ، حتى عادت عقيرتها ترتفع مرة أخرى مطالبة ، وكما نشرت الصحف (بحقها) فى السفر والترحال ، وشدد الرحال ، دون إذن من زوجها ، أو من غيره من الرجال؟! . ناهيك عن (حقها) كذلك فى أن تكون العصمة ملك يديها ، وأن تُؤجر وتُعوض إذا ما أقدم الرجل على طلاقها دون رغبتها .. ولعلها أضافت ، والخروج أيضا بدون إذن؟!.

والذى لإلجاج فيه أن قانون الأحوال الشخصية (المعدل) الجديد قد منحها مالم يكن فى حساباتها ، أو يرد على ذهنها؟! ، ولو عاش (آشلى مونتاجو) الذى قال ذات يوم بعيد : إن (المرأة أكثر عبقرية من الرجل) لتأكد مع إعتراض الجميع على ما ذهب إليه ، من صدق قولته ، وصحة نبوءته ، مما حصلت المرأة المصرية ، وتحصلت عليه؟! .. وقد يرى بعض الغيارى من الرجال أن حقوقهم بدأت تقل وتضؤل بالمقارنة بما حصلت عليه المرأة المصرية من حقوق ، فيقدموا على تكوين (جمعية) للمطالبة بحقوقهم ، ورد اعتبارهم ، وبهذا يكون الميزان قد اعتدل ، بعد أن أصابه الخلل؟!.

وباليت المرأة المصرية تقرأ وتستقرئ قولة (نابليون بونابرت) : إن المرأة التى تهز المهد بيمينها ، تهز العالم ببسارها وأيضا قولته : على المرأة أن تعلم أن الشئ الوحيد الذى (تبدعه) .. هو طفلها؟.



تاريخنا.. هل يكتب من جديد ؟!

التاريخ هو عرض الإنسانية «فتاريخ الأمم والشعوب هو الصفحة الباقية لها على مر الأزمان والعصور»! كلما تذكرت هذه العبارة التي قالها الفيلسوف (شوبنهاور) كلما أمنت بأن تاريخنا العربى برمته يجب أن يكتب من جديد فالذى لا مرأى فيه أن هذا التاريخ قد زيف المزيفون فى الماضى الكثير من حقائقه ووقائعه حتى التبس الأمر على أبناء هذا الجيل، بل والأجيال التى سبقتة أيضا، فلم يعد الكثيرون يعرفون الصالح من الطالح، والمخلص من الخائن، والصديق من العدو! وها هو ذا تاريخ الماليك فى مصر يختلف فيه المؤرخون اختلافا بينا، فمنهم من قال إن عصر الماليك هو أزهى عصور مصر، والبعض الآخر ارتأى فيه أسوء العصور، وإنه كان عصر تردت فيه مصر إلى أسفل سافلين، وكذلك تاريخ الثورة العرباية فقد تباين فيه الكثيرون تباينا جعل تاريخ هذه الثورة المجيدة يتلبس أمره على كل من قرأ هذا التاريخ.

فعرابى مرة هو مفجر أول ثورة فى عصر مصر الحديث.. ومرة أخرى هو الجاهل الجهول الذى قذف بمصر إلى أتون الجحيم حتى أن أمير الشعراء أحمد شوقى هاجمه بضراوة إذ قال فيه، بعد عودته من المنفى:

صغير فى الذهاب وفى الإياب أهذا كل شأنك يا عرابى؟

والزعيم مصطفى كامل لم يخل الأمر معه من مثل هذا، فهو الذى أراد أن تكون مصر تابعة لتركيا وأن هذه التبعية تفقد مصر - لو تمت - استقلالها وحريتها.

ولم يخل تاريخ ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩، ولا سيما زعيمها سعد زغلول، حتى إن ميثاق العمل الوطنى الذى وضع أيام الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» قد اتهم سعد (أنه ركب قمة الموجة الثورية يقود النضال الوطنى الذى لم يهن ولم يضعف) أى أن واضع الميثاق قد نزع بهذه المثابة الزعامة عن سعد زغلول، وجعل منه قائدا انتهازيا لم يكن منه إلا أن امتطى موجة هذه الثورة الخالدة.

وكذلك تاريخ «مصطفى النحاس» هذا الزعيم الأمين الذى بذل حياته فى سبيل توطيد ركائز الديمقراطية على أرض مصر، وكانت زعامته للوفد زعامة خالصة لأجل الله والوطن.

والرئيس «محمد نجيب» هذا الزعيم الوطنى الذى التف شعب مصر حوله وطوقه بمحبة عارمة، فقد شوه تاريخه، وكفى أن دوره فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد محى محو من كتب التاريخ إلى حين قريب.

وجاء الزعيم «جمال عبد الناصر» فلم ينج هو الآخر من بعض التلغيفات التى وجهت إلى زعامته بينما أن مآثره على مصر لا ينكرها إلا جاحد مهما كانت الأخطاء التى وقع فيها. أما الزعيم «محمد أنور السادات» الذى بذل حياته فى سبيل وطنه فقد استشهد على يد طغمة فاغتالته غيلة وغدرا بعد أن قاد حرب أكتوبر المجيدة، وكانت له اليد الطولى فى إجلاء المحتل الإسرائيلى من بقعة عزيزة على مصر هى أرض سيناء.

وإذا كان تاريخ أية أمة لا يخلو. كما قال (نابليون) من الأكاذيب. فتاريخنا العربى يمتلئ بما - لا عد له ولا حصر من الزيف والأباطيل ناهيك عن الأوهام التى لا أساس لها؟!.

ماذا إذن لو قامت الدولة بتشكيل لجنة خاصة من علمائنا الثقاة، تتولى كتابة تاريخنا كتابة صادقة أمينة، تزيل الغشاوة من على الأعين، وتمسح عن جبين أمتنا تاريخا لا يمت إلى العلم أو الواقع بأدنى صلة من الصلات ١٩..!.



تراجُع اللغة العربية.. تراجُع للنصرة القومية ؟ «رسالة إلى وزير التعليم»

كم عز أقوام بعز لغات !.

آبدة من الأوابد التي تذهب في أسمع الزمن مذهب الخلود !.
فقد علت إنجلترا بكلمات. دكنز. وكارليل. ومؤلفات شكسبير.
وارتفعت فرنسا بتوليف. راسين. وفولتير. وموليير، وسمقت ألمانيا بليبنس. وجيته.
وشيللر، وسمت روسيا بتولستوى. وجوجل. ومكسيم.
وعزت مصر، والأمة العربية. بالقرآن الكريم. ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة طه
- الآية ١١٣] (صدق الله العظيم).

واللغة العربية هي لغة الضاد. اللغة الشاعرة، كما أطلق عليها أستاذنا العقاد، وأفرد
لها كتابا، إذا قرأه تراه إنسانا، وهي اللغة الضاربة في القدم. الموغلة في العراقة طوال
خمس عشرة قرنا. خلقت لغات سادت، ثم بادت. والعربية هي العربية لم تمح، ولم
تتغير. أو تتبدل. فقد حوت على أدب لا تحويه لغة أخرى، كما عبر رجل الفكر والسياسة
الدكتور عبد الوهاب عزام، أدبا، موطنًا ما بين الصين وبحر الظلمات، ولم يعرف في أداب
العالم. قديمها. وحديثها، أدبا اتسعت به المواطن، هذا الاتساع، وامتدت به الأعصار هذا
الامتداد، ثم هل عرف العالم أدبا أعظم من أدب العرب سعة رقعة، وطول مدة وجَمَلا
وجلالاً؟، وفي الأدب العربي سير رجف بها الزمان، وأقر بها الحدثان.

لا جرم - إذن - سادت اللغة العربية، وتحدث بشأنها الثقلان، الإنس والجان، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۚ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن - الآيات ١ - ٢]
واللغة أى لغة، هي وعاء الفكر، وإن شئت قل هي الفكر وهي الذكر، وهي ذاكرة
الأمة، وشاحذة الهممة، وهي الوشيحة بين الماضي والحاضر، وهي قوام الشخصية، وتراث
الإنسانية.. ثم هي كما عبر الناقد الفرنسي «بوفون» هي المرء ذاته، ومن نافلة القول أن
نقول إن قصيدة عظيمة، أو رواية جيدة يكتبها أديب، أكثر إفادة وأوفى دلالة من حشد
من المؤرخين بأكداس كتبهم التاريخية، وأين خمسون مجلدا من الوثائق ومائة مجلد من

الوثائق، كما تساءل سائل، في مقابل مذكرات تشيللي، ورسائل القديس بولس، أو ملهيات أو يستوفان؟ بل أين الملوك والأباطرة بجانب أسماء الغزالي والجاحظ والأصفهاني؟.. وقد صدق من قال «أديب واحد» خير من «ألف صيدلي»!.

وقد استمرت اللغة العربية لغة للتعليم العالى فى مصر منذ عصر محمد على إلى أن أناخ الإنجليز على مصر بكلكلهم عام ١٨٨٢ إذ بدأت عملية تحول كبرى، أشبه بتحويل مجرى النيل، بإحلال اللغة الإنجليزية، محل اللغة العربية، بادئين بأهم مدرسة، من المدارس آنذاك، وهى مدرسة الطب بعد مضى أقل من خمس سنوات على بدء الاحتلال للبلاد، (قسرا) على العباد.

وبدأ الليل يرخى سدوله، على هذه اللغة العظيمة، وما بين تفاؤل وتشاؤم، عبر عن الأول شاعر النيل حافظ إبراهيم، إذا رثاها بأبيات، تنزف الحشرات قال فيها:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي	وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَاسِي	رَجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي
أُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبٌ	يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
سَرَتْ لَوْثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى	لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فِرَاتِ
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ صَمٌّ سَبْعِينَ رُقْعَةً	مَشْكَلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ

وجاء خليل مطران بمثل الاتجاه الثانى إذ فى ندوة تكبكب حولها الغيورون على هذه اللغة. تنبأ جبران بأن اللغة العربية سوف تنهض من كبوتها وتصحو من رقدها وتكون هى الموحد للميول السياسية والمنازع اللغوية وتلم شعث النزاعات العربية.

وخلال النصف الأول من هذا القرن الذى أوشكت شمس على المغيب، قيض الله للغة العربية، عمالقه. أفذاذا من محبى اللغة العربية وروادها علت بهم وعلوا بها، ورفعتهم وارتفعوا بها، أمثال عباس محمود العقاد، وطه حسين، وزكى مبارك، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وأحمد حسن الزيات، وعلى الجارم، ومحمد فريد أبو حديد.

كتبوا وأجادوا وأبدعوا وأفادوا، وامتازوا بأسلوب عربى قويم مستقيم. أفصح تماما على قدرة هذه اللغة واستيعابها لكافة اللغات.

والآن وقد تراجعت اللغة العربية تراجعا بينا. بين كتابنا وعلى ألسنتنا واللغة العربية (بنت المشافهة)، وفى مدارسنا وجامعاتنا. وحل محلها لغة لا هى عربية، ولا هى عامية، بل هى خليط من هذا وذاك حتى أمسى الخطر يطبق على لغة الضاد، من كل حذب

وصوب، وباتت اللغة العربية، تعيش بين أبنائها وأهلها وذويها فى أيام جهم. وعشايا
دهم. بسبب غياب غيرة الوجهين لها، والقائمين عليها، وكادت أن تصبح هذه اللغة
العظيمة، اللغة الثانية فى بلادنا، مما جعلها تعود القهقرى مرة أخرى تاركة المجال لكل
من هب ودب لى يبعث بها وبتراثها.

وإننا ندق ناقوس الخطر لكل عاشق لهذه اللغة، ولكل أمين عليها. من مغبة هذا
التراجع. وباليتمنا نعود. إلى إقامة الندوات والمنتديات اللغوية من أجل الحوار الأدبى
والحوار اللغوى ويجب أن يسبق ذاك حفظ القرآن الكريم بمناهج مقررّة على تلاميذ المرحلة
الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة وجعل الدين مادة أساسية فيها، رسوب ونجاح،
ولها ثواب وعقاب، مع إعداد مدرّس اللغة العربية إعدادا تربويا، حيث إن مدرّس اللغة
العربية ينهض على تدريسها دون أن يكون مؤهلا لذلك، وذلك كله مع تبسيط قواعد
النحو وخاصة فى المراحل الأولى، والبعد عن الخلافات اللغوية، والنحوية. مع رفع درجة
النجاح فى اللغة العربية. اللغة القومية التى إن هى تراجعت فقد تراجعت النعمة القومية.
وضاعت النعمة الوطنية للبلاد.

فإما حياة تبعث الميت فى البلى وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بممات

فهل نكرم أنفسنا.. ونحذب عليها من خلال حذبنا على لغتنا.. (الجميلة). ونصونها.
من الضياع والهوان.. قبل الأوان؟.



رؤيتى للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١.. والمأمول منها..

من - مذكراتى الشخصية - والتي أدأب دوما على أن أسجلها على صفحات أحتفظ بها منذ سن باكر فى حياتى أعود إليها وأستخرج منها ما خطه يراعى عن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.. أرانى قد كتبت: لم أكن أحسب - وكذلك غيرى - أن مصر تموج بهذا الكم والكيف من الفساد والإفساد؟

وكان لابد من قارعة!.. قارعة تخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت وأصاب مصر بالقنوط. كان شكسبير يقول: «أخذت كرامتى أخذت كل شئ».

وبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاما حكم مصر بقبضة من حديد.. قىض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله إيمانا فانزعوا كرامة مصر من برائن وحوش ضاربة أرادوا ابتلاعها، ومن أيدى طغاة متجبرين لم «يخافوا» ظلما ولا «هضما» وكانت تجارتهم الرباحة فى سوق الحكم وسوق الاستغلال عملتها من المال وبضاعتها - ومن أسف - من الرجال.. استبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة وبزغت ثورة الشباب فنزعت أستارهم وكشفت خبيثتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحييت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.

أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدتها عزيزة الجانب وضاء الجبين وستظل إن شاء الله كذلك بعد أن عاشت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعه الموت المبيد بعدما روع الناس بالفتك والبطش العنيد.

لم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير كغيرها من الثورات فلم تكن على غرار ثورات الشباب التى هبت رياحها على أوروبا وأمريكا ولم تكن كثورة فرنسا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء ضحاياها.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثأروا من أجل تحرير

وطنهم من ربة الاستعمار الأجنبي.. بيد أن هذه الثورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد «الاستعمار الداخلي» الذى أناخ على مصر بكلكلة فلم يترك لها حولا وطولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها .. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «الين ودنج» عالمة الفيزياء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة وكاد اليأس يستبد بالمصريين جميعا الذى أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما يئسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وطمعيا».

وإذا كان - التاريخ - قد سجل أن أول ثورة فى تاريخ الإنسانية قد شب أوارها من مصر عام ٢١٥٠ قبل الميلاد فقد دون أيضا أنها كانت ثورة كما عبر الحكيم الفرعونى «إيبور» أتت على اليابس والأخضر حتى أضحى كل مصرى فى هذا الزمن السحيق يقول «ليتنى كنت ميتا.. على حين جاءت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثورة إنسانية أحييت اليابس وجعلت الأخضر يزاد اخضرارا وأخال أن من فى رسمه ينطق ويقول ليلتنى كنت حيا لأشهد هذه الثورة التى جاءت لتعلم العالم - كما عبر رئيس الولايات المتحدة «أوباما»: كيفية تغيير التاريخ بوسائل سليمة .. فلقد غير المصريون تاريخ بلادهم والعالم أجمع.

هنيئا لشباب الثورة.. وهنيئا لمصر بشبابها.. ورحمة الله على شهدائنا.. ولعنة الله على الظالمين.

لقد انخرط أولادى فى صفوف الثائرين فى ميدان التحرير.. وكنت أتوجه إليه آناء الليل وأطراف النهار كى أشهد بنفسى ميلاد الثورة التى كانت لما تزل فى رحم مصر حتى مر على مصر الثمانية عشر يوما التاريخية منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى مساء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ يوم أعلن «عمر سليمان» نائب رئيس الجمهورية المعين حديثا من قبل الرئيس «تنحى محمد حسنى مبارك عن رئاسة مصر وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد» لحظة تاريخية فارقة لن أنساها من حياتى لقد ولدت الثورة وأصبحت كائننا بشريا حيا يجب علينا جميعا أن نحوطها بالعناية والرعاية حتى تشب عن الطوق ويزكو عودها وتضحى بشرا سويا.

لقد أراد أعداء مصر أن يحرقوها كما أحرق الإنجليز «عذراء اللورين».. «جان دارك» عام ١٤٣١م فاستبدوا بها ظلما وطمعانا حيث كان الاستبداد هو هوايتهم المفضلة فحرموها من نسائم الحرية.

لقد كذبوا على الشعب وأوهموه بأنهم يعملون لصالحه بينما كانوا هم يعلمون لطالعه وصدق الشعب كذبهم فالحكمة تقول:

«إن الناس مستعدون لتصديق كذبة سمعوها لألف مرة، أكثر من استعدادهم لتصديق حقيقة لم يسمعوها إلا لمرة واحدة منذ عام ١٩٨١ منذ حكم الرئيس السابق والبطالة تنتشر في مصر وكذلك التدهور الاقتصادي والتراجع الملحوظ في مستوى التعليم مع انتشار الفساد في البلاد انتشار النار في الهشيم».

فضلا عن أن مصر وهى ثاني أكبر دولة فى أفريقيا من حيث عدد السكان بعد نيجيريا وهى أكبر دولة فى الشرق الأوسط أصبحت من أفقر الدول فى العالم بالنسبة لمستوى دخل الفرد.

لقد زورت الانتخابات.. وفتحت المعتقلات وزج الأبرياء داخل غياهب السجون. وكان من ثالثة الأثافي أنه وفى عام ٢٠٠٤ أبرمت مصر أربعة عقود بموجبها تقوم مصر بتصدير الغاز الطبيعى لإسرائيل ويمتد العمل لهذه العقود حتى عام ٢٠٣٠ مما دعا المحكمة الإدارية بمصر إلى أن تصدر حكمها ببطالان هذه العقود وطالبت المحكمة الحكومة المصرية بإعادة النظر فى أسعار التصدير ولكن الحكومة لم تنفذ ذلك.

ولقد جادت قريحة الشاعر الفذ الأستاذ «فاروق جويده» بما اعتمل فى قلوب
التأثرين فقال:

«ارحل كزين العابدين وما نراه أضل منك

ارحل وحزبك فى يديك

ارحل فمصر بشعبها وربوعها تدعو عليك

ارحل فإنى ما أرى فى الوطن فردا واحدا يهفو إليك

لا تنتظر طفلا يتيما بابتسامته البريئة أن يقبل وجنتيك

لا تنتظر أما تطاردها هموم الدهر تطلب ساعديك

لا تنتظر صفحا جميلا فالخراب مع الفساد يرفرفان بمقدميك

إرحل وابنك فى يديك»

ومنذ إعلان شباب الفيس بوك عن ثورتهم على الظلم والطغيان ودعوة الشعب المصرى عبر الموقع الاجتماعية على الأنترنت مثل «تويتر ويوتيوت» ونحن جميعا عن بكرة أبينا

نترقب النهاية التى جاشت فى خواطرنا، إن رحيل هؤلاء الذين هانت عليهم مصر وأزّلوا شعبها طوال عقود ثلاثة حتى أهل علينا يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ - فكان بداية النهاية لهؤلاء الطغاة الظالمين الذين حكموا مصر وكأنها بقرة حلب تدر لهم وليس لغيرهم لبنا سائعا للشاربين وكانوا هم الشاربون.. وجاء يوم ١١ فبراير ٢٠١١ - يوم الرحيل وقد كنت - آنذاك - أنا وأولادى فى قلب ميدان التحرير نحتفل بنجاح الثورة، ورحيل الجبابرة.. إذ بشاب يوجه حديثه إلى قائلا: «أننا سنقوم بتنظيف الميدان - ميدان التحرير»، فلا تنسى يا حاج أن تأتى مع أولادك غدا لتنظيف الميدان؟!.. وهذه هى مصر..

قرأت فى كتاب الأستاذ المفكر الفذ «أنيس منصور» فى كتابه الجميل «وأنا اخترت القراءة» قالوا فى النكت الاقتصادية إن وزير اقتصاد هتلر واسمه هيلمار شاخت (١٩١٧-١٩٧٠) ذهب إلى - لبنان - ويقال إلى مصر لإصلاح السياسة المالية والاقتصادية. وقالوا إن الرجل قرأ وسمع وقيل له وفكر ثم عاد يقول: أنتم لستم فى حاجة إلى أى إصلاح اقتصادى.. أنتم كده كويسين جداً.. وهكذا كانت نظرة عالم إلينا. وأعود إلى مذكراتى التى أدب على تسجيلها يوما بيوم منذ سنوات طوال فأنقل منها عبارة عميقة قال فيها صاحبها: «طوبى لمن بادر عمره القصير فعمر به دار المصير، وتهياً لحساب الناقد البصير، قبل فوات القدرة وإعراض النصير».

ومن هنا فإنه من المأمول من هذه الثورة الخالدة التى شحذت الأسماع إلى الإصغاء إلى صوتها صوت الحق حتى إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. الرئيس أوباما.. دعا شعبه إلى أن يتعلم من هذه الثورة السلمية العظيمة.. من المأمول وقد قضت الثورة على النظام الاستبدادى وتعقبت فلوله ووادت صناع الملوك وهو عنوان الكتاب الذى شحذ فكرى وشد نظرى بما خطه مؤلفه «كارل إى. ماير» وقد ترجمته الدكتورة فاطمة نصر.

من المأمول من هذه الثورة أن تعمل على وصل الليل بالنهار بالعمل الجاد القويم المستقيم فى سبيل نهضة مصر.. بزيادة الإنتاج.. وغرس الفضائل والقيم فى المجتمع المصرى.. قيم العدل والأمن والأمانة والرحمة والتسامح والعلم والتفكير واحترام الآخرين والصداقة والانتماء إلى مصريتهم بما يرفع اسم مصر عاليا خفاقا بين أمم العالم.. فهى أقدم حضارة فى التاريخ.. ولا جَرَم.. أن تتبوأ مكانتها بين العالمين فى أحوال وفى المآل.

ثورة عبرت جميع الأجيال.. وحققت الآمال..

حذر منها العلماء، وتنبأ بها الكتاب والأدباء! ولكن - هكذا - الطغاة البغاة - لا ينزلون عن كراسي حكمهم إلا يدك عروشهم دكا دكا.

فى القصر الجمهورى.. وكانت الوفود - آنذاك - تترى - من كل حذب وصوب، وقد تكوكت وتجمعت حول الرئيس السابق «محمد حسنى مبارك» تزف إليه مشاعرها - المغلفة بالنفاق الآثم، عقب نجاته من مؤامرة أثيوبيا الشهيرة التى تربصت به وترصدته على الأرض الأثيوبية، تبغى مصرعه.. ولو نجحت فى تدبيرها لتحول «حسنى مبارك» من بعدها إلى شهيد تذرف الناس الدموع عليه.. ولكن الله أراد شيئا آخر حتى لا يتحول الرئيس السابق إلى معبود لمصر تدبج فيه اليراعات، القصائد العصماء التى تشيد بذكره وفضله.. فقد أراد الله أن يخرج مبارك من حكم مصر بثورة شعبية غير كل الثورات منزوعا من دست الحكم الذى تقوقع فيه و تربع عليه بقسر وظلم و طغيان طوال عقود ثلاثة من الزمن كانت من أسوأ العهود وأظلمها على مصر بعد أن ظهر المخبوء، وقد كان مطمورا فى أديم الأرض.

نقول إن الرئيس السابق عقب توديعه لثلاثة من علماء الأزهر الأجلاء استوقف أحدهم وأحسب أنه فضيلة الشيخ «محمد الغزالي» رحمة الله عليه، وطلب إليه أن يدعو الله له، لأنه مسئول عن إطعام ثمانين مليوناً من المصريين حسبما قال.

وانفجر الشيخ «الغزالي» فى وجه الرئيس السابق مُغضبا، قائلا له: «لا تقل هذا يارجل.. أنت الذى يطعم المصريين، إنك لا تستطيع أن تطعم نفسك، ولا غيرك، إنه الله هو الذى يطعم الناس ويطعمك»، علت الصفرة وجه مبارك واربد وجهه وهو كظيم!.

وإذا زاره فضيلة الشيخ «محمد متولى الشعراوى» مع كوكبة من علماء الأزهر الشريف، وكانت قاعة الإستقبال تموج بجمع جامع ممن جاء يزجى التهنئة إليه - زرافات ووحدانا - وجه العالم الجليل حديثه إليه قائلا: «إننى يا سيادة الرئيس أقف على عتبة حياتى لأستقبل أجل الله قلن أختم حياتى (بنفاق) ولن أبرز عنقريتى بإجتراء ولكن أقول كلمة موجزة: أريد أن تعلموا أن الملك كله بيد الله يؤتيه الله لمن يشاء وينزعه ممن يشاء فلا تأمر على الله لملك

ولا كيد على الله لحكم لأنه لن يحكم أحد في ملك الله إلا بمراد الله فإن كان عادلا نفع بعدله وإن كان جائرا ظالما قبحه الله في نفوس كل الناس وأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكما أنصح.. ألا يطلب الحكم، بل أن يكون مطلوباً إليه، فرسول الله قال : «من طلب إلى شئ أعين عليه ومن طلب شيئا وكل إليه» ثم يعم وجهه إلى مبارك وأردف قائلاً : «يا سيادة الرئيس آخر ما أحب أن أقوله لك، ولعل هذا يكون آخر لقاء لى بك، إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعنك الله على تحملنا».

وقبلها بسنوات جد قليلة، وقد نما إلى علم الرئيس «أنور السادات» أن الشيخ «المحلاوى» إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية قد أمعن في نقده فأمر السادات بالقبض عليه هو ومن معه من رموز مصر الذين كانوا يعارضون حكمه ويناورونه من خلال اتفاقية «كامب ديفيد» والزج بهم جميعاً في غياهب الحب، وفي خطبة له بالتلفاز المصرى قال الرئيس «السادات»: «إنه - أى الشيخ المحلاوى - مرمى زى الكلب فى السجن؟!»، ولم يتوان الشيخ «الشعراوى» عن إرسال برقية «للسادات» قال فيها: «يا سيادة الرئيس إن الأزهر لا يخرج كلاباً، ولكنه يخرج علماء أفاضل ودعاة أمجاداً».

انتقل الشيخ الشعراوى إلى الرفيق الأعلى ومرت السنون بطيئة متناقلة وتوالت الأيام والنذر تتجمع حتى كونت سحابة سوداء في سماء مصر وهل على مصر يوم الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ فعمت مصر المظاهرات الصاخبة بعد تأجيج النيران فى الصدور وتجمعت الألوف المؤلفة فى ميدان التحرير ميدان العزة والكرامة وأحد الميادين الثلاثة التى دخلت التاريخ بالثورة العارمة التى كانت قد تأججت فى القلوب مطالبة «بمبارك» أن يرحل، ورحل حاملاً عصا حكمه على كتفه، بعد أن توسد سدة الحكم فى مصر زهاء الثلاثين عاماً، غير مأسوف عليه.

ولم يكن أحد يدري ومنهم كاتب هذه السطور على وجود هذا الكم والكم من الفساد والإفساد فى مصر ومع الإرهاصات التى أرهص بها بعض كتاب مصر وأدبائها من أن عهد مبارك فى طريقه إلى الزوال إلا أن أحداً لم يكن يصدق ذلك!.

وكان لابد من قارعة! قارعة تُخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت، وأصاب مصر بالقنوط.. فبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاماً حكم مصر بقبضة من حديد.. قبيض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله

إيماننا فانتزعوا كرامة مصر من برائن وحوش ضارية أرادوا ابتلاعها، ومن أيدي طغاة متجبرين لم «يخافوا» ظلما ولا هظما وكانت تجارتهم الرابحة في سوق الحكم وسوق الاستغلال (عملتها من المال وبضاعتها - ومن أسف - من الرجال.. استبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة)، وبزغت ثورة شباب ٢٥ يناير بل ثورة الشعب المصرى بأكمله فنزعت أستارهم وكشفت خبيثتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحييت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.. أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدما عزيزة الجانب وضاءة الجبين وستظل إن شاء الله هكذا بعد أن عاشت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعقه الموت المبيد بعدما أن روع الناس بالفتك، والبطش العنيد.

لم تكن هذه الثورة التى بهرت العالم كله بسلميتها ونقاها، وإصرار شبابها على قهر من ظلموهم وافتأتوا على حقوق وطنهم فى الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية التى غابت ردحا طويلا من الزمن مثل الثورات التى عرفتها أوروبا فى القرن الثامن عشر والحركات الليبرالية والقومية فى أوروبا فى ذلك القرن مثل ثورة اليونان والنمسا وألمانيا وإيطاليا وكذلك ثورات أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، وثورة أوكرانيا المعروفة بالثورة البرتقالية عام ٢٠٠٤.

ولم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير - كذلك - كغيرها من ثورات الشباب التى هبت وتهب رياحها على أوروبا وأمريكا بين الحين والحين، ولم تكن كثورة فرنسا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء الأبرياء.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظيم ثاروا من أجل تحرير وطنهم من ربة الاستعمار الأجنبى؟، بيد أن هذه الثورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد (الاستعمار الداخلى) الذى أناخ على مصر بكلكله فلم يترك لها حولا ولا طولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها.. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «إلين ودنج»

عالمة الفيزياء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة» وكاد اليأس أن يستبد بالمصريين جميعا الذين أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما يأسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وغشا وطغيانا. هنيئا لمصر بثورتها.. ورحمة الله على شهدائنا الأبرار الذين وهبوا حياتهم فداء لبلادهم.. ونصرة لوطنهم.



جلال القضاء ..

القصة تبدأ عندما دخل أستاذ جامعي ليحاضر تلاميذه في إحدى الكليات، كعادته. وإذا بهم يرونه وقد ترك موضوع الدرس ضاربا به صفحا ليهاجم مقالا قرأه في إحدى الصحف يشكو فيه كاتبه من تأخر الفصل في القضايا، فأهاب الأستاذ بوزارة العدل أن تعمل على تدارك ذلك بزيادة عدد رجال القضاء.. ثم يهاجم القضاة أنفسهم!!.. فهل يصح هذا من أستاذ جامعي جدير به أن ينصرف إلى عمله وألا يتعدى حدود مهنته؟!..

إن قضاء مصر هو الدرع الواقي لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها وإن مصر تزهو به على العالمين.

وأين ما قاله هذا الأستاذ الجامعي من القول القائل: «فتش عن الرجل تحت وسام الدولة فلن يصنع الوسام منه قاضيا ما لم يكن يحمل بين جنبيه نفس القاضى وعزة القاضى وكرامة القاضى وغضبة القاضى للحق دائما؟».

إن قضاتنا من خيرة قضاة الأرض فى أنفتهم وعزتهم وزهدهم فى الحياة الدنيا، ولعل الأستاذ الجامعي يهدئ من ثأثرته إذا علم رأى بعض كبار الأساتذة الأجانب فى قضاتنا، وقد رأوهم عن كثب، بعيدا عن التهويل والتهليل.. ونحن نهدي إليه كلمة قالها زميل له بإحدى جامعات روما وهو الدكتور «بيرو كالنذارى» عميد إحدى الكليات هناك:

«ألا ما أشبه القاضى «المصرى» بالعامل فى مناجم الماس حين يقوده عمله إلى فرص الثراء الفاحش فلا تمتد يده إلى ما تستطيع قطعة صغيرة منه أن تؤمن حياته وحياة أسرته.. ولكنه يفنع بأداء واجبه وراحة ضميره. فتمسك اليد الخشنة التى كانت تلعب بالماس لعبا قطعة الخبز الجاف تدفع بها غائلة الجوع راضية هائلة..».

ترى.. من هذا الأستاذ الجامعي؟!..



وجيش مصر العظيم .. كذلك يستحقها .. ١٩

الثورة المصرية حققت أملا مصريةا .. وأصبحت رمزا قوميا عربيا .. وأضحيت نبراسا عالميا ، فتسورة ٢٥ يناير أول ثورة فى العالم لا تحمل المدافع والرشاشات وإنما تتقدمها حرصا على أمنها وسلامتها الدبابات .. تعقبت عهدا ظالما حتى باد .. فأصبحت مصر فى يد شعبها بعد أن كانت فى قبضة كل من هب ودب .. ملكا مباحا مستباحا يغترف من خيراتها ذوى الذمة الخربة من الخائنين .. فمافتئى الكل فى حق الحياة سواء وتعانق الهلال مع الصليب فى مودة وإخاء .. ويممت شعوب الأرض من كل البقاع والأصقاع نظرها إليها بكل تقدير وإعجاب .. بعد أن صحا المارد من نومته .. تهابه الحراب ؟!

كان جيشها الوطنى العظيم سياجها ، وضباطه وجنوده أمنها ، يدفع عنها كل ذى خطر . يزود عن حماها .. ويقف بالمرصاد لمن عداها .. بعقد بينه وبين الشعب وعهد بينه وبين الله ، فحال بين العزل من الأبرياء وداس بقدمه على (الدوجما) الهمج الأغبياء الذين تسلحوا بسلاح الغدر والخيانة بخيولهم وجمالهم مذكرين إيانا بعصر الجاهلية فى محاولة يائسة منهم لوقف مد شباب الثورة ووئدها فى مهدها - ولكن هيهات هيهات ! .. فلقد وقف جيش مصر كالجبل الأشم يحتضن الثورة فى عينيه .. وشاء الله أن يُمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين .. بعد أن تحقق وعد الله العلى الناصر لكل مظلوم بأنه : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [سورة الحج - الآية ٣٩] .

إن هذا الجيش الباسل النبيل وعلى رأسه مجلسه الأعلى وقائده المشير «محمد حسين طنطاوى» لن ينسى له التاريخ إنه ذهب إلى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك وقال له : «إننى بمثابة ابنك .. تنح حقنا للدماء .. وتنحى الرئيس» .

وهكذا كان الجيش المصرى على مر العصور والدهور جيشا وطنيا أبيا يصون الديار ويحمى الزمار .. فهل ينسى التاريخ اليوم التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ عندما تصدى للخدियो الخائن توفيق الذى تحالف مع الإنجليز ضد مصر فجأر فى وجهه القبيح جيش مصر وعلى رأسه الزعيم «أحمد عرابى» صارخا فى وجهه : «لقد خلقنا الله أحرارا ولم نخلق

تراثا ولا عقارا.. فو الله الذى لا إله إلا هو إننا لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».. واعتبر المؤرخون هذا اليوم أعظم يوم فى تاريخ القومية المصرية.. ولم يكن جيش مصر الوطنى الآن - إلا معبرا عن تاريخه العريق الضارب فى القدم.. فلطالما رفع راية الحق منحاذا للشعب مثبتا أنه ليس ملكا لأحد وإنما هو ملك للشعب وحده. فلن يسمح التاريخ بتكرار مثل هذا المرسوم الذى نشرته الدليل المصرى [Moniteur Egiptien] والذى اتخذته الخديو محمد توفيق بحل الجيش المصرى عقابا له على تضامنه مع الزعيم أحمد عرابى كذلك لن يكرر التاريخ وجود مثل الخائن محمد سلطان باشا الذى اغتال الجيش المصرى بموقفه الوطنى خلال الثورة العربية، والذى تحالف مع الإنجليز ضد وطنه وسمح له بولوج البلاد. حتى حياه المؤرخون وكتب عنه الكاتبون يتبارون فى تمجيده والإشادة به.

يقول «سريو» فى كتابه مصر الحديثة إن كفاءة الجندى المصرى وما اشتهر به من الثبات والشجاعة قد قامت عليه حضارة مصر.. ويقول المرشال «مارمون»: إن الجندى المصرى له حظ عظيم من المقدرة تبلغ درجة النبوغ.. ويقول البارون «موالكتونب»: إن المصريين هم خير من رأيتهم من الجنود..

لقد رشح الرئيس النمساوى «هاينز فيشر» المصريين لنيل جائزة نوبل للساد قائلا: إنهم أروع شعب على الأرض ويستحقون جائزة نوبل للسلام.. وكما قرأنا فى جريدة «المصرى اليوم» ونحن نضيف والجيش المصرى أيضا يستحق هذه الجائزة فلقد حمى ثورة الخامس والعشرين من يناير، فاستتب لمصر وللعالم كله السلام بحسبان أن مصر هى (بؤرة العالم). حماها.. ليس بالبأس والصولجان.. ولكن بوطنيته الصادقة وقوة الإيمان.



حق الجار على جاره ..

حق الجار حق مقدس حرصت عليه جميع الأديان سواء الأديان الكتابية أو غير الكتابية.

ففى «مصر القديمة أو العتيقة» نقرأ فى أدب القراعنة لأحد الحكماء فى وصية له لإبنه «حافظ على جارك، وعامله كأخ لك» إن كان جائعا فاعطه له من خبزك وأطعمه من طعامك، وإن كان مريضا، فعُده، وإن غاب فاسئَل عنه، وإن حقد عليك فاجلس على حفة النهر حتى يأتى لك التيار بجثته!.

وفى الأدب الصينى نقرأ: «عامل جارك بأدب» .. ثم نقرأ أيضا: «إن كان جارك سيئا فاصبر عليه حتى يرحل».

وفى الديانة «البوذية التى بشر بها [البوذا جوتاما] قبل ميلاد السيد المسيح - عليه السلام، بحوالى خمسة قرون دعت البوذية إلى التوسط فى أمور الحياة الثمانية»، وهى: «الفهم، والعزم، والكلام، والسلوك، والمعيشة، والعمل، والتأمل، والفرح».. والمقصود بالفرح هنا هو «الفرح الصادق» الذى يتاح للإنسان فيبلغ به الملكوت.. ويدخل فيه فرح الإنسان «لجاره».. كما يفرح لنفسه.

وجاءت الديانة الفارسية التى علم فيها الفيلسوف (زرادشت) الناس حب الخير. وجعل الخير المحض من صفات الله، وبشر بالثواب، وأنذر بالعقاب ودعا إلى محبة الناس بعضهم لبعض وحب الجار لجاره والصديق لصديقه ومن المأثور عنه قوله: «رب! هب لى عونك، كما يعين الصديق أخلص صديق».

أما «الحضارة البابلية» التى هى من أقدم الحضارات فحرمت الاعتداء على الأخ أو الصديق أو الجار.. «فمن اجتزأ على فعل المحرم.. تجزيه الآلهة، على ذنبه بالوبال.. والمرض العضال.. فإن لم يكن جزاؤه مرضا فهو خسارة فى المال أو البنين»، وهكذا كانت أيضا الثقافة اليونانية وفلاسفتها العظام سقراط وأفلاطون وأرسطو الذين دعوا إلى محبة الخلق كل الخلق بعضهم لبعض.

ونزلت الديانة اليهودية لتدعو كما قال (هوشع النبى) - تدعو إلى الحب ومنها حب الجار.. «لأن خلائق العدل والحق والإحسان والمراحم هى خلائق الأبرار».

وبشّر «السيد المسيح» - عليه السلام - بالديانة المسيحية التي قامت على الحب فآله محبة.. ومن يحب الله يحب الناس جميعاً ومن أقواله - عليه السلام - سمعتم أنه قيل: «تحبُّ قريبك وتبغض غَدُوكَ. وأما أنا فأقول لكم أَحِبُّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضيك. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناءً أبيكم الذى فى السماوات. فإنه يشرق شمسُه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأَيُّ أجرٍ لكم. أليس العَشَّارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلَّمتم على إخوتكم فقط فأَيُّ فضل تصنعون. أليس العَشَّارون أيضاً يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كامليين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل».

محبة الإنسان لأخيه الإنسان ومنها بالقطع حب الجار.. فالطهر.. كل الطهر فى نقاء الضمير.. فمناط الغير كله فيه، ومرجع اليقين كله إليه «فليس شئ من خارج الإنسان يدينه بل ما يخرج من الإنسان هو الذى يدين الإنسان».. فإذا بذلت الصدقة لأخيك أو لصديقك أو لجارك فلا تتباهى بالإحسان.. «فأبوك الذى يراك فى الخفاء يجزيك فى العلانية».

وأشرقت شمس الإسلام وجاءت آيات الله البينات لتوضح وتؤكد ذلك. ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، شَيْعًا وَالَّذِينَ إِحْسَنَّا وَبَذَى الْقُرَيْنِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذَى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٣٦].

فى هذه الآية الكريمة، بين الله - سبحانه وتعالى - أنواع الجيران فهناك جار قريب.. من ذوى القربى. وهناك جار ملاصق فى السكن، وهناك الجار المؤقت وهو المصاحب فى الطريق. وأوجب الإسلام الإحسان إلى الجميع.

وقد أكدت الآية الكريمة فى نهايتها أن الإساءة وعدم الإحسان إلى الجار لا يصدر إلا من إنسان مختال كفور، قد امتلأ قلبه بالاعتلاء والكبر.

وها هو ذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يحذر من إيذاء الجار فقال - صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن».

قيل: من يا رسول الله؟.. قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه».

وقد جاء رجل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم -، وقال: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتهها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال - صلى الله

عليه وسلم: «هي في النار. فالإسلام دين الإنسانية قد أوجب عليها الإحسان حتى إلى الجار الغير مسلم. فالمسلم من سلم من الناس من لسانه ويده».

وأوصى الإسلام بالجار وقنن حقوقه بما يدل على قداسة حق الجار في الإسلام. وكيف لا ؟ وهو العصا التي يتوكأ عليها.. وهو نجدته عند الشدة وأقرب الأقربين له عند الحاجة، وعونه عند الخطوب. فالإنسان عبد الإحسان.. قال الشاعر: «لطالما استعبد الإنسان إحسان»، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام، «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها».

من نافلة القول أن نقول إن السلف الصالح دأب على إكرام الجار والمحافظة عليه فكان لا يشبع إلا إذا شبع جاره ولا يسكن إلا إذا سكن، كما كان يعود جاره إذا اعتوره مرض ويسأل عنه إذا غاب، وإذا نزلت به التوازل أعانه على نوازل، واحترم عواطفه، فلا يفرج إذا كان حزيناً ولا يكتسى إن كان عرياناً، وإلا كساه. ولذا كان الرجل العربي يتباهى بأن جاره عزيز بعزته، وغنى بثروته.

وفى الأثر ورد «ما ضرنا أنا قليل وجارنا: عزيز، وجار الأكثرين، ذليل». كان العرب الأقدمون، يتباهون بأن إكرام الجار من المفاخر العظيمة والمآثر المجيدة، وقد سجل التاريخ أن الحارث بن عمرو نزلت به نازلة من نوازل الدهر ومصيبة من مصائب الأيام أضطر معها أن يبيع داره ليسدد ما عليه من ديون.. فقال له المشتري: إن دارك لا تساوي أكثر من خمسين ديناراً. فقال له الحارث: وبكم تشتري جوار سعيد بن العاص؟! فقال المشتري: والله ما رأيت قبل اليوم جواراً يباع، ومن هو سعيد هذا الذي تتبع جواره؟ أجابه الحارث: ذلك الذي إذا مرضت عاداني وإذا سألته أعطاني وإن أعسرت مد لي يد المعونة. يُعِيدُنِي فِي النَوَائِبِ وَيُسَاعِدُنِي فِي الْمَصَائِبِ وَيُوَاسِينِي فِي الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ. ولما وصل الخبر إلى «سعيد»، جاء مسرعاً، والحديث لما يزل قائماً - بين المشتري، والحارث فقال للحارث: أمسك عليك جارك ولا تبع دارك، بقليل أو كثير، وكل ما عليك من دين، أو حوائج، فهو لي، وعلى. وهكذا كانت النخوة العربية الإسلامية.

ومن هنا جاءت الحكمة: «خذ الجار قبل الدار».

ونُقلت إلينا المأثورة: «خذ الرفيق قبل الطريق».

قد قال عليه الصلاة والسلام: «اتق المحارم تكن عبد الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلماً وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمناً».

وقد جاء رجل إلى الرسول - عليه السلام - يشكو إليه من سوء خلق جاره، ومعاملته. فقال له النبي: اذهب وأخرج متاعك وبعثه على قارعة الطريق، فإذا سألك الناس لماذا أخرجت متاعك من دارك، وألقيته هكذا، فقل لهم: إن لي جارا يؤذيني. ففعل الرجل ما أمره به الرسول، فلعن كل ماشٍ ذلك الجار، وما يزال الناس يلعنونه حتى ذهب هذا الجار إلى الرسول، معتذرا لجاره.

وقد حرص الرسول - عليه الصلاة والسلام - على حقوق الجار فقال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من بات شبعانا وجاره يتضور جوعا، وهو يعلم». وقال أيضا: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره. وقال أيضا: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه، وخير الجيران عند الله، خيرهم لجاره».

وقد بين الرسول أن الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو الجار المشترك، وجاره له حقان وهو الجار المسلم ذو الرحم.

ثم تعالوا معي لتمعن النظر، ونمعن الفكر في هذا الحديث الشريف الذي جاء بمثابة مذكرة تفسيره - بلغة أهل القانون - حينما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أتعلمون ماحق الجار؟.. قالوا وما حق الجار يارسول الله؟ فأجاب عليه السلام.

«ان استغاث بك أغثته.. وإن استقرضك أقرضته.. وإن مرض عدته.. وإن مات شيعة جنازته.. وإن أصابه خير هنأته.. وإن أصابته مصيبة عزيته.. ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجز عنه الريح، الإياذنه.. وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه».

وهاهو ذا التاريخ يسجل في أنصع صفحاته كيف حرص المسلمون الصالحون على إحترام الجار وصون حقوقه. فقد جاء أحدهما يشكو إلى أخيه كثرة الفئران. فقال له: لو اقتنيت - هذا - وأشار إلى قط - لتقضى عليها. فرد عليه قائلا: أخشى أن يسمع الفأر صوت القط فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أسأت إليهم؟!.

وقد روى أن الإمام أبا حنيفة كان له جار يصلح الأحذية يبيت الليل يعاقر بنت الحان «الخمرة» ثم يدق الأحذية ويغني بصوت عال كرية..

وكان الإمام أبو حنيفة يصبر على هذا الأذى، ويتحمل سلوك جاره سبى الخلق، وفي يوم ما قبض العسس على هذا الرجل وسيق إلى غياهب الجب، ولما افتقد الإمام أبو حنيفة

صوته سأل عنه، فعلم ما حدث له.. فما كان منه إلا أن ذهب إلى الأمير وتشفع له عنده. حتى أخرجه من السجن، وأخذ الإمام بيده، فخجل الرجل أشد الخجل، وتاب على يد الإمام، وحسن إسلامه وصح حاله.

ومن مفاخر ما حكى عنه التاريخ في حسن معاملة المسلم لجاره ما حكى عن ابن عمر رضى الله عنهما إذ كان له جار يهودى فكان إذا ذبح الشاه يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها.

وقد ورد فى المأثورات أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول، يارب سَل هذا، لما منعنى معروفه وأغلق عني بابه، وفى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد سأل رجل، دلتنى على عمل يا رسول الله إذا عملت به دخلت الجنة فقال عليه الصلاة والسلام: «كن محسناً»، فقال الرسول، وكيف أعرف أنى محسن؟ فأجابه: سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيئ فأنت مسيء.

وقد جاء فى الطبرانى من حديث المقداد بن الأسود «لأن يسرق الرجل من عشرة بيوت، أيسر من أن يسرق من بيت جاره، ولأن يزنى بعشرة نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره».

ومما يحكى عن حسن معاملة الجار. ما روى من أن سهل بن عبد الله التستري كان له جار مجوسى، وكانت القاذورات تسقط من فوق هذا الجار المجوسى فى دار سهل بن عبد الله، فكان سهل رضى الله عنه يجمع تلك القاذورات فى مكتل عنده، كل يوم، ويلقيها بعيدا، دون أن يعاتبه، ولما حانت منية «سهل» استدعى جاره المجوسى وذلك بعد أن أبصر جاره المكتل المليئ بقاذوراتهِ فسأله: ماهذا؟ قال له: هذا ما يسقط من دارك على وأنا ألقاه بالنهار وأجمعه ليلا، ولولا أنه قد واتانى أجلى، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق لغيرى، فيؤذيك، ما استدعيتك فما كان من جاره إلا أن قال له: أيها الشيخ أنت تعاملنى هذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفرى.. مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

هذا هو حق الجار فى الإسلام. حق مقدس تأثر به القاصى والدانى، وتأثر به الأدب الشعبى حتى نطقت به الأمثال التى جاء فيها:
اختار الجار قبل الدار.

النبی وصی علی سابع جار.
 إن كان جارك فی خیر افرح له.
 أطلب لجارك الخیر. إن مانلت منه. تكتفی شره.
 «الجار أولى بالشفعة» «مبدأ قانونی معمول به كحق الإرث».
 الجار جار. وإن جار.
 جارك قدامك ووراك. إن ماشاف وشك یشوف قفاك؟!
 قبل ما أقول یا أهلی یكون جیرانی غاتونی.
 ربك وجارك أعلم بحالك.
 لولا جارتی لانفقت مرارتی.
 من جاور السعید یسعد.
 غیر من جارك ولا تحسده.
 یا جار الدهر. احزن لی شهر.
 الجار للجار ستر وغطا.
 وهل ثمة أعظم حدیثا.. من قول رسول الله علیه الصلاة والسلام حین قال: «ظل جبریل یوصینی بالجار حتی ظننت أنه سیورثه». وهكذا یثبت الإسلام أنه دین المبادئ.. وأنه دین الحق.
 فمحببة الجار لجاره أمر إلهی. وسنة شریفة یجب أن نحرص علیها كل الحرص. وأن نعص علیها بالنواجز.



من قاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما..

غاص المصريون بخيالهم إلى أغوار الماضي وهم ينصتون بقلوبهم إلى الرئيس أوباما وتعلقت به عقولهم وسرحت معه من خلال خطابه الصافي الضافى، الذى وجهه من خلال منبر جامعة القاهرة إليهم وإلى العالم الإسلامى بل إلى قاطنى المعمورة فى شتى البقاع والأصقاع ومس شغاف قلوب المسلمين استشهاده الصائب بآيات من القرآن الكريم تدعو إلى التسامح وإلى قبول الآخر وإلى العيش فى سلام ووثام.

وفى مثل هذا الشهر يونيو عام ١٩٦٣ قال الرئيس كيندى.. وهو بصدد مخاطبته للشعب الأمريكى: «إننا نواجه مشكلة أخلاقية قديمة قدم الكتاب المقدس وواضحة وضوح الدستور الأمريكى.. ألا وهى الاعتراف بحقوق الآخرين..».

كان كيندى يقصد بكلمته هذه محاربة العنصرية التى ضربت جنبات البيت الأمريكى وباتت تتهدد الأمة الأمريكية فى صميمها وفى سويداء قلبها؟!.

ويقص علينا «مارتن لوتر كينج» الشهيد الزنجى الأمريكى الذى اغتيل على يد الرجل الأبيض لقاء دفاعه عن حقوق السود - فى أمريكا الذين جلبوا إلى أمريكا من القارة الأفريقية كعبيد أرقاء حيث كان الإنسان يباع ويشترى، كما يعامل الحيوان؟! وفى ظلمة الليل البهيم.

ولعل قصة كفاح الزنوج فى أمريكا لن تطوى من كتب التاريخ، ولا من مدونات الفكر، فقد عاش الزنوج تحت ريقة إحتلال البيض لهم، وتكبيلم فى إसार الظلم مستعبدين إياهم، بحيل الداهية، وبقوة الطاغية الذى صدر فى غيه، يتفنن أثناء الليل وأطراف النهار فى إذاقة كل زنجى العذابات ألوانا، ومن صنوف الذل والمهانة وصالا، فكان محظورا عليه أن يتعلم القراءة والكتابة بمقتضى قانون جائر ثابت فى السجلات الرسمية والحكومية، وكان الزنجى إذا شك أو تألم فالعقاب الوبيل له يتراوح بين التشويه الجسمانى إلى حد القتل حتى بات كل زنجى يتمنى ألا يقوم من سباته؟ فمنذ لحظة مولده فى المستشفيات المتدنية والمقصورة على السود دون سواهم ينتهى به المطاف إلى مقابر السود.. وما فتئ العنصرى الأبيض يردد مؤكداً أن الزنجى أى زنجى راضٍ عن حياته، ومصيره. فليس فى الإمكان أبدع مما كان؟!.

وظفق الزوج يبحثون كيف السبيل إلى الخروج من هذا النفق المظلم .. فالجميع «أذن طين وأخرى من عجيين» ؟! .. فلا أحد يجيب أو يستجيب؟! .

وما إن أهل صيف عام ١٩٦٣ حتى كان الزوج قد جيشوا جيوشهم ونظموا صفوفهم ومضوا قدما تحت لواء النضال السلمى للمجاهرة بحقوقهم ، وكان من بينهم - آنذاك - العاجز، والمشوه، والضرير، فأضحت السلطات الأمريكية - وعلى حد تعبير «لوثر كنج» أشبه ما تكون بالسجين الهارب الذى وقع تحت شعاع نور كاشف بل وفاضح - أيضا مما فت فى عضد هاتيك السلطات التى أصبحت حبيسة أمام هذا النور الذى كشف الحقيقة العارية أمام أنظار العالم كله .

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية ما اشرأبت قامتها وسمقت هامتها إلا بفضل هؤلاء الزوج الذين كانوا يعملون فى شتى المناحى ومختلف الأعمال التى تنوء بها كواهل البيض .

سيادة الرئيس الأمريكى : يتوجه إليكم قاضٍ مصرى وأنت خريج الحقوق من جامعة هارفرد أعرق الجامعات فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد درست القانون ، وأصبح يسرى كائى دارس له فى دوائه وأفكاره أن تعمل بما درست وأن تحق الحق فالقانون إنما وضع لكى يفرق بين الغث والثمين ويمحص الحق من الباطل ويعطى لكل ذى حق حقه ، وأن تعمل جاهدا ومخلصا على أن تيمم وجهك شطر الأرض المغصوبة من الفلسطينيين وأن تجاهد فى سبيل عودة الديار المسلوبة إلى ذويها وأهلها .

فإن المهمة التى ألقاها الله على كاهلك هى أن تعمل فى سبيل إنصاف الفلسطينيين من الصهاينة المتجبرين والذين عاثوا فى أرضهم السلبية فسادا وإفسادا ضاربين كل المبادئ والقيم التى قننتها المبادئ الخلقية للمسيحية والإسلام .
وسلام الله عليك .



خطر الماسونية .. والمؤامرة العالمية !؟

يدها من حديد.. وبأسها شديد.. تجذب إليها الصغار.. وتشد إلى حظيرتها الكبار؟! أصاب الأستاذ الأديب « على خميس » كبد الحقيقة عندما حذر من مغبتها في مقالته «الثورة المصرية من مقلب البلطجية إلى أنياب الماسونية».

الماسونية كما عرفها المستشرق الهولندي (دوزي) هي عبارة عن: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة تلم شعنها غاية واحدة هي إعادة هيكل سليمان الذي هو رمز إسرائيل»، وهي عبارة عن شبك حاكمها تسعة من أحبار اليهود منذ ربح قديم من الزمان ضللو الناس بشعارهم المزيف (حرية - عدالة - مساواة) يحمل في طياته بروتوكولات حكماء صهيون وأحاطوا دعوتهم بالكتمان إحاطة السوار بالمعصم وكانت كلمتهم التي تتردد على أفواههم في هذا الصدد (أمنع من السر الماسوني) - والهدف الأسمى لهم هو انتزاع فلسطين من هويتها العربية، وعقيدتها الإسلامية، ومن هنا يفوزون بالمغنم، وعلى عاتق الأمة العربية، بل وجميع الأمم يقع المغرم.

وفي كتابه «أحجار على رقعة الشطرنج» يكشف مؤلفه «وليم جار كار» حقيقة الماسونية بعد أن أنفق من عمره عقوداً أربعة (منذ عام ١٩١١ حتى عام ١٩٥٠) في البحث والتنقيب، عن هدف الماسونية المغيب، وتوصل إلى أنها إنما تسعى جاهدةً إلى أن يتحول العالم برمته إلى دول تصطرع فيما بينها حتى يمسى العالم بما فيه وما يحويه خراباً يباباً.

وقد دأب مؤسسها الأول «آدم وايزهاويت» على أن ينشر مذهب الماسونية منذ ولادة شهر مايو ١٧٧٦ حيث كان يعمل أستاذاً للقانون في بافاريا أحد الدول الجرمانية فسعى سعيًا دؤوباً على ضرورة القضاء على الحكومات وطمس الأديان السماوية أو بالأحرى الدينين المسيحي والإسلامي، وارتأى أنه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا عبر تقسيم الشعوب (أو الجوييم) «الذي يعنى جميع العالم ماعداً بنى إسرائيل» عن طريق بذر بذور الشقاق بين الدول، وزرع المشكلات العنصرية والاقتصادية والاجتماعية وإشعال نيران الحروب الأهلية والدولية في أرجاء الدنيا، كما كان في الحربين العالميتين الأولى والثانية، هنا نشأت جماعة النورانيين (المحفل الماسوني) وكان مغزاه ومرماه وأد الإرادة الفردية وقتل النزعة

الوطنية وجذب العديد من الرموز القومية من العلماء والرؤساء ومن يشغلون مراكز المدراء من أرباب التجارة وأساطين المال إليهم .. ومن ثم تأسس محفل الشرق الكبير (المحفل الماسوني) ، ولقد نجح هذا التشكيل العصابي في إنشاء ثلاثة معابد متخصصة في تأهيل الشباب للهدف المرجو والمعلوم. يقع الأول في إقليم (goldonstum) باسكتلندا ، والثاني في بلدة سالييم (Salem) ، والثالث في أنا ريتا (Anarryta) باليونان ، وسقط في شبابه العملاء الذين ما فتئوا مخلصين يعملون وهم الخبراء والمدراء لدى الحكومات لتكوين حكومة عالمية من (الجوييم) تهيمن على مشكلات العالم برمته ابتغاء الغاية التي تغيوها وأضحت ديدنا لهم ونبراسا. وفي مؤتمر الحاخامات من أحبار اليهود المعقود في بودابست في غضون عام ١٩٥١ ، وبعد أن لطحوا أيديهم بالدم المهرق في الحرب العالمية الثانية أخذوا يعدون العدة ويهيئون الوسائل «للحرب العالمية الثالثة»؟! ، وكان منهجهم الذي نفثوه وأذاعوه في ذلك المؤتمر ما نصه : (وسنضرب بعض الأمم بمدافع بعض ، لتشرّف إسرائيل على قضايا الشعوب الباغية ، وهذه هي معركتنا الأخيرة مع (الجوييم) ، وبعدها سيصبح كل يهودى سيدا وماعده عبدا) ، وبهذه - المثابة - تنضوى الشعوب المقهورة تحت جناح إسرائيل الكبرى .

ولقد امتدت دعوتهم من لبنان إلى سوريا وهبطوا مصر حتى وضعت الدولة يدها على بعض مخططاتهم في عام ١٩٥٥ ، ولقد أصدر «إسحاق بن زيفى» الرئيس السابق لإسرائيل كتابا أسماه «الدونمة» صدر عام ١٩٥٠ قال فيه : (إن يهودا كثيرين.. وكثيرين جدا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين ، إحدهما ظاهرة ، وهى اعتناق دين الشعب الذى يعيشون بين ظهرانيه اعتناقا جماعيا ، والثانية باطنة وهى اخلاص عميق لليهودية وقد أسماهم بنى زيفى «طائفة مسلمة يهودية»؟! .

وها هوذا - الجنرال الأسباني «كانو لوبيز» يقف فى البرلمان الأسباني (الكورتس) ليقول: منذ عام ١٩٢٥ طوت الماسونية تحت لوائها العديد من ضباط الجيش فى الاتحاد العسكرى الأخوى (الذى أقاموه) حتى زكا عوده ، وأصبح بشرا سويا ، وأقسموا جميعا والحديث للجنرال المذكور - بطاعة رئيسهم طاعة عمياء ليس لها حدود وبأن سلطته تسمو على أية سلطة عداها مهما علت أو سقت.

ومنذ عام ١٩٣٠ يمموا وجوههم واهتماماتهم لتوثيق دكتاتورية عمياء مستبدة للقضاء على الكنيسة المسيحية ، ولم يتوقف تأمرهم على قتل الأبرياء من الأحياء بل تعداه إلى التمثيل

بحيث الموتى حتى إنه فى غضون شهر يوليو ١٩٣٦ تم إخراج أجداث الراهبات من قبورهن وتعليقها على حوائط الأديرة وعليها لوحات تحمل عبارات غاية فى القحة والبذاءة.

ولقد أثبتت الإحصائيات على أنه ما بين عامى ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ قتل على أيديهم ما يقرب من خمسين ألفا من البشر فى برشلونة، وما يربو على الثلاثين فى فالينسيا، وأبادوا عُشر سكان مدينة مدريد من أجل تنفيذ مخططهم الشيطانى النورانى الماسونى، ولا ينسى التاريخ ما فعلوه مع « هتلر » إذ صوروه بصورة المعتدى بعد تدبير مؤامرة خاصة بمشكلة ممر داننجن ولم يكن هتلر يطلب إلا رفع الظلم الذى أوقعته معاهدة فرساي على ألمانيا فالمناطق التى اقتطعت منها كانت تابعة لألمانيا ولم يقدم هتلر على الحرب إلا بعد أن أستجار شعبها به من العدوان الشيوعى عليها .. يقول « جاى جار كار » : « هذه هى الحقيقة التى ينكرها الجميع ».

لقد استطاعت الماسونية أن تضم بين جنبايتها فضلا عن زعماء الغرب مثل تشمبرلن، والملكة «فيكتوريا» ومن الشرق «جمال الدين الأفغانى»، و «الإمام محمد عبده» وغيرهما ظنا منهما أن الماسونية رسالة سامية تدعو إلى الوئام والسلام، وإن كان الأول قد انسل منها خارجا بعد أن كشف الستر عن خافى مراميها، ولعل من المفيد أن نختم هذا المقال بما يؤكد هوية هذا المخطط الجهنمى بما هو ظاهر على العملة الأمريكية (الدولار) إذ تمثل رموزه نفس رموز الماسونية العالمية وعملائها الذين يعتبرون البشر مجرد قطع وأحجار على رقعة شطرنج تغطى وجه البسيطة وأسقطوا منها تاريخ وثيقة الاستقلال الأمريكى؟! وكان قمينا بهم أن يفعلوا ذلك.

جدير بنا وبكل شعوب الأرض أن نحذر وأن ننتبه إلى ما يحيق بنا من شر الماسونية الذى كان ولم يزل يطل برأسه يوما بعد يوم.. فلعل وعسى؟! .. فلقد شكلت الماسونية روافد لها فى جميع الأنحاء والأرجاء تمثل نهرا بل بحرا يغرق العالم فى لجته منتهيا به إلى الموت الزؤام.. وكما يحدث فى مصر الآن من إحن ومحن واختلافات واضطرابات وفتنة طائفية ومطالبات فئوية.. هل يكون مرد هذا من فعل الماسونية العالمية لتدمير الأمة المصرية؟! بل والشعوب العربية..

ولقد صدق الشاعر الذى قال :

نرى خلل الرماد وميض النار ويوشك أن يكون له ضرام

خواطر «قاض» .. ردا على خواطر «مؤرخ» !.

لا مشاحة في أن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشدد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال.. في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبانيها دقيق. وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق.

ويرد العلامة ابن خلدون قائلا: إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، خلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وأوهمو فيها أو اتبعوها، وزخارف من الروايات المضعة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم وابتدعوها وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل، وترف التنقيح في الغالب قليل.

ولقد اختلف العلماء في تفسير معنى التاريخ على نحو ما ذكره صاحب كتاب «المدخل إلى علم التاريخ» بين ما يراه «السيوطي» هو ربط الأحداث بالزمن.. أو هو وضع علامات على مسيرة الزمن لتحديد وقت وقوع الأحداث، وبين من يراه نظرية المعرفة تلقى ضوءا على حقيقة هاتيك الأحداث، وثمة نفر آخر «السخاوي» يذهب إلى أنه العلم الذي يهتم بالنشأة والميلاد والتطور عبر الزمن، أما «كولن جود» فيقول: «إن علم التاريخ هو نوع من أنواع البحث العلمي بهدف الكشف عن جهود الإنسان في الماضي معتمدا في ذلك على تفسير الوثائق».

ومن أوجز وأشمل ما قرأناه في هذا الخصوص هو ما قاله «الأستاذ العقاد» عن التاريخ «التاريخ هو عرض الإنسانية».

ومن هنا فإن المؤرخ أو حتى الهاوى للتاريخ يجب أن يتوخى الدقة فيما يكتب يستبطن ما قد يظهر ويستظهر ما قد يبطن. نأيا بنفسه عن الجموح والجنوح بخطأ يشغب به على القواعد المقررة، بما يغشى به أفكار العامة. أو بما يمس به، أعراضا في يومها الحاضر، أو في أمسها القريب. أو في غدها الموشك، ويقع الناس صرعى الأوهام والخيالات، وكم من الناس قد اعتمد على الخيال وأقام به الرواسي من الجبال.

نقول هذا بمناسبة ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان.. وتحت عنوان: «الأستاذ العقاد لم يكن ملاكا» والمنشور بجريدة الجمهورية في ٢٩ / ٧ / ٢٠٠١، إذ قال: «إنه يعجبه كثيرا البرنامج التلفزيوني الذي تقدمه السيدة جميلة إسماعيل على القناة الأولى في التلفزيون المصرى الذى يختبر معلومات الشعب المصرى عن الشخصيات المصرية المشهورة وتقدم فيه فى النهاية للفائز هدية على الطريقة القرداحية «جورج قرداحى» أكثر تواضعا قد لا تتجاوز صينية بسبوسة أو كنافه ولقد تركزت الحلقة الأخيرة من تلك البرنامج على شخصية «محمود عباس العقاد» كذا! الذى كانت تدور حوله هذه الحلقة التى ركزت على سجن العقاد بسبب عيبه فى الذات الملكية وتقصد الحلقة بذلك عندما وقف العقاد فى مجلس النواب يوم ١٧ يونيه ١٩٣٠ بعد أن أعلن رئيس الحكومة مصطفى النحاس باشا استقالته بسبب عجزه عن تقديم مشروع محاكمة الوزراء فألقى العقاد عبارته الشهيرة «ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمانيته».. فلو قدمت المذبة حياة العقاد كاملة لعرفت أنه بعد سبع سنوات فقط انقلب على هذا الموقف وعلى الحياة البرلمانية وعلى الدستور ووقف يساند الملك فاروق فى أخطر معركة دستورية شهدتها البلاد وأخذ يجند كل ما يملك من قوة منطق وبلاغة حجة فى الدفاع عن (حقوق الملك). ضد (حقوق الشعب)!.. فقد زعم فى إحدى مقالاته أن الضمان الوحيد للحقوق الدستورية فى أيدي الملك الكريم حرسه الله! ذلك هو الضمان الذى لا خطر فيه على أحد بل فيه الوقاية من جميع الأخطار، إنه الضمان الذى يفديه المصريون بأرواحهم وأموالهم فيفقدون أنفسهم ويفقدون بلادهم!.. وفى مقال آخر ادعى العقاد أن حقوق الملك هى حقوق الأمة! تغار عليها كما تغار على أعز الحقوق الدستورية لتوطيد الأمور وحماية الناس من أغلاط الوزارات على توالى القيام والسقوط، وأضاف: «هنا يتجلى لنا أن الأمة تحمى الملك لأنه يحيمها! وتضمن حق الملك لأنه يضمنها وترفع حق الملك على حقوق أخرى لأنه الحق الباقي لها على تعاقب العهود وتتابع الأحزاب واختلاف الميول والأحوال».. ووضح هنا أن العقاد انقلب على موقفه انقلابا تاما وب ١٨٠ درجة! ومن هنا فالمطلوب دائما لإنصاف التاريخ تقديم صورة الشخصية للناس بما لها وما عليها مع تفسير المواقف وليس تبريرها! بدلا من تقديمها فى صورة ملائكة لا يخطئون ولا يزلون! فالأستاذ العقاد كان أستاذا (ولكنه لم يكن ملاكا)!

هذه خلاصة ما كتبه الأستاذ الدكتور «رمضان» قد جاء على شاكلة خلاصة المحاكمات فى قضايا الجنائيات أشبه بعنوان كتاب «سمرست موم» فى كتابه «SUMMING UP».

ولما كان ذلك ، وكنا نؤمن بآبدة والآبدة هى جمع آوابد وهى الكلمة التى تذهب فى أسمع الزمن مذهب الخلود. يقول : «على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -» الساكت أخو الراضى» ومن ثم ، وأخذنا بمذهب الإمام على ، فإننا نوجز القول ، ردا على الأستاذ الدكتور ، فنقول : «إنه قد سبق وأن تناول المتطاولون على الأستاذ العقاد بمثل ما ذكره الدكتور رمضان ومنهم الأستاذ سلامة موسى ، والأستاذ فتحى رضوان ، إذ رماه الأول بأنه - أى الأستاذ العقاد - هو والدكتور طه حسين ، والدكتور هيكىل - كانوا من «الكتاب الملوكيين» ، وذلك لسبق مدحهم للملك فاروق ملك مصر السابق.. وتكفل الأستاذ بالرد على الأول إبان حياته ففند مزاعمه ، وأورد فى رده سبق مدح الأستاذ سلامة موسى نفسه للملك فاروق.. وأما الثانى فلم يكن العقاد على قيد الحياة لكى يجهض رأيه ذاك ، ومما قاله الأستاذ العقاد ردا على هذه الشائعة ما دبجته يراعته «أما فاروق فقد لعنا أياه حرفيا.. وهل سمع أحد أننا زحفنا على بطوننا إلى عرشه يوم كان له عرش تزحف إليه البطون ممن تعلمون ولا تعلمون؟» ، إنه على هيامه بذكرى أبيه فقد تقرب إلينا ولم نتقرب إليه ، وسألنا أن نستقبله فى بعض المناسبات يوم كان الناس جميعا يمدحونه ولم يكن أحد يعيبه سرا ولا علانية ، فقدمنا له النصح فى قالب المدح ووصفناه بما ينبغى أن يتصف به من الحرص على الرعية وصيانة الإستقلال والحرية ، ولم نطلب أن نلقاه إلا وقد كان هو قبل ذلك طالب اللقاء.

وهذه سجلات القصر محفوظة يرجع إليها من يشاء ، وفى هذا يقول الأستاذ المحقق سامح كريم أن موقف العقاد من الملك السابق فاروق يتضح من هذه العبارة الصغيرة وكذا موقفه من أبيه الملك فؤاد الذى كان يرى أنه لابد - أى العقاد - أن يكون : كبرناردشو» الذى دعى لزيارة الملك «جورج» فأجاب : بأنه يكون سعيدا إذا زاره الملك فى بيته ، لا أن يكون كالتنبى.. الذى كان العقاد يستصغر عظمته ، تلك التى تخنفها تبعيته للأمراء وإن كانت هذه التبعية للعيش الرغيد المألوف فى عصر التنبى..

ومن الثابت أن الأستاذ العقاد قد دعى لإلقاء قصيدة فى حفل ملكى أقيم بالصحراء الغربية بوصفه عضو البرلمان النائب عن هذه الدائرة وألقى القصيدة وكان تعليق الملك السابق فاروق عليها - موجها كلامه للأستاذ العقاد - لماذا لم تكن تقول هذا الكلام فى عهد أبى الملك فؤاد؟ فكان رد العقاد على هذا التعليق الملكى أنه قد خرج على التقاليد الملكية..

وشق الصفوف منصرفا عن الحفل قبل أن ينصرف عنه الملك.. بل وغادر المنطقة كلها إلى القاهرة.

ويبقى السؤال الذى أورده الأستاذ كريم، يزداد حدة وعنفا أو تزيذا وتجاوزا حين يطلقه فتحى رضوان كالرصاص على العقاد وقد أصبح جثة هامدة.. لماذا كان يمدح العقاد فاروقا؟ - ونسج على عنوان ذلك - الكاتب الناقد الأستاذ رجاء النقاش، والحقيقة التاريخية تنهض بجلاء من خلال تاريخ مصر السياسى لتقول: إن ثمة معركة حامية كانت قد نشبت بين العقاد والوفد إثر خروج الوفد عن خط زعيمه سعد زغلول، متبعة فيما ذكره المؤرخون لتلك الفترة سياسة الرجل الفرد أو الحكم الدكتاتورى. وكان من أبرز مظاهرها تكوين فرق القمصان الزرق لتكون يده التى يبطش بها لكل مخالفه، وعائت تلك الفئة فسادا فى البلاد، وضاق بها العباد الذين شكوا، فما أصغت الوزارة إلى شكواهم ومازال الأمر يتفاقم حتى لجأ الناس إلى الملك ليدلى فى هذه الحالة بدلوه وكان النحاس يرفض تدخل الملك محتميا بالدستور ووقف الملك مكتوف اليدين، وهنا ظهر العقاد أو «هرقل» كما أطلق عليه الدكتور «لويس عوض» وأعلنها صيحة مدوية من أجل إصلاح الوضع الخاطئ.. ومما قاله الأستاذ العقاد آنذاك «إن قيام القمصان الزرق لا يخالف الدستور وحسب بل هو يخالف الديمقراطية فى صميمها وهى شئ أعم من الدستور وأولى منه بالغيرة والصيانة.. ومتى كان حق الوزارة أن تحكم على الطريقة الدكتاتورية وهى لم تتسلم الحكم إلا على اعتبار واحد وهو أنها وزارة ديمقراطية؟.. وهل فى الدنيا أعجب من قيام وزراء دكتاتوريين فى عهد ملك دستورى؟ ثم أردف العقاد قائلا من حق صاحب الجلالة أن يشير بيده فى هذه المسألة لأنه قائد الجيش الأعلى فيحق له أن يصون سمعة الجيش وأن يمنع قيام هيئة عسكرية غير الهيئة التى هو قائدها وحافظ نظامها.. وقد تساءل سائل بحق أين كان فتحى رضوان عام ١٩٥٤ يوم أن قال العقاد: أما فاروق فقد لعنا أياه.. على النحو المذكور أنفا، لماذا لم يرد رضوان آنذاك على العقاد؟.

وقد كانت الفترة التى كتب فيها الأستاذ العقاد ماكتب فى وقت كان الناس يتطلعون مشوقين لتولى الملك فاروق سلطته الدستورية ذلك لأنهم رأوا فى الملك الشاب من يمن الطالع ما جعلهم ينظرون للمستقبل بعين ملؤها الأمل والرحمة وقد أحاطوه بعاطفة، وكما عبر الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «مذكرات فى السياسة المصرية» ص ٣٥٤ بعاطفة من

الحب الصادق لما نجم عن هذا الشاب من براءة وظهر ومن الرجاء الخالص لله أن يجعل عهده عهد حرية وسعادة للمصريين جميعا، راجع الدكتور عبد العزيز شرف، عصر العقاد ص ٣٢٨ فيما أثبتته بخصوص خروج الأستاذ العقاد عن الوفاء.

ولعل من المفيد أن نذكر كيف كان موقف الأستاذ العقاد من الرئيس جمال عبد الناصر الذى رأى فيه حاكما مطلقا ويرى أن اختياره لرجاله ليس اختيارا للموهبة أو الكفاءة إنما هو يختار الذى يريحه، أو الذى ينحنى له، ويذكر الأستاذ أنيس منصور فى هذا الخصوص فى كتابه غير المسبوق «فى صالون العقاد كانت لنا أيام» أن الأستاذ العقاد بعد حصوله على جائزة الدولة التقديرية فى الأدب فى سنة ١٩٦٠ أرسل له الكلمة التى سوف يلقيها أمام الرئيس جمال عبد الناصر لكى يعيد كتابتها على الآلة الكاتبة فقرأها وانزعج فلم يجد بها كلمة واحدة عن الرئيس جمال عبد الناصر أو حتى عن الثورة لا فى أولها ولا فى آخرها؟!، وشاطره هذا الإنزعاج المرحوم الأستاذ «كامل الشناوى».

وإن ننسى لا ننسى ما كتبه الأستاذ رجاء النقاش مهاجما الأستاذ العقاد فى هذه الفترة متهما إياه بأنه الكاتب الوحيد الذى لم يكتب حرفا واحدا عن ثورة ٢٣ يوليو، انظر أيها القارئ العزيز، ماذا كان رد الأستاذ العقاد عليه؟ - وأنا هنا أنقل من الذاكرة - قال الأستاذ العقاد له: «إن الثورة التى تعتمد فى تأييدها على كاتب مثلك لهى أضعف الثورات؟!».

ثم هل لنا أن نتساءل ونوجه سؤالنا للأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان الذى نكن له المودة والتوقير - وهو يعرف ذلك سلفا - أين كنت يا دكتور عبد العظيم إبان الحكم الدكتاتورى للرئيس جمال عبد الناصر، كما أسميته أنت؟!.. ولماذا لم نقرأ لك كلمة واحدة عن نقدك له أو لسياسته على النحو الذى سودت به الصفحات الطوال عنه ناقدا ومحللا ومفسرا ومهاجما له، فى جميع ما كتبتة عنه؟ قد تقول أنك لم تمدح ولكن الجميع يقولون أنك قدحت.. وبعد موت عبد الناصر؟!.. أين كنت إذن يا دكتور؟!.

قمين بنا إذن أن نعطى لكل إنسان حقه بعد البحث والدرس والفحص والتمحيص، فيما قد يُلغظ به من بعض الشائنين عن زعمائنا وعلمائنا وأدبائنا الذين يقنون أعمارهم فى خدمة البلاد، فى أكثر الأحيان بغير دليل يكفى لإدانة متهم فى قضية مخالفة - على حد تعبير أستاذنا العقاد.. فضلا عن أبناء الوطن المخلصين؟!.. فهناك الإشاعات التى تذاغ وتشاع حقدا وغلا وافتئاتا على كرامة الخلاء والشرفاء، وهم منها براء يسقط كذبهم من الأقلام

ويسرى بهتانهم على الأفواه بغير دليل. أو قد يجيئها الدليل «المختلق» من صنع أصحاب
المنافع والمآرب في سياسة الحاكم الغالب. وهم يدافعون عن أنفسهم باتهام الآخرين،
وبقينا فإن الدكتور عبد العظيم رمضان «المؤرخ القدير» ليس قطعاً من بين هؤلاء؟!.

من نافلة القول إذن أن نقول إن الأستاذ العقاد كان من أهم ما يميزه مواقفه الثابتة في
الحياة، فهو يقف كما عبر العلامة الدكتور شوقي ضيف في كتابه الأدب العربي المعاصر..
يقف دائماً عند رأيه ويثبت ثباتاً وكأنه حصن من حصونه، يعيش فيه ويعيش له، ويدود
عنه ذود العربي الأصيل عن عرضه ويروعك عنده دائماً نصب عينيه لا تغيب بل هي دائماً
النبع الروحي لأحاسيسه ومشاعره بكل ما تموج به من أحداث سياسية وكل ما تزهى به
من أمجاد ماضية.

صدقت يا أستاذنا الكبير عباس العقاد رحمة الله عليك فيما قلته في قصتك «سارة»
«ذو الوجهين منافق وذو الوجه الواحد ميت».
ولقد مت في نظر شاننيك.. ولكنك حي خالد في عيون عارفي فضلك ومحبيك.



المتاحف.. ذاكرة الشعوب ..

وهي بلا شك كذلك. فالشعوب التي لا متاحف لها أشبه بإنسان بلا ذاكرة. يعيش وكأنه قد أصيب بمرض الزهايمر .. المرض الذى إذا أصاب أحدا ابتهل إلى الله أن يفارق الحياة!.

ورسالة المتاحف رسالة بالغة الأهمية فهي تقوم على تحويل مبان تقبع فيها المقتنيات إلى تراث يقطن فيه الأحياء، وذلك من أجل ترسيخ روح الانتماء وتعميق الهوية الحضارية. ومنذ عهد ضارب فى القدم أنشأ الإنسان المتاحف، كيف ذلك؟ قد سجل الإنسان الأول تاريخه على الآثار التى خلفها والتى كانت مطموره تحت الثرى لا تقع عليها الأعين ومن ثم أطلق عليها الأثريون اسم «الخبينة» من خلال رسوم وإشارات تحولت مع تقدم البشرية إلى كتابات تحقق العنصر الحى لفعل «الحكى»، وبفك ألغازها، واستنكاه رموزها تحولت طلاسما إلى شخوص حية تحقق العنصر المركزى «لفعل الحكى» من خلال لغة مقروءة تنطق بـماضى الشعوب وما مر بها من أحداث، ومن ثم ترى فيها المدح والقدح مثلما حدث مع نبي التوحيد فى مصر القديمة «إخناتون» وغيره من فراعنة مصر. تمثل الأهرامات متحفا جليلا مهيبا وإن كان الشاعر الفحل «المقنبى» قد خرج من مصر ساخطا على «كافور الإخشيدى» فوصف الهرمين بقولته:

أين الذى الهرمان من بنيانه من قومه؟ من يومه؟ ما المصراع؟
تتخلف الآثار عن سكانها حيناً، ويدركها الفناء، فقتبع؟

واليك ما قاله «عمارة اليمنى» فى عصر الفاطمى عن الهرمين نفسيهما فصور مناعتهما أمام الدهر:

بناء يخاف الدهر منه، وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى فى بديع بنائها ولم يتنزه فى المواد بها فكرى

بيد أن الأهرامات كانت بمثابة المتاحف المفتوحة، أم الخبيئات فقد أضحت محل أبحاث ودراسات العلماء من شتى أنحاء الأرض وأضحت كل خبيئة كنزا رائعا للرائين أو الزائرين.

وقد انبهر العالم بما اكتشفه «كارتر» من مقبرة «توت عنخ آمون» وما حوته فى داخلها من مدونات تقص عليك جزءا هاما من تاريخ مصر القديم.

وعندما عملت وكىلا لنيابة الأقصر ونيابة أرمنت جست خلال الديار وشهدت المتحف العالمى للآثار فى البر الغربى للأقصر.. وكذلك معبدى الكرنك والأقصر مرات ومرات، بدا لى جليا قيمة المتاحف وأثرها البالغ فى تثقيف الشعوب، وكنت أشاهد الآلاف الذين يتقاطرون على هذه المتاحف لإستقراء تاريخ مصر القديمة وحضارتها السامقة التى جاءت لنا حسب الجدول الذى خلفه لنا المؤرخ «مانيثون Manetho».

والذى تحصل فى عصور ما قبل التاريخ والدولة القديمة والوسطى وعصر الهكسوس والدولة الحديثة والعصر المتأخر والعصران الفارسى وما بعده حتى وصلت مصر بعصورها إلى عصر البطالة والعصر الرومانى ثم البيزنطى فالقبطى فالفتح العربى لمصر عام ٦٤٠ بعد الميلاد.

وقد أفصحت لنا خبيئات قدماء المصريين عن استعمال قدماء المصريين لكتابتين متبانتين إحداهما لغة العلم والأدب والأخرى اللغة الدارجة، وكذلك نوعين من الخطوط، أحدهما زحرفى وهو الخط الهيروغليفى والآخر هو الهيراطيقى كما أنه كان هناك الخط المبسط الهيراطيقى وإذ نجح جان فرنسوا شمبليون «Jean François Champollion» فى حل رموز الكتابة المصرية القديمة فقط تكشفت لنا تلك الخبيئات بما كتب فيها المدونيات وما كنا سنعلم ذلك إلا عن طريق هذه المتاحف المخبوءة المطورة تحت التراب.

من تكرار القول أن نقول إن تلك الخبيئات وهذه المتاحف هى المعلم للشعوب قاطبة وقد انتشرت فى ربوع العالم فمن متحف المرأة الوطنى للفنون فى واشنطن، ومتحف بيكاسو، ومتحف اللوفر فى باريس، إلى متحف مدام توسو بلندن، متحف المتروبوليتان إلى المتحف المصرى فى مدينة القاهرة، والمتحف القبطى، والمتحف الإسلامى.

وهكذا أصبحت المتاحف هى همزة الوصل بين الجديد والقديم، وشكلت البنية السردية للخطاب الذى يشكل ثلاثة مكونات هى: الراوى، والمروى، والمروى له بما قصته علينا من قصص التاريخ وسردته لنا من أحداث جسام، والسردية «Narratology» أو علم السرد فرع من أصل كبير هو الشعرية (Poetics) كما عبر الدكتور «مقدادى» فى كتابه «البنى الحكائية».

قمين بنا أن ننمى فن المتاحف فى نفوس الشباب فلقد أصبح الفن المتحفى من الفنون الحديثة التى تحرص عليها دول العالم.

ذكرى.. مصطفى النحاس.. سيد الناس!؟

يقيس «توماس كارليل» - فى كتابه «الأبطال وعبادة البطولة - Heroes and Hero worship» العظمة، لا بمولد الإنسان وطبقته، وإنما بموهبته وعطاءه للجموع.. وقد نسب إشراقات الحضارة لعبقرية الأفراد العظماء..

وأكد أن دراسة التاريخ عنده هى دراسة تفوق وعظمة أبطاله وعظمائه وعبادتهم، وقد حلل عناصر العظمة والبطولة فردا إلى ثلاثة : الإيمان بأن البطل قد اختاره الله، والإيمان بالجبرية التى يعبر عنها البطل فى رسالته، وتحليه بشجاعة غير عادية.. وقد انتقد كارليل فكرة أن البطل ابن عصره، والتى ينادى بها أصحاب المذهب الاجتماعى فى تفسير التاريخ، وقد ذكر أن عصورا كثيرة صرخت تنادى مطالبة بالعظماء فما وجدتهم.

وقيض الله لمصر بعد وفاة زعيمها سعد زغلول.. رجلها مصطفى النحاس.. ولقد فزع الاحتلال الإنجليزي وزبانيته عندما علموا أن الوفد المصرى قد ضربوا صفحا عن اختيار ابن شقيقة سعد.. «محمد فتح الله بركات باشا» رئيسا للوفد المصرى بعد وفاة الزعيم «سعد زغلول» فلقد اختاروا «مصطفى النحاس» زعيما لهم.. وحاول الإنجليز والسراى محاولة جاهدة بإقصاء مصطفى النحاس عن زعامة الوفد.. فلم يفلحوا وباءوا بالخسران المبين وذلك لعرفتهم بوطنيته ونزاهته وقوة شكيمة.. ويؤكد ذلك أنهم قد نفوه من قبل مع الزعيم سعد زغلول إلى عدن ثم إلى جزيرة سيشل.

وعندما مات سعد زغلول كتبت جريدة البلاغ تقول : بغير هذا النبأ أعدت الأسماع وبغير هذه الصيحة جرت الألسنة فبالحياة اقترن سعد فما سمعناه إلا والحياة له لزام، والدعاء له صلاة..

فكيف من الممكن أن يتصور أحد مهما كان حماسه للنحاس أن الملايين التى اعتادت وأحبت أن تهتف «يحيا سعد» يدمائها.. أن تتحول إلى «يحيا النحاس»!؟.

ولقد تحول الملايين من شعب مصر إلى الهتاف بحياة النحاس.. سيد الناس، كما أسماه الزعيم سعد زغلول. وقد قيل إن الملك فاروق كان يبكى من الإهانة لشعوره بأن الصحف اهتموا بالنحاس أكثر من اهتمامها بالملك. وخرجت الألوف تهتف له (الشعب مع النحاس) فأخرج على ماهر الجموع من الإخوان المسلمين وهى تهتف : (الله مع الملك)!؟.

قبل أن يتبوأ كرسي الزعامة وكان يترافع - آنذاك - عن أحمد ماهر والنقراشى فى قضية مقتل «السيرلى استاك» وقف فى قاعة المحكمة وهو يرفع عقيرته فى وجه القضاة وقائلا لهم: إنى أتهم علنا وفى مجلس القضاء، (النيابة العامة) بالاشتراك مع رجال (السلطات) فى التدبير لإغتيال ماهر والنقراشى.. اكتبوا هذا عنى، وأنشروه على الملأ.. ويذكر الدكتور رفعت السعيد أن الناس جميعا كانت تعلم أن كلمة السلطات تعنى دار المندوب السامى البريطانى.

عندما كون أحمد حسين - الذى قال له النحاس «أنت دسياسة وإن الأمة لا ترحم الخوارج» - جماعة القمصان الخضر واستخدمها فى ترويع الوفديين وإيمانا من النحاس بأنه لا يفل الحديد إلا الحديد كون جماعة القمصان الزرقاء التى بثت الرعب فى قلوب القصر والإنجليز.. وحاول شأنوه الانتقام منه فأوعزوا لمن يدعى عز الدين عبد القادر، بإطلاق أربع رصاصات على سيارته بيد أن الله قد كتب له النجاة. واعترف الجانى بأنه أحد أعضاء حزب مصر الفتاة، وحاولوا مرة أخرى تدبير مؤامرة لاغتياله بتفجير قنبلة وضعت فى محرك سيارة أسفل بيته ولما فجرها انطلق المحرك من السيارة إلى نافذة الحجرة التى كان ينام فيها النحاس .. مستقرا تحت سريره؟!.

ورفض النحاس إلباس حفل تنصيب الملك لباسا دينيا عندما اقترح الأمير محمد على (ولى العهد) بأن يتم تنصيب الملك فى احتفال دينى رفض ذلك رفضا قاطعا قائلا: إن الإسلام لا يعرف سلطة روحية وليس بعد الرسول وساطة بين الله وبين العباد، وليس أحرص منى ولا من الحكومة التى أتشرف برئاستها على احترام الإسلام وتنزيه الإسلام.. حاربوه وناصبوه العداء ووصفه خصومه بالنصاب المرتشى وأنه صاحب كرامة الأوحال، وأمانة المحتال وصيانة دستور الدجال فلم يلق بالا إليهم واستمر فى طريقه نحو بناء الوطن وإعلاء كلمته وفرض عزته وبسط كرامته على كل من تسول له نفسه الإعتداء عليه.

اهتبل النحاس فرصة فرض الوصاية على العرش فأصدر القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ الخاص بإنشاء المجلس الدفاع الأعلى بعد أن قنن فيه النحاس تجريد الملك من أية سلطة إشرافية على الجيش ومنحها لرئيس الوزراء وألغى بجرة قلم منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو المنصب الذى كان يتولاه الملك عادة.

وبان رئاسته لوزارته الثالثة سعى سعيا حثيثا إلى بناء ركيزة فى الجيش باعتبار أن الجيش هو رمز الحركة الوطنية وأدخل سلسلة من الإصلاحات داخله مما استحوز على

إعجاب غالبية الضباط مما أثار القيادة البريطانية فسعت لدى القصر والذي رأى فى استمراره فى منصبه تكريسا للنفوذ الوفدى بالجيش فأقاله الملك فى نهاية أغسطس ١٩٣٩ .. كما توسعت حكومته بمقتضى المعاهدة التى وقعتها مع الإنجليز فى القبول بالكلية الحربية ففتحت أبوابها لأبناء الطبقة المتوسطة التى كانت بحكم أصولها الاجتماعية تنتمى لقاعدة شعبية عريضة، وكان من أثر ذلك خروج الجيش المصرى من عزلته الاجتماعية وكذلك تقعره السياسى وهذا كما - قال المؤرخون - أرحى عودا لنبت الاتجاهات الوطنية بين الصفوف وكان (لحمة) سياسة النحاس السياسية هى خلق رأى عام يعمل لصالح جيش مصر فى الخارج، أما (سُداها) فكان محاصرة النفوذ الملكى بين المطرقة والسندان.. (مطرقة) الوفد (وسندان) الشعب.. كما ساهم النحاس مساهمة فعالة فى إنشاء جامعة الدول العربية التى وقع ميثاقها بسرأى الزعفران بالقاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ وكان له اليد الطولى فى إنشائها والقذح العلوى فى خروجها إلى الحياة.

عندما أُلِف النحاس وزارته ١٩٥٠ وأراد أن يعين الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف وكان الدكتور طه حسين قد صنف فى صفوف اليساريين ونصحته حسين سرى باشا بعدم اختياره كوزير.. بالإضافة إلى ما سبق من كونه يساريا فهو من المغضوبين عليه من الملك، فأصر مصطفى النحاس على تعيينه وزيرا للمعارف العمومية وعين بالفعل على غير رغبة الملك فاروق وكان تعيينه فى الوزارة النحاسية خيرا وبركة على مصر.. إذ نهض التعليم على يده وأصبح غداة تعيينه (كالماء والهواء) وما فتىء الدكتور طه يعمل على جعل هذا المبدأ دستورا للتعليم فى مصر.

عقد معاهدة ٣٦ مع المحتل الإنجليزى الذى اعترف فيها باستقلال مصر، وألغاه فى أكتوبر ١٩٥١ قائلا قولته الشهيرة وهو يوجه حديثه إلى أعضاء مجلس النواب. من أجل مصر وقعت معاهدة ٣٦ ومن أجل مصر أطلبكم اليوم بالغانها.. ثم اجتمع البرلمان بمجلسيه مساء ٨ أكتوبر وأعلن فيه رئيس الوزراء قطع المفاوضات بين مصر وإنجلترا بعد أن تبين عدم جدواها وألغى معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦. وكذلك الاتفاقيتين اللتين أُلعنا إليهما الخاصتين بمسألة السودان بالإضافة إلى مرسوم بمشروع قانون بتعديل الدستور يجعل لقب الملك ملك مصر والسودان ووافق البرلمان على ذلك بالقانون رقم ١٧٥ لسنة ١٩٥١، وكان ذلك فى ١٥ أكتوبر عام ١٩٥٦.. دعا مصطفى النحاس شعب مصر إلى الكفاح المسلح ضد

الإنجليز في قاعدة قناة السويس التي تحولت إلى مقبرة للإنجليز وكان الفدائيون يصلون الجنود المحتلين. نارا حامية أقضت مضجعهم وأشعرتهم بأن وجودهم في مصر هو الموت الزؤام مما دفع المخابرات البريطانية إلى إقامة معسكر في ضفة القناة (كسفريت) واستقدمت إليه بعض الخارجيين عن القانون من المحترفين المدربين على الإتلاف والتخريب.

ولن ينسى التاريخ لمصطفى النحاس أنه أول من حذر من احتمال إنشاء دولة إسرائيل على حدود مصر الشرقية مصرًا على أن تكون قرية أم الرشراش جزءًا من أرض مصر وحتى لا يكون لإسرائيل من قدم في البحر الأحمر واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٥٦ حيث سلبت أم الرشراش (ميناء إيلات الإسرائيلي) من تراب مصر بعد العدوان الثلاثي الشهير على البلاد.

وعلى امتداد تاريخ الوزارات المصرية المتعاقبة منذ ولادتها في أغسطس ١٨٧٨ وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يتول رجل رئاسة مجلس الوزراء بالقدر الذي تولاه مصطفى النحاس (٧ مرات).. وعلى امتداد نفس الفترة حدث خمس إقالات لرؤساء الوزراء اختص النحاس منها بمرات أربع! ولن ينسى التاريخ أيضا أنه وبعد أن ألغيت الإمتيازات الأجنبية استصدر مجلس الوزراء برئاسة النحاس قوانين وتشريعات المحاكم المختلطة، وكذلك اختصاصات المحاكم الشرعية.

ولن ينسى التاريخ أن النحاس قد وجه جُل اهتمامه إلى السودان وقال قولته الشهيرة: تقطع يدى ولا تقطع السودان عن مصر وكذلك أصبح ملك مصر فى عهده هو ملك مصر والسودان.

وفى غضون عام ١٩٦٥ انتقلت روح النحاس إلى بارئها بعد حياة حافلة من العطاء لمصر وكانت جنازته التى شاهدها كاتب هذه السطور .. حيث كان من المشيعين فيها جنازة حافلة اشترك فيها جميع طبقات الشعب من أطبافه المختلفة مودعين زعيمهم وداعا يليق بمصطفى النحاس.. سيد الناس.



راسبوتين.. وشعب مصر الحزين؟!

وراسبوتين هو ذلك (الفاجس) وهذه هي ترجمة اسمه باللغة العربية الذى أحاط بروسيا إحاطة السوار بالمعصم متحكما فيها مسيطرا عليها بقبضة من حديد، وذلك قبيل الثورة البلشفية التى اندلعت عام ١٩١٧ وكان منخوب الفؤاد خؤونا ساحرا جبانا يهرف بما يعرف أو لا يعرف.

اسمه الحقيقي «غوبغورى بفيمتش» ولد بسيبيريا عام ١٨٦٩ ضمن ما قيل عنه إنه فى ريعان شبابه قد حوكم بتهمة اقترافه لجريمة سرقة، وعوقب جراء ذلك بالعمل فى خدمة إحدى الكنائس، ومن ثم توطدت أواصر الصداقة بينه وبين رجال الدين، ورويدا رويدا أسبغ عليه الكهنة صفة رجل الدين برغم فسقه وفساده، فقد كان دائما صبحه وليله يعاقر بنت الحان ولا يكف عن شربها وتجرعها ثم يتسربل بعدها بلباس الكهنوت.

ذاع صيته وانتشر اسمه من خلال ما أشيع عنه أنه كان صاحب قدرات خارقة يشع من عينيه الزرقاوين بريق عجيب غامض يثير الرهبة والفرع فى كل من يراه.

أصيب الابن الأصغر «أليكسيس نيكوليا فبتش»، «ولى عهد القيصر» «نيقولا الثانى» بجرح غائر نزف من خلاله الدم الغزير إذ كان مصابا بسيلان الدم وتقعّر داخل حجرته يهمل من عينيه الدمع السخين إذ وقف الأطباء أمامه حيار دون أن يقلحوا فى علاجه، فأشار بعض رجال القصر على القيصر وزوجه «ألكساندرا»، (وقد أعدما سويا عام ١٩١٧ واجتثث بإعدامهما هما وعائلتهما سلالة أسرة رومانوف) باستدعاء راسبوتين باعتباره رجل دين مبارك (ليس حسنى مبارك) ! وأنه صاحب يقين ويتحلى بالروح القدس الأمين.

توجه راسبوتين يحث الخطى تجاه ولى العهد وتمكن من وقف نزيف الدم وشفى بعد ذلك من علته، فأنزله القيصر وزوجته مكانا عليا فى البلاط القيصرى حتى أمسى بين ليلة وضحاها متحكما فى ديوان القصر الإمبراطورى النساء فيه قبل الرجال إذ كان عشقه الدائم هو المرأة لا بديل سواها ولا يزيغ بصره دونها.

تحول راسبوتين بعد ذلك من خادم فى القصر إلى أن أصبح السيد المطاع كل ينعم عليه بما استطاع، فلعب دورا بالغ السوء فى أروقة الحكم بل وفى أرجاء متسعة من البلاد الروسية.

ضاق به ذرعا الأمير الروسى «فيكس لوسيبوف» فدبر له أمرا بليل فدعاه إلى الحضور على وليمة أولها له فى قصره وقدم له من خلال صحاف أطيب طعامه شطائر من الحلوى مملوءة «بسم السيانيذ القاتل» بيد أنها لم تؤثر فيه إذ كان راسبوتين قد تعود على أن يسكب فى حلقة بين الحين والحين قطرات من هذا السم الزعاف حتى يتعود عليه ويسلم من أعدائه الذين تنبأ بأنهم يتربصون به الدوائر آناء الليل وأطراف النهار وأنه حتما سيلقى مصيره على أيديهم.

عاد الأمير فقدم له نبیذا مسموما فشربه ولكنه لم يجد معه كذلك فتیلا ولما استیأس الأمير منه أمر حاشيته فهجموا عليه هجمة ضارية وأطلقوا عليه مع من يدعى «يوسوبوى» رصاص غدارتهم مصابين إياه فى القلب والرأس وتأكدوا أنه أسلم الروح فقيدوه وأخذوه وألقوه فى نهر «نهرانيقا» بعد أن حفروا فيه حفرة ودفنوه فيها.. فبحثت السلطات عنه بعد غيابه وعدم إيباه، حتى عثروا عليه مجمدا فى قاع هذا النهر الجليدى، وإذ حللوا جثته لكى يتبينوا أسباب وفاته تبين أنه لم يمت بالرصاص، ولا بالسم وذلك بالتحليل الذى أجروه على جثته، وإنما هو قد قضى غرقا بعد تسرب الماء إلى رئتيه عن طريق تنفسه؟!!!.

والسؤال الذى يثور: كم يوجد على أرض مصر مثل «راسبوتين»؟! وكما ابتليت مصر بمثله خلال عهود ظلامها التى استمرت عقودا طويلة من الزمان؟.

كثيرين هم مثل راسبوتين أحاطوا بحكامها وقد تحولقوا حولهم كالذئاب الجائعة ينهشون فى لحمها وخيراتها ثم تحولوا إلى أفاع تنفث سمومها فى قلب الوطن خلال ما كانوا يُسرون به فى آذان أولئك الحكام من كذب صراح وغش وتزوير بعد أن خربت ذممهم مستغلين، إما استبداد هؤلاء الفراعين.. أو كبر سنهم.. أو حداثة عهدهم.. أو اضمحلال ثقافتهم.. إن كانت لديهم ثقافة أصلا.. ثقافة حب الوطن والانتماء إليه؟!.

حمدا لله، فقد سطع نور الثورة المصرية المباركة فنزعت الستر عن هذه الحفنة الضالة المضلة من «الراسبوتين» الدجالين عن خاف مساعيهم بعد أن سلبوا الحكم عقله وأماتوا قلبه فاستحقوا هم ومن انصاع لهم اللعنات وباءوا بالويلات أحقابا بعد أحقاب.



رأينا فى الدستور

عندما تفضل اللواء «سامى أبو المحاسن» وكيل المخابرات العامة، والأستاذ «أحمد وجيه» مدير العلاقات الثقافية بقرية آمون بالساحل الشمالى بالإسكندرية، وكذلك الأستاذ محمود صلاح عيد المستشار بالتحكيم الدولى بدعوتنا لإلقاء محاضرة عن الدستور وأهميته.. قلت فيها: «إن القوانين قد سبقت الدساتير، وكانت هى المهددة لها مثل قانون حمورابى، وقانون الألواح الأثنى عشر، ناهيك عن قانون الامبراطور الرومانى أنطونين كراكلا، ومن قبلها قانون «تحوت» الذى أصدره الملك مينا عام ٤٢٠٠ ق.م، وقد ظهرت الدساتير فى مصر إبان حكم الخديو إسماعيل لها وكان مجلس شورى النواب أول مجلس نيابى فى تاريخ مصر بعد دستور الذى وضع لها عام ١٨٦٦ وكان دستورا مثاليا على أسس قانونية صحيحة ثم جاء من بعده دستور ١٨٨٢ فى عهد الزعيم «أحمد عرابى باشا» ومن بعده جاءت الجمعية الوطنية، فالجمعية التشريعية، فدستور ١٩٢٣، ثم دستور ١٩٣٠، وتلاههم دستور ١٩٥٤ بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وجاء من بعده دستور ١٩٥٦، ثم دستور الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨، وتلاه دستور ١٩٦٤، وفى عهد الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» ولد دستور ١٩٧١، وأخيرا ولد دستور ٢٠١٢ من رحم ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١. قد ظهرت الدساتير فى حياة البشرية فى أثينا على هيئة قانون العقوبات عام ٦٢١ ق.م.

ويعتبر أقدم دستور مكتوب لدولة ذات سيادة هو دستور إمارة سان مارينو. وقد عرف الإسلام الدستور المكتوب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمي بـ «الوثيقة» التى قام بإعدادها رسول الله لتنظيم أحوال دولة المدينة المنورة. والدستور يصدر بأسلوبين.. أسلوب المنحة أو أسلوب العقد أو الاتفاق، أما الأساليب الديمقراطية فى وضع الدستور فتتم عن طريقى الجمعية التأسيسية المنتخبة أو أسلوب الاستفتاء الشعبى.

وكان من أول من أخذ بأسلوب الجمعية التأسيسية الولايات المتحدة الأمريكية غداة استقلالها عن بريطانيا سنة ١٧٧٦. وانتقل من بعدها إلى أوروبا فكان دستور ١٧٩١ الفرنسى أول دستور مدون حيث إن هناك الدستور غير المدون مثل الدستور الإنجليزى

فهو دستور جامد ، أما الدستور المرن فهو الذى يمكن تعديله باتباع نفس الإجراءات المتبعة لتعديل القواعد القانونية ، ومن أمثلة ذلك دستور إيطاليا ١٨٤٨ ، ودستور فرنسا ١٨١٤ ، ودستور الاتحاد السوفيتى ١٨١٨ .

وينبغى أن يتوافر فى واضح الدستور أن يكون متحليا بصفات خاصة مثل الحيادة والنزاهة وبعد النظر وإمعان الفكر . ديمقراطى النزعة صاحب ذمة وهمة وعلو رأى .. وألا يسير كما عبر البعض مع اتجاه التيار «Down stream» .. تيار الحاكم أو المغرضين الذين يقربون الدوائر بمصلحة الشعب .

وقد تعرضت مصر إلى تجربة قاسية من خلال الدستور الصادر عام ١٩٢٣ كماذهب الأستاذ «محمد زكى عبد القادر» فى كتابه «محنة الدستور» حيث كان هذا الدستور - أحيانا - لعبة فى يد الملك اعتمادا على بعض نصوصه الفضفاضة .

إذ إن اللجنة الاستشارية التشريعية قد جعلت الدستور يتعرض لتبديل حقيقى حيث أنها كانت كلها من الأجانب فيما عدا مصرى واحد هو «الدكتور عبد الحميد بدوى باشا» .. القاضى بمحكمة العدل الدولية ، فيما بعد .

كما جرى تعديل آخر بشأن تعيين وعزل ضباط الجيش المصرى فجعلها حقا مطلقا للملك . كما نصت على ذلك المادة ٤٦ من ذلك الدستور .

ولن ينسى التاريخ ما فعله إسماعيل صدقى بهذا الدستور من إلغائه ، الأمر الذى جدد المقاومة الشعبية لمناوئة ذلك ، وسجن أستاذنا العقاد وكذلك سجن الأستاذ محمد توفيق دياب رحمهما الله جراء مهاجمتهما الحادة والعنيفة لتعطيل الدستور .

وقد جهرت بالرأى إننا نرى مع شيخ رجال القانون العلامة «الدكتور عبد الرزاق السنهورى» أن طريق وضع الدستور يجب أن يخضع للتدابير الآتية : «الرجوع للشريعة الإسلامية الغراء فى وضع قواعد الدستور واعتبار الأمة هى التى تعبر عن الإرادة الإلهية بإجماعها ، وإجماع الأمة نوع من التعبير عن الإرادة الإلهية» .

وقلت من بين ما قلته فى هذه المحاضرة أن وضع الدستور يجب أن يكون عن طريق لجان لأساتذة الحقوق والجامعات ورجال القضاء والمثقفين لوضع اللبئات الأولى للدستور وأن يعرض مشروعه المزمع على مجلسى الشعب والشورى ثم طرحه للإستفتاء الشعبى حتى يكتمل بناؤه . وأن الدستور يجب أن يكون الاتفاق عليه فى هذا الاستفتاء بغالبية الشعب المطلقة حتى يضحى دستورا حيا بمنأى عن النقد .. وبعبدا عن الشوائب والأضرار .

رحمة الله على الموتى.. وسلامه على الأحياء..

قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿وَلْتَجِدْ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرَهْبَانًا وَآنَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) صدق الله العظيم.

«لا يندغم ولا يفنى».. «فالحكومات تزول وهو لا يزول».. قالها الإمام محمد عبده عام ١٨٧٦ - فى معرض حديثه - عن معدن شعب مصر.
مصر وطن لا نعيش فيه ولكنه هو الذى يعيش فىنا، جأر بها قداسة الأب شنودة بحسه الوطنى.. وحده الدينى.

«مبارك شعب مصر» - ساطعة - منذ القدم فى الكتاب المقدس.

- ولله دَر - الذى قال.. فإلى الله من مشى بصليب فى يديه.. ومن مشى بهلال..
فالدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما.

فيا أيها المجرمون الآثمون.. لقد تهاوى وحبط ما أردتموه من خراب يباب لمصر فقد التفت قلوب المصريين - مسيحين ومسلمين - بعضها حول بعض ولم تؤثر فيهم - قيد أنملة - فرعة الهول التى أصابتهم جراء ما اقترفت أيديكم الملوثة بالدماء، من وأدكم للأبرياء فى واقعة ماسبيرو، ولم ولن تغلحوا - مجتمعين أو متفرقين - أن تنالوا من وحدة شعب مصر أو تفصموا عرى الوحدة التى جمعت بين جناحي الأمة مسلميها وأقباطها ولا وشائج القربى التى ربطت بينهم عبر كر السنين وتعاقب الأيام بفعلتكم هذه.. النكراء!.

إن شعب مصر يؤمن إيماناً كاملاً بما ورد فى الذكر الحكيم ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة - الآية ١٣٦].

أحسستم بأن دائرة مصر تنداح فامتألت قلوبكم حقدا وهما وأردتم بها شرا وشاء الله بها خيرا - فمصر هى كنانة الله من مسها بسوء قسمه الله - فالتوراة والإنجيل والقرآن هى كتب الله المنزلة جعلها الله «نوراً»، وشعارنا «لكم دينكم ولى دين».

ومن استقرأ التاريخ نعلم أن اليهود فى مصر قد تبوأوا مكانا عليا حتى قيل : يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم، فالعز بينهم.. والمال عندهم.. وبينهم المستشار والمالك.

وفى عهد محمد على رسخ مبدأ المواطنة - مقدسا - لدى جُل المصريين، وفى عهد سعيد باشا ألغيت الجزية المفروضة على أهل الذمة وانخرطوا برمتهم فى جيش مصر، وفى عهد إسماعيل أوفد المسلمون والمسيحيون - معا - إلى خارج الديار لينهلوا من علم الغرب.

كما أمر إسماعيل بترشيح المسيحيين فى مجلس شورى النواب. وكذلك تعيينهم قضاة بالمحاكم جنبا إلى جنب أشقائهم المسلمين ومن قبلها ومن بعدها وإلى الآن أضحي منهم الوزراء والعلماء.

وفى ثورة شعب مصر - بجناحيه - العام ١٩١٩ اختلط دم المسلم بدم المسيحي وهتفوا جميعا عن بكرة أبيهم «يحيا الهلال مع الصليب».

من الأقوال المأثورة: «إن المصائب تسفر عن عجائب وعن رغائب لا يدركها العقل إلا بعد انجلائها». فالله يخرج الخير من الشر، فإذا اشتد الظلام وزمجر الرعد وقصفت الرياح .. انقشعت الغمة وانبلج الفجر.

وبرسوخ الحق وثبات الجبال الرواسى ستقف مصر وقفة رجل واحد أمام غدر الغادرين وحقد الحاقدين ولن يفلحوا فى أن يمسوا مصر بأى أذى فإن مصر تستقبل المصائب وكأنها قطرات الغيث فمحمد رسول الله - عليه الصلاة والسلام - هو الرحمة المهداة، وعيسى عليه السلام هو روح الله فلا يفرقنا فى مصرنا أحد هكذا يؤمن المسلمون والمسيحيون على السواء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسيبقى القرآن الكريم، وتظل الأنجيل المقدسة المنزلة من عند الله يطالعها الناس آناء الليل وأطراف النهار.. ولو كره الكارهون.

فهم يمكرون ويمكر الله.. والله خير الماكرين.

وأخيرا - وليس آخرا - فإن القبض على الجانى أو الجناة هو مطلب قومى حتى تهدأ القلوب وتستقر النفوس. ويعرف الجميع أن فى مصر عينا للعدالة ساهرة تقف بالمرصاد لكل من يتربص بمصر الدوائر، أو يحاول أن ينفث سمومه بين ظهرانيها.



رسالة .. قاضى القضاة .. !!

منذ قرابة ما ينيف على ربع قرن خلا.. عرفت المستشار ابراهيم زغو قاضى
قضاة مصر.

كنت آنذاك أعمل فى أقاصى الصعيد ، مديرا لنيابتي الاقصر، وأرمنت. وكان رئيسا
(منتدبا) لنيابة سوهاج.

وإذ عنَّ له أن يشد الرحال لزيارة مدينة (طيبة) ماكثا بها ليال ثلاث كان ضيفا كريما
على كاتب هذه السطور. وقد اهتملنا فرصة وجوده بيننا، وتحلق رجال النيابة حوله، طلبا
للمزيد من علمه وفضله وخبرته، يستبطنون ما ظهر من حديثه معهم، ويستظهرون ما قد
يكون تد خفى عليهم منه.

و ذات يوم قانظ الحر، شديد الحرارة. أبت فيه أخت يوشع، أن تفارق كبد السماء،
يممنا وجوهنا - نحن وكلاء النائب العام - تجاه المستشار زغو لأخذ رأيه فى قضية مهمة
اختلفنا حول التصرف فيها وهذا شأن رجال القضاء جميعا، كثيرا ما يختلفون تجاه
ما يعرض عليهم من قضايا حتى يهديهم الله سبحانه وتعالى سواء السبيل. موصلا إياهم إلى
مرقا الحق، فيجعلهم يستقرون. على ما كانوا فيه يختلفون أو يأتون برأى آخر جديد.

وإذا بالمستشار زغو الذى كان يرتدى (بزته) الكاملة. وقد ألقى، البعض من الحاضرين
وهو يرتدى ملابسه الرسمية، والبعض الآخر، قد تحلل (قليلا) منها، ينصرف عن طلبتنا
فيما سعوا إليه لكى يدلى بدلوه فيه لأن ولكى - يحدثهم - ويحدثهم يحدثنا ويحدثنا عن
مظهر القاضى. وما يجب أن يتحلى به القاضى من خلق طيب (ومظهر) وقور وألا يغره
بالله الغرور. فإن الله وقد وسده - سبحانه - كرسى القضاء لكى يحكم بين الناس بالحق.
لأن الله هو الحق .

ودارت الأيام وكرت السنون، وأصبح المستشار إبراهيم زغو، قاضيا لقضاة مصر وإذا
بى أصحو ذات صباح. فتقع عيناي، على (رسالة) بعث بها المستشار زغو غداة توليه
لمهام منصبه الجليل، إلى قضاة مصر، تهادت إليهم عبر أنهار الصحف، يناشدهم فيها،
الحفاظ على حساسية منصبهم. من خلال وقار مظهرهم ووجوب أن يتزوا دائما بالزى

المناسب واللائق بهم.. ولعل مرجع هذا إلى انخراط عدد من أعضاء النيابة الجدد في السلك القضائي. هم في مسيس الحاجة إلى من يعلمهم آداب القضاء وتقاليده التليدة الراسخة. لأن هذا الذى دعا إليه قاضى القضاء، هو دأب قضاة مصر، لا محيص له منه ولا معدى لهم عنه.

وكان هذا مما أثار عليهم حفيظة «البعض» من «الطغمة الحاقدة» التى طفت على سطح الحياة العامة فى مصر فى الستينيات من خلال حملة منظمة موتورة، على القضاة، مشتعلة النار، مشبوبة الأوار رمى فيها هذا «البعض» لغرض فى نفس يعقوب وكما يرمى غلام. «البحر» بحجر، القضاة بأنهم يعيشون فى برج عاجى.. وانبرى لهم «والدى» المستشار محمد مرشدى بركات - رحمة الله عليه - يخاطب هذه الفئة، من فوق منبر الأستاذ الكبير أحمد الصاوى محمد فى يومياته بجريدة الأخبار الغراء قائلا: نعم إن القضاة يعيشون فى برج عال.. إذا كان قوام هذا البرج (المزعوم) هو خلقهم المتين، وترفعهم عن الدنيا (ومظهرهم) الجاد الرصين، وهذا هو مسلك القضاة، وهذا هم سمتهم، وأن المرحوم عبد العزيز فهمى باشا، كان لشدة حرصه على كرامة وظيفته، وحساسية منصبه، يستقل فى غدوه، ورواحه، عربة «سوداء» «مغلقة». إيغالا منه فى مظهره، الذى لا يتباين عن مخبره، حتى لا يتعرف عليه أحد صبيحة ذهابه إلى محكمة النقض، أو عشية إيابه منها!!.

وها هو ذا قاضى القضاة يعيد سيرة سلفه العظيم!.

لا مشاحة - إذن - أن فى مصر قضاة.

قد قالها (برسالته) إلى القضاة.. شيخ القضاة!



رسالة الصحافة.. بين عبد الله النديم.. والشيخ حمزة فتح الله ..

قالها «نابليون بونابرت» وأصبحت أبدة من الأوابد يتناقلها كل من يريد أن يعرف قيمة رسالة الصحافة وأهمية رسالتها ولا شك أن الصحافة المصرية كان لها شأنها وشأوها ولعبت دورا هاما فى تاريخ مصر لحمته وسداه فى الدفاع عن حقوق الوطن ضد المستبدين من حكامها والغاصبين الذى اغتصبوا الوطن وسلبوا الشعب حقوقه.

فالصحافة هى صاحبة الجلالة التى يجب أن تكون ذاتها مصونة لا تمس لا يفثت على حقها فى التعبير أحد ولا يقيد حريتها إنسان.

وكم حوربت الصحافة برجالاتها حربا لا هواده فيها فقد وقف كل ظالم لها بالمرصاد، وضاق بها الحكام والسلاطين وبعد أن نصبت الصحافة من نفسها حارسا لحقوق الشعب وحاميا لمصالح البلاد وبرز دورها من أواخر عهد الخديوى إسماعيل بعد أن احتدم الصراع بين المواطنين وبين القوى الأجنبية فاتجه إسماعيل إلى تشجيع الصحف الشعبية وإطلاق حريتها لتسانده فى مواجهة الدول الدائنة بعد أن أثقلوا الديون عليها، ومن خلالها بعد ذلك وأدوا حريتها. فما كان من هاتيك الصحف إلا أن مضت تدافع عن استقلال مصر معارضة التدخل الأجنبى فى شئونها ومع ذلك فقد يمممت وجهها متصدية لنقد سياسة الخديو وتصرفاته ومن تلك الصحف (مصر والتجارة) اللتين أصدرهما الأديب «إسحاق» فى سنة ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ بمساعدة جمال الدين الأفغانى وصحيفة (الوطن) التى أصدرها «ميخائيل عبد السيد» ليطالب بالإصلاح النقابى والإصلاح المالى فتعرضت للبطش عدة مرات.

ومنذ صدور «الأهرام» فى ٧ أغسطس عام ١٨٧٦ ولم يمر عامان من إصدارها حتى انضمت إلى صف المعارضة فهاجمت الحكم الاستبدادى، وطالبت بحكم الشورى. فعارضت النفوذ الأجنبى. ونسجت على منوالها توأما «صدى الأهرام» التى أغلقتها حكومة «شريف باشا» نهائيا فى ٥ مايو ١٩٧٩.

وما أن تولى «البارودى» رئاسة النظارة، و«أحمد عرابى» وزارة الحربية حتى اشتد الأمر على صحف السوريين واللبنانيين وتوقفت عن الصدور صحف الأحداث، والأهرام والمحروسة ومصر على الصحف الموالية للخديوى.

مثل صحف، وعملت على زيادة الصحف الموالية لها مثل القسطنطينية والنجاح والمفيد والطائف لعبدالله النديم. وكانت جل الصحف المصرية قد أيدت الحركة العرابية فلما احتل الإنجليز الإسكندرية فى يوليو ١٨٨٢ إنحاز الخديو لهم وشجر الخلاف بين الصحف وقد تنازعها اتجاهان الأول فى القاهرة ويضم صحف الحركة الوقائع المصرية «الشيخ محمد عبده» وكان منها المفيد والقسطنطينية والشعب والطائف لعبد الله النديم بينما كان الاتجاه الثانى يتمثل فى (الاعتدال) لصاحبها الشيخ «حمزة فتح الله» الذى عاضد الخديو.. وشن هجوما شرسا على أحمد عرابى ورجاله.

انضم إليه «أديب إسحاق» صاحب مصر والتجارة منقلبا على حركة عرابى بعد الاحتلال وشاركه خصمه القديم «حمزة فتح الله» حتى انكشف أمرها وذاع سرها. وكان «عبد الله النديم» فى تلك الآونة يرى نفسه أنه ليس أقل شأنًا من أى قائد من قادة الشرق العربى فى عصره بل إنه لم ير نفسه أقل من «جمال الدين الأفغانى» ذاته وكان النديم من قبل منتظما فى سلك مجالس «جمال الدين الأفغانى» ولكن شخصيته لم تذب فيه، كما ذابت شخصيات الكثيرين من معاصريه مع أن جمال الدين الأفغانى كان يقدره بحق قدره ويقول فيه: «إنه لو حافظ على العقيدة؛ ومشى بالناس فى سيرة حميدة، ونشر دعوته (يقصد السياسية) فى البلاد - بما له من الاستعداد - لآتى بكل غريب؛ وقلب الحكومة فى عهد قريب...».

كان «عبد الله النديم» رجلا يفهمها وهى طائفة «كما يقول الإسكندريون» ومعنى هذا أنه لا يجوز عليه شئ من البهرج الذى يلجأ إليه الكثيرون من الراغبين فى إحاطة أنفسهم بهالة من الخطورة المتوهمة، أو العظمة الزائفة. ولذلك لم يجز عليه كثير من المظاهر التى كانت رائجة فى عهده؛ أو - على الأقل - لم تنل من اهتمامه فوق ما تستحق.

قيل له إن جمعية «مصر الفتاة» السرية بالإسكندرية هى من أهم الوسائل التى ستقود البلاد إلى التحرر، وذلك بما لها من إمكانيات سرية هائلة؛ فانضم إليها ولكنه سرعان ما خرج منها، وراح يدعو الناس إلى العمل فى النور؛ ذلك لأنه كان - كما يقول الدكتور

الحديدى «.. يؤمن بأن الطريق السليم للإصلاح، هو تنبيه الرأى العام؛ وتبصير الشعب بما يدور حوله؛ ففتتح الدائرة؛ ويصبح العمل جماعيا من الأمة»..

وهذا يتم عن طريق تكوين رأى عام من أصحاب المصالح الحقيقية، وهم سواد الشعب؛ أو بتعبير النديم نفسه. فلم أجد طريقا لتنبيه الوجهاء والأمرء إلا بعصية أكونها من الفقراء.. ومن ثم أنشأ «الجمعية الخيرية الإسلامية» التى لم تكن مجرد جمعية خيرية - كما يبدو من اسمها - وإنما كانت مصدر إشعاع سياسى اجتماعى علمى أيضا، وذلك بإقامة مدرسة تابعة لها، بكثرة الاحتفالات والاجتماعات التى كانت تقام باسم هذه المدرسة. ويتوجيه من «النديم» باعتباره مشرفا عليها.

وقد كان يخطب فى كل حفل منها، فى موضوعات تهم الوطن، وتعرف بمصالحه، كما كان يخطب فيها، عدد من الشبان المثقفين، الذين أعجبوا بالنديم وحرركته فاتخذوه لهم رائدا؛ فى الخطابة والدعوى الوطنية.

كذلك دخل «النديم» الماسونية؛ وخرج ليقول: من أسباب انحراف الناس عن «الأفغانى» أنه أدخل تلاميذه المحافل الماسونية، وأنه لزم الصمت تجاه الذين أخذوا عليه هذا الاتجاه..

وذلك امتعاضا واعتراضا من «النديم» على غموض رسالة الماسونية والقسم الذى يقسمه كل ماسونى غدا التحاقه بالمحفل الماسونى إذا كان يقسم «أقسم بمهندس الكون الأعظم، ألا أخون عهد الجمعية، وأسرارها، لا بالإشارة، وبالكلام؛ ولا بالحركات، وألا أكتب شيئا عنها، ولا أنشر بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير، وأرضى أن حنثت بقسمى بأن تحرق شفتاى بحديد محمى، وأن تقطع يداى. ويحز عنقى؛ وتعلق جنتى. فى محفل ماسونى».

كان النديم قد شق طريقه بقلمه إلى عقول القراء وبصوته إلى قلوب الجماهير فأصدر العدد الأول من مجلة «التنكيث والتبكيث» بالإسكندرية فى اليوم السادس من يونيو ١٨٨١ باعتبارها أسبوعية فى ١٦ صفحة من القطع المتوسط؛ وتعتبر - هذه الجريدة - أول صحيفة مصرية لحما ودما وولاء للإسكندرية.

كان لسان أحادها أن تترك على القارئ حكما وآدابا ومواعظ وفوائد ومضحكات، بعبارة سهلة، وتصور الحوادث والواقائع فى صور ترتاح إليها النفس، ويميل إليها القلب، يخبرك بظواهرها المستهجن.

ومن ضمن ما كتبه النقيب فيها مقال على لسان مصر تحدث فيها عن الظلم والإجحاف اللذين حاقا بأبنائها فى عصر «إسماعيل»؛ وعن نهب الأجانب لثروتها؛ وإخفاق «توفيق» فى معالجة الأمور .. حتى أصبح الممثل الإعلامى للثورة العربية سواء بالكلمة المكتوبة أو بالكلمة المنطوقة. ومن ثم اختاره «أحمد عرابى» زعيم الثورة واختار مجلة «التنكيث والتبكيث» لتكون لسانا رسميا للثورة. على أن يستبدل باسمها اسما آخر هو (لسان الأمة) ولكن النديم آثر أن يكون اسمها الجديد (الطائف) صدر العدد الأول منها فى اليوم العشرين من نوفمبر سنة ١٨٨١.

أما عن الشيخ «حمزة فتح الله» صاحب جريدة «الاعتدال» والذى أوحى الخديوى بها وجعلها لسانه والمدافعة عنه أمام الجماهير التى كانت تناوذه فقد أصبح لسان سيده «الخديو توفيق» ودعى على عكس «النديم الوطنى» إلى عدم مقاومة الإنجليز، ومما قاله فى جريدته: إنهم لن يتسنى أن نمنع النفوذ الأجنبى عن البلاد إلا بالقبض على العربيين.. وأن الجنب الخديو هو على جانب عظيم من التقوى والدين.. وأنه ليس أول من نصر بغير دين فكان أن أرسلها النديم شواظا من النار فى وجه الشيخ «حمزة» فى أول أعمال «الطائف» حقر من صحيفته وكان مما قاله فى هذا الخصوص إن الخديو أشقى الخلق وأنه يطبع جريدته أو وريقته كما أسماه فى مطابع «الأجشبيان غازيت» فى إحدى المراكب الإنجليزية ثم يعرضها على «سيمور» قائد الأسطول الإنجليزى.

كان الشيخ «حمزة فتح الله» مفتشا أول للغة العربية متقاعرا فى لغته غربيا فى ألفاظه ومن ضمن ما قال فى تقرير كتبه عن أحد المدرسين: «لم أرد بذلك التدميج إلا الرعوى على النشء، فإن فلا مع حفظ المبني وفهم المعنى. خير من كثر يطوح بهم فى موامى النبت. هل فهمت شيئا أيها القارئ العزيز من هذه الألفاظ الغامضة.. وهكذا كان غموض موقف الشيخ «حمزة فتح الله» من الثورة العربية ومن الحركة الوطنية على عكس الوطنى الثائر «عبد الله النديم» الذى خلده التاريخ المصرى فى أمجد صفحاته.



سرجيوس.. قس الشيوخ.. وشيخ القسوس..؟!

بملء فمه.. وبصوت جهورى.. وإبان ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩.. وأمام الحشد الحاشد من الجماهير الثائرة - مسلمين ومسيحيين - الذين زحفوا من كل حدب وصوب ملتفة حواليه لتنصت وتستمع إليه كان يرفع عقيرته صائحاً: «فليحيا الإنجليز»؟!.. وإذ - يرتج - الأمر على السامعين يواصل هتافه قائلاً مرة أخرى «فليحيا الإنجليز»?!..

ثم يلوذ بالصمت هنيئة ماضيا فى مخاطبة الجموع المتطلعة إليه - ثم يردف - مخاطبا إياهم «فليحيا الإنجليز».. الذين استطاعوا بغيهم واستبدادهم واحتلالهم لبلادنا أن يجعلوا منا هذه الكتلة الموحدة الملتهبة المقدسة وأن يؤاخوا بين عنصرى الأمة.. وكان الإنجليز بعد ضربهم للإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ قد أصبح لهم صولجان.. وجنود وسلطان وأضحت الثورة بالنسبة لهم غصة فى الحلق.. وأعجوبة فى الخلق ويحثوا حتى أضناهم البحث فلم يجدوا إلا سلاح الفتنة يصوبونها إلى صدور المصريين فاستعصت عليهم الصدور.. وانغلقت أمامهم القلوب حتى إن اللورد «كرومر» الذى كان يمسك بخناق المصريين ويجثم على أنفاسهم بكلكله قال: إنك لا تستطيع أن تفرق بين المسلم والمسيحي فكلاهما يدخل إلى الجامع وإلى الكنيسة وكلاهما يخرجان متحابين..

ترعرع «سرجيوس» فى كنف أسرة دينية فوالده أحد القساوسة الكبار وكذلك كان جده قسيساً، وانتظم فى سلك الكهنوت منذ نعومة أظفاره فدعى إلى إصلاح مناهج التعليم الكنسى الذى ارتأى وجوب إصلاحه من خلال المدرسة الإكليريكية التى كان يدرس بها، إذ ألفاها لا تناسب العصر فانتشرت دعوته بين الطلبة وامتلئت تلك المدرسة - لطلبته - بعد أن أضرب طلابها عن الدراسة.. وقيل إن هذا هو أول إضراب فى تاريخ مصر.. رحل «سرجيوس» إلى السودان حيث أنشأ جريدة «المنارة» ومن فوق منبرها شن هجومه الضارى على سياسة الاستعمار الإنجليزى الذى دأب على أن يبث بذور الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، فدفع ذلك المستر «مور» حاكم السودان - وبعد أن ضاق به ذرعاً - إلى أن يطلب منه مغادرة القطر الشقيق محدثاً إياه - وبحدة -: إن الحاكم العام للسودان يطلب منك أن ترحل من السودان فى خلال أربع وعشرين ساعة.

فما كان من «سرجيوس» إلا أن جابهه وبنبرة ملؤها الاعتزاز بكرامته: «أنا لست فى لندن حتى يأمرنى الحاكم العام بمغادرة البلاد.. أنا هنا فى بلادى وليرحل هو إذا شاء».

آب «سرجيوس» إلى أرض الكنانة وكانت ثورة ١٩١٩ قد شب نارها واشتعل آوارها فأخذ يطوف مع المرحوم «محمد فتح الله بركات باشا» ابن شقيق الزعيم سعد زغلول ليدعوا إلى مجاهدة الإنجليز وإلى طردهم من بر مصر المحروسة.. وكان يدلف إلى صحن الأزهر الذى أسماه حصن الثورة الحصين يخطب فى الجموع الهادرة ويظل هكذا - دواليك - قرابة الثلاثة أشهر - لا يذوق خلالها طعم النوم يخرج من صحن الأزهر ليطوف فى البلاد يخطب فى العباد مستقلا «عربة حنطور» ليلهب حماس المصريين ضد الإنجليز فاستدعاه «كين بويرن» مدير أمن القاهرة - آنذاك - واقتاده هو ورفاقه من رجال الثورة إلى ثكنات قصر النيل وألقوا بهم فى غرفة مظلمة ممثلة بالهوام والحشرات ثم يسبق هو وصحبه إلى مدينة رفح وكان منكبا فى خلال هذه الفترة التى أمضاها فى غياهب الجب فى قراءة اشتات من الكتب الدينية، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة ليواصل - حثيثا - نضاله ضد المحتل الغاصب رافعا مع رفاقه من المسلمين علم - الهلال مع الصليب - حتى ذاع صيته فى أرجاء مصر برمتها حتى أنه لما رشح نفسه فى انتخابات مجلس النواب عام ١٩٤٩ كان الناس يهتفون له: (من غير فلوس.. يا سرجيوس).. ولما - حانت منيته - فى آوائل الستينيات عثروا على آخر مقال له دبجته يراعتة بعنوان (لن أكف مطلقا).

هذا هو سرجيوس القبطى الوطنى ابن مصر البار الذى وصفه الزعيم «سعد زغلول» بأنه: «خطيب ثورة ١٩١٩». فقد عمل بدون كلل أو ملل على توحيد عنصرى الأمة.



يوم .. أن مات سعد زغلول

فى ذلك اليوم البعيد ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ديجت يراعتة هذا الكتاب القيم «فى دروب الوطنية» كتب الدكتور «عصام الدين جلال» يقول: وفى هذا اليوم الذى لم تمح السنون الطوال انطباعاته من الذاكرة أو القلب. لفت نظرى بمجرد الخروج من المدرسة هدوء وسكون غريب يلف شمل المدينة، ولما تأكد لى بعد قطع جزء من الطريق تساءلت عن تفسير هذا التغيير الملموس. وأخبرنى الفتى أن زغلول باشا قد مات، ولم يكن يتذكر بقية الاسم ولكنه كان يعرف أنه الباشا الكبير. ولما أمعنت النظر على مدى الطريق وجدت الوجوم والتجهم والأسى يصبغ أوجه الناس. وحتى على المقاهى لم يكن هناك الصخب والمرح المعتاد بل رأيت الكثيرين يمسحون دموعهم. بل خيل إلى أن جو وفراغ المدينة ومبانيها قد خيم عليه الأسى والحزن والسكون. ولم أتمالك، أنا الطفل، إلا أن أحول حديثنا إلى همس. وأفقد كل رغبة فى الابتسام أو المرح الذى كان عادة ما يسبغ حديثنا فى رحلتنا. وقد أتيح لى فيما بعد أن أعرف الأكثر عن الفقيد سعد باشا زغلول. وألمس مدى الحب والإجلال اللذين يكنهما له الناس ومدى الحزن والأسى الذى عن بوفاته. كما أتيح لى التعرف على سير الأبطال وإنجازاتهم وسأيرت بل وحملت جثث شهدائهم. ورافقت كفاحهم فى مصر وفى أنحاء أخرى من العالم. ولكن بقى لا ينسى حزن طنطا التلقائى والدفين. لوفاة زغلول باشا رمز الوعى والصحو الوطنية، مهما تعمقت معلوماتى وتوسعت تجاربى وتنوعت خبراتى. وعلى مدى سنوات العمر الطويل رأيت الجماهير فى مصر وخارجها تعبر عن أسى وألم الفراق لرموزها البارزة السياسية والاجتماعية والفكرية. رأيت بكاء ونواحا وصراخا تعبر به عن فجيعتها وأحلامها المهذرة ومخاوفها الكامنة. كما فعلت فى جنازة جمال عبد الناصر. ولكن درس جموع أهل طنطا بكل فئاتهم وأعمارهم فى خشوعهم وألمهم الدفين فى أعماقهم بقى أكثر الدروس رسوخا وأثرا فى نفسى وركيزة من أبرز ركائز ضميرى الاجتماعى.

كتب الدكتور «مارتن هاول» أول وزير مفوض للولايات المتحدة الأمريكية فى مصر يقول عنه فى إحدى الصحف الأمريكية «ولست أبالغ إذا قلت إنه أعظم رجل قابلته فى

حياتي.. إنه جورج واشنطن الشرق» فاختلف اللورد لويد بشأن ما كتبه عن سعد فقال له : إن كلمة من هذا الرجل ستخرجكم من مصر. فرد عليه لويد: إذا قال هذه الكلمة حكمت عليه بالإعدام، فأجابه «مارتن هاول» إنه من الناس الذين يببقون أحياء حتى ولو ماتوا، ثم ألف كتابا من خلال إعجابه بسعد، عن مصر أسماء مصر الماضي والحاضر والمستقبل.

كان «أزهريا ثائرا» تتلمذ على يد عظيمين من عظماء الشرق، هما جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وأصبح فيما بعد صديقا وندا لهما، فلا غرو أن أصبح فيما بعد، مفجر ثورة ١٩١٩ وقائدا لها هذه الثورة الخالدة التى زاد فيها ولأول مرة فى تاريخ الثورات - عدد القتلى عن عدد الجرحى «١٦٠٠ قتيلا - ١٥٠٠ جريح» - كما دون الراقى فى كتابه القيم فى أعقاب الثورة - وأنها أعظم حركة قومية فى تاريخ مصر الحديث.. وكان قاضيا عظيما فلم يكن القاضى الذى يتعبد النص القانون ليضحي بالعدالة فى سبيله بل كان قاضيا جزئيا مجتهدا لا يتمسك بحروف القانون ولا يعرض عليها بنواجذه ولا يخرج فى تفسيره عما يتفق والمصلحة العامة لأن الأصل فى القانون هو العدالة، وماكان أكثر ما يتردد فى أحكامه ويرد فى حيثياته قوله: وحيث إن قواعد العدل والإنصاف تقضى.

وكان وزيرا شجاعا عندما عين وزيرا للمعارف أصلح من شأن التعليم خلال أربع سنوات قضاها فى هذه الوزارة بذل خلالها جهد الجبابة ليهدم النفوذ الإنجليزى الذى كان ينشر ظلاله القاتمة على شتى مناحى التعليم. تحدى نفوذ المستشار الإنجليزى «دنلوب» الذى كان يضع التعليم فى قبضته، وأحل اللغة العربية محل اللغة الإنجليزية ودأب على فتح العديد من المدارس، وأعاد إلى وزارة المعارف كل من هجرها من كبار رجال التعليم وأكثر من إرسال البعثات إلى أوروبا وفتح باب المجانية لتعليم الفقراء، وعين وزيرا للعدل سنة ١٩١٠ بعد أن حرص اللورد «جرست» على نقله من نظارة المعارف للحد من نشاطه فيها. فعمد إلى القضاء فأصلحه وعزز كرامته، وناضل من أجل حريته واستقلاله وانتصف للمبشرين من رجاله الذين كان قد عصف بهم، كذلك سعى إلى إنشاء نقابة المحامين التى أصبحت منارا للدفاع عن الحق وتربصوا به الدوائر فى مسألة تافهة متعلقة بصديق من أصدقائه فاضطر إلى الاستقالة عام ١٩١٣.

انتخب وكيلا للجمعية التشريعية، ونجح فى دائرتين من دوائر القاهرة، والقاهرة كلها آنذاك أربع دوائر دون أن يكون منتسبا لحزب أو لفئة معينة من الناس وعندما شجر خلاف

فى هذه الجمعية من يكون الرئيس لها حالة غياب من يرأسها الوكيل المعين؟ أم الوكيل المنتخب؟ وتشيع المتشيعون من طلاب السلطة والسائرين فى ركب النفاق لأن يكون الوكيل المعين هو الرئيس، حينئذ، هب سعد زغلول فيهم قائلاً: الوكيل المنتخب هو الرئيس.. ثم أردف قائلاً أنا هنا أمثل إرادة الشعب!.

ذهب هو وزميلاه عبد العزيز فهمى. وعلى شعراوى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى إثر إعلان الهدنة فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ إلى دار الحماية البريطانية يطالب باستقلال البلاد، وعندما دهش عميد دار الحماية «ريجنالد ونجت» من طلبه فقال له متعجباً مستوثقاً: كأنكم تطلبون الاستقلال؟! فأجابه سعد: نعم ونحن أهلا له.

وكان زعيما قائداً ثائراً أسمع الدنيا حق مصر فى الاستقلال، فقبضت عليه السلطة الإنجليزية واعتقلته. ونفته فى الثامن من مارس ١٩١٩ مع حمد الباسل، ومحمد محمود، وإسماعيل صدقى إلى جزيرة مالطة. حيث كان الإنجليز ينفون أسراهم من الأتراك والألمان، فذهب إلى منفاه بعد أن أضرم النار فى الثورة الكامنة فى قلب شعب مصر. فكانت ثورة ١٩١٩.. أول ثورة فى تاريخ هذا الشرق العربى.

وفى يوم الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٢١ تم القبض عليه ونفيه مرة أخرى بعد أن طوقوا بجحافلهم. وفيالقهم بيته الذى يقطن فيه حتى إنه عندما رأى هذه القوة الضاربة تحيط بمنزلة. سخر من قائدها قائلاً: هل أعلنت انجلترا الحرب على مصر؟ وخرج معهم إلى الشارع والجماهير تهتف فى إشفاق عظيم: إلى أين يا سعد؟.. إلى أين؟.

فتابع سيره وهو الشيخ الجليل الذى وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً وقد أغرورقت عيناه بالدموع.. على الرأس.. رابط الجأش ليس فى خطوة إسراع، ولا تثاقل ولا فى نظراته أو حركاته ما يدل على قلق أو اضطراب، ويده اليسرى فى جيب معطفه، ويده اليمنى تحرك عصاه حركة بطيئة عادية، ثم أركبوه سيارة مغلقة تحيط بها القوة العسكرية المدججة بالسلاح الشاكى وأنزلوه فى خيمة تعصف الرياح من خروقتها ثم توجهوا به إلى مرفأ السويس ذاهبين به إلى «عدن» مع زملائه مكرم عبيد، ومصطفى النحاس وسينوت حنا وعاطف بركات وفتح الله بركات بينما كانت مصر كلها مرجلا يغلى. يموج بالغضب، والاضطرابات تسودها من أدناها إلى أقصاها، وفى «عدن» عرضوا عليه أن يكون ملكاً على مصر فرفض فى إباء وشمم وقال لن فاتحه فى ذلك: إننى أفضل أن أكون فرداً من الأفراد

فى أمة مستقلة، على أن أكون ملكا لبلاد مستعبدة فى ظل حماية أجنبية فنقلوه بعد ذلك هو ورفاقه إلى جزيرة سيشل ثم «منفردا» بدونهم إلى جبل طارق، ورضخ الإنجليز، وخضعوا وأعلنوا استقلال مصر وإلغاء الحماية البريطانية فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ فوصف سعد هذا التصريح بقوله : هو ناقة البدوى التى تباع بمائة درهم، وتباع التميمة التى فى رقبتها بألف، ولكم لأتباع الناقة بغير التميمة فما أحلاها من صفقة لولا «الملعونة» فى رقبتها! . وإن كان لنا أن نذكر لتبيان حب الشعب المصرى الجارف لسعد وانصياعه إلى قيادته فإننا نذكر هذا الحديث الذى سجله التاريخ.. فبينما كان سعد زغلول فى المنفى جاءت إلى مصر لجنة «ملنر» أصدر الوفد قرارا بمقاطعة هذه اللجنة على أساس أن المفاوضات يجب أن تكون مع سعد زغلول وحده.

ملنر لم يصدق أن المصريين جميعا قاطعوه.. وفى أحد الحقول النائية توقف ركب ملنر، ونزل الرجل ليحاصر بأسئلته فلاحا بسيطا.

س : اسمك؟

ج : (صمت).

س : هل أنت متزوج؟

ج : (صمت)

س : هل عندك أولاد؟

ج: اسأل سعد باشا؟!

س : الساعة كم الآن؟

ج: اسأل سعد باشا؟!

واضطر الإنجليز إلى الإفراج عنه وعاد إلى مصر واستقبل من شعب مصر استقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى إن كاتباً كبيراً كتب عنه يقول : لو قدر للإسكندر الأكبر، أو نابليون بونابرت أن يشهد ما شاهده سعد زغلول من استقبال الجماهير الهادرة له.. فماذا كان يتمنى لنفسه أكثر من ذلك. ونشرت جريدة البلاغ آنذاك مانشيتاً عريضاً معنونا منية المرشد - معقل الزعيمين فتح الله بركات وعاطف بركات - تحتفل بعودة أبنائها زعماء مصر من المنفى وتناقلت صحف العالم هذا المانشيت.

وعاد الناصر العظيم يكافح من أجل الدستور حتى صدر دستور ١٩٢٣ الذى جعل فيه حكم مصر لإرادة الشعب رغما عن ملكها أحمد فؤاد.. ثم ترأس مجلس النواب فشرف به

المجلس «وكان رئيساً له ولا كل رئيس» كما عبر المفكر الكبير عباس محمود العقاد في مقال له عن سعد بعنوان «عظيم كل حياته عظامية».

وفى مثل هذا اليوم منذ ثمانين عاماً - ونيف - مات سعد زغلول فيكته مصر كلها بدماء قلبها، وعصارة فكرها ويعبر أدياؤها وشعراؤها عن الحدث الجلل فينشد حافظ.

إيه ياليل هل شهدت المصابا	كيف ينصب في النفوس انصبا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح	أن الرئيس قد ولى وغابا
وانع للنيرات سعدة فعد	كان أمضى في الأرض منها شهابا
قل لها غاب كوكب الأرض في	الأرض فغيبى عن السماء احتجابا

وينشد «شوقى» الذى كان غائبا عن الوطن - آنذاك - معبرا عن حزنه لموت سعد وتلقيه نبأ وفاته وهو بعيد عن الوطن:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها	وانحنى الشرق عليها فبكاهها
ليتنى فى الركب لما أفلت	يشوع، همت فنادى فثناها

وتدبج يراعة العقاد:

حملوا على المدفع مدفعا الأناطيل اتقته والحصون

وتكتب التايمز الإنجليزية عنه مقالا معنونا: مات الأسد المصرى..
فسلام على سعد فى الخالدين.



سلام الله.. على مصر..

لا ينعدم ولا يفنى.. فالحكومات تزول وهو لا يزول.. قالها الإمام محمد عبده عام ١٨٧٦م - فى معرض حديثه - عن معدن شعب مصر
«مصر وطن لا نعيش فيه ولكنه هو الذى يعيش فينا»
جأر بها قداسة الأب شنودة بحسه الوطنى.. وحدثه الدينى.
مبارك شعبى مصر - ساطعة - منذ القدم فى الكتاب المقدس.
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُءُسَاءَ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة - الآية ٨٢]
صدق الله تعالى.

وصدق الذى قال.. فإلى الله من مشى بصليب فى يديه.. ومن مشى بهلال.. فالدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما.

فيا أيها المجرمون الآثمون.. لقد تهاوى وحبط ما أردتموه من خراب يباب لمصر فقد التفت قلوب المصريين مسيحيين ومسلمين بعضها حول بعض ولم تؤثر فيهم قيد أنملة فرعة الهول التى أصابتهم جراء ما اقترفت أيديكم الملوثة بالدماء، من وأدكم للأبرياء، ولم، ولن تغلحوا مجتمعين أو متفرقين أن تنالوا من وحدة شعب مصر أو تفصموا عرى الوحدة التى جمعت بين جناحي الأمة بمسلميها وأقباطها، ولا وشائج القربى التى ربطت بينهم عبر كر السنين وتعاقب الأيام، بفعلتكم النكراء.

إن شعب مصر يؤمن إيمانا كاملا بما ورد فى الذكر الحكيم:
﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [سورة البقرة - الآية ١٣٦].

لقد أحسستم بأن دائرة مصر - تنداح - فامتلاّت قلوبكم حقدا وهما وأردتم بها شرا وشاء الله بها خيرا فمصر هى كنانة الله من مسها بسوء قسمه الله فالتوراة والإنجيل والقرآن هى كتب الله المنزلة جعلها الله نورا لنا أجمعين وشعارنا: (لكم دينكم ولى دين).
ومن استقراء التاريخ نعلم أن اليهود فى مصر قد تباوأوا مكانا عاليا حتى قيل: يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم، فالغز بينهم.. والمال عندهم.. وبينهم المستشار والملك.

وفى عهد محمد على رسخ مبدأ المواطنة - مقدساً - عند جُل المصريين ، وفى عهد سعيد باشا ألغيت الجزية المفروضة على أهل الذمة وانخرطوا برمتهم فى جيش مصر، وفى عهد إسماعيل أوفد المسلمون والمسيحيون - معا - إلى خارج الديار لينهلوا من علم الغرب .
كما أمر إسماعيل بترشيح المسيحيين فى مجلس شورى النواب ، وكذلك تعيينهم قضاة بالمحاكم جنبا إلى جنب أشقائهم المسلمين - ومن قبلها ومن بعدها وإلى الآن أضحى منهم الوزراء ، والكبراء ، والعلماء .

وفى ثورة شعب مصر بجناحيه فى ثورة ١٩١٩ اختلط دم المسلم بدم المسيحى وهتفوا جميعا عن بكرة أبيهم (يحيا الهلال مع الصليب) .
من الأقوال المأثورة: «إن المصائب تسفر عن عجائب وعن رغائب لا يدركها العقل إلا بعد انجلائها» . فالله يخرج الخير من الشر ، فإذا اشتد الظلام وزمجر الرعد وقصفت الريح .. انقشعت الغمة وانبلج الفجر .

وبرسوخ الحق وثبات الجبال الرواسى ستقف مصر وقفة رجلا واحدا أمام غدر الغادرين وحقد الحاقدين ولن يفلحوا فى أن يمسوا مصر بأى أذى ، فإن مصر تستقبل المصائب وكأنها - قطرات الغيث - فعىسى عليه السلام هو روح الله تكفلنا فلا يفرقنا فى مصرنا أحد كما قال الشاعر ، هكذا يؤمن المسلمون والمسيحيون .
وسيبقى القرآن الكريم وتظل الأناجيل المقدسة المنزلة من عند الله يطالعها الناس آناء الليل وأطراف النهار .. ولو كره الكارهون .
فهم يمكرون والله يمكر .. والله خير الماكرين .



سيناء.. هل نعيمها بالدعاء..؟!

إن صحراء سيناء هي نقطة التقاء قارتين وخط فاصل بين بحرين. وكثيرا ما كانت توصف هذه الصحراء، التي تقدر مساحتها بأربعة وعشرين ألف ميل مربع، بأنها أرض قاحلة لا تصلح لشيء. وما هي إلا باب لأفريقيا وآسيا، وجسر بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر أي أنها أقرب طريق مؤدية من أوروبا إلى الأوقيانوس - المحيط - الهندي والشرق الأقصى.

وكانت هذه الصحراء، منذ البدء وكما ذكر المؤرخون من أهم مفارق الطرق في العالم. فقد شق فراعنة مصر، في القرن السادس عشر قبل الميلاد، طريق قفر سور باتجاه غرب سيناء وبئر السبع والقدس. وشقوا طريقا أخرى ساحلية وطويلة كانت تربط وادي النيل ببلاد ما بين النهرين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. ولكن الرومان والأنباط يستعملون طريقا أخرى كانت تشق شبه جزيرة سيناء من الشرق إلى الغرب. وقد سميت فيما بعد «درب الحج» حيث كانت تستعمل طريقا للحجاج الذاهبين من مصر إلى مكة المكرمة.

وتظهر سيناء للوهلة الأولى مجدية، تكسوها الجبال الصخرية القاحلة، وأرضها غير صالحة للزراعة، وتقل فيها الأمطار. وهي شديدة الحر في النهار والبرد في الليل. ومع ذلك فإن سيناء ليست بصحراء ذات وتيرة واحدة، إذ أن القسم الشمالي منها الممتد من العريش حتى قناة السويس، يشكل ساحات رملية واسعة، اجتازتها في الماضي ولعدة مرات جيوش عظيمة فمن هنا مرت جيوش الفراعنة لتحتل أرض كنعان وسوريا، ومن الجهة الأخرى غزا الهكسوس والآشوريون والفارسيون واليونانيون والعرب والصلبيون والأتراك سهول النيل الخصبة وتشهد بقايا قلعة صلاح الدين الأيوبي الجاثمة فوق أرض رأس سدر على أن هذا القائد المغوار تواجد على أرضها ذات يوم.

تعتبر منطقة التية في وسط شبه الجزيرة جبال كلسية. أما القسم الجنوبي منها والواقع داخل المثلث النهائي منها ملئ بالحجارة الصوانية (الجرانيت). ومن أهم جبالها الشديدة الانحدار: جبل سيناء، وجبل القديسة كاترينا، وجبل القديسة ابستيمي، وجبل سريال وأم سومار. وقد مر من هذه المنطقة شعب إسرائيل قبل خمسة وثلاثين قرنا.

تتمثل عظمة هذه الصحراء بجمالها الجذاب الذى لم تطله يد التلويث فى العالم المعاصر. يقطنها قلة من الناس، لا سيما البدو منهم الذين يعيشون من قطعانهم الصغيرة ومستنباتاتهم وأشجار البلح. كما يعيش فيها أيضا متوحّدو دير القديسة كاترينا. هذا باستثناء المدن الساحلية. أما باقى الجزيرة، التى لا يعيش فيها بشر، فهى مقر للذئاب والضباع والماعز البرية والطبّا والنسور. أما باطنها فغنى بأنواع من البترول والمعادن الأخرى، التى اجتذبت الإنسان منذ عهد المصريين الأولين.

ويقول بعض العلماء: إن كلمة سيناء مشتقة من الكلمة السامية «سن» بمعنى «سن» الإنسان. ويعود سبب هذه التسمية إلى شكل الجبال الشبيهة بالسن بتكوينها الجيولوجى الجذاب. ويذكر البعض الآخر: أنها مشتقة من كلمة «سين» بمعنى آلهة القمر التى كان يكرمها سكان الصحراء فيما قبل التاريخ.

وكما جاء فى الكتاب المقدس، هاجر موسى النبى من مصر وهو فى الأربعين من عمره، وجاء إلى جبل حوريب، حيث التقى ببنات يوثور السبع عندما كن يسقين قطيعهن من ينبوع الماء، الذى مازال، حتى يومنا هذا، فى الجانب الشمالى من كنيسة الدير المركزية. تزوج موسى إحدى بنات يوثور، وعاش أربعين سنة مع حميه يرعى قطعانه ناذرا نفسه للهدوء والعزلة، فى صحراء سيناء. حيث ظهر له الله فى أعجوبة العليقة المشتعلة وأمره أن يعود إلى مصر ويأتى بشعب إسرائيل إلى جبل حوريب كى يعبدوه.. يعبدوا الله. مر شعب إسرائيل فى سيناء فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى طريقهم إلى أرض كنعان، أرض الميعاد.

وبعد مرور ستمائة سنة، جاء نبى عظيم من إسرائيل اسمه إيليا - الذى ذكر فى التوراة إنه كان هو الآخر يحيى الموتى - إلى هذا المكان للتخلص من الملكة (إيزابيل)، ويستطيع المرء أن يرى، داخل كنيسة النبى إيليا فى جبل سيناء، المغارة التى عاش فيها هذا (النبى) واستحق أن يتكلم مع الله.. وهذا ما خطه «أفانجلوس بابايوانو» فى كتابه عن دير سانت كاترين.

وقد عرفت سيناء من الآثار المصرية باسم «توشويت» أى أرض الجذب والعراء. وعرفت فى الآثار الآشورية باسم «مجان» ولعله تحريف مدين وهو الاسم الذى أطلقه مؤرخو العرب على شمال الحجاز وكما ذكر «نعوم شقير» فى موسوعته تاريخ سيناء القديم والحديث.

وسيناء هي الأرض التي شرفها الله بمرور العائلة المقدسة السيد المسيح عليه السلام وأمه البتول مريم العذراء ويوسف النجار منها إلى الزقازيق ومصر هروبا من تعقب الرومان لرسول الله. كما أن «طوى» اسم الوادى الموجود فى سيناء فقد كرمه الله بقوله تعالى إلى موسى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه - الآية ١٢].

والذى لا شك فيه أن سيناء وخلال ربح طويل من الزمن قد أصابها النسيان وجار عليها الزمان حتى أصبحت مصر بالنسبة لها أرض الطغيان Egypt is the land of turany كما عبر العلامة «جمال حمدان».

وقد كان من المعهود أن أى مصرى يريد أن يجوس خلال أرض سيناء فعليه أن يستخرج - ترخيصا - لذلك وكأنه ذاهب إلى مدينة أجنبية، وقد ألغى هذا النظام فى عهد الرئيس أنور السادات.

ولقد آن الآوان لكى نرفع عن سيناء الذلة والهوان.. وإننا لنرى الواجب لتعمير سيناء: ١ - يجب أن يعاد النظر فى اتفاقية كامب ديفيد الموقع عليها فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتي أنهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل بينود فى الاتفاقية سلبية كما جاء فى المادة الثانية الفقرة الخامسة منها والتي تنص على أنه لا يجوز لمصر أن تنشئ أية مطارات حربية فى أى مكان على أرض سيناء، وبالتالي ظلت مصر طوال العقود الثلاثة الماضية والسنوات المقبلة أيضا غير قادرة على أن تنشئ مطارات حربية لها فى هذه المنطقة ووفقا للمادة الخامسة فقرة ٣ من البرتوكول. يجوز لها أن تستعمل المطارات الإسرائيلية التى أنشئت لهذا الغرض قبل توقيع الاتفاقية.

وكذلك المادة الرابعة الفقرة الأولى والخامسة من الملحق العسكرى الذى لا يجيز لمصر أن تنشئ أى مواقع عسكرية على شواطئ سيناء سواء فى البحر الأحمر أو البحر المتوسط. كما أن المادة ١٢٦ من ذات الاتفاقية تحدد لتسليح مصر شرق قناة السويس أسلحة خفيفة لا تسمن ولا تغنى من جوع.

كما أن الاتفاقية لا تجيز لمصر أن يكون لها أى قوة عسكرية مقاتلة أو مسلحة وهو ما يعنى أن أربع أخماس سيناء منزوع السلاح.

كما أن المنطقة (ب) ويبلغ عرضها ١٠٠ كيلو متر التى تمتد من شرق قناة السويس حتى قرية الشيخ زويد على البحر المتوسط شرق العريش وحتى رأس محمد غرب شرم الشيخ

جنوباً لا يوجد بها سوى قوات شرطة مدنية واشترطت إسرائيل في المعاهدة على ألا تزيد هذه القوات عن أربع كتائب ذات أسلحة خفيفة.

ولقد اخترقت إسرائيل هذه المعاهدة أكثر من مرة وآن الآوان أن تراجع بنود هذه الاتفاقية المجحفة بحق مصر في بسط نفوذها على أرضها.

٢ - تعمير صحراء سيناء وعلى رأس بنود التعمير يجب أن نولى اهتمامنا لترعة السلام ومشروع السكة الحديد وتنمية قبائل سيناء.

٣ - العمل على تكثيف الهجرة إلى سيناء بما لا يقل عن ثلاثة ملايين نسمة حتى يكون ثمة بحر للكثافة السكانية يغرق فيه من يحاول أن يعتدى على سيناء.

٤ - توزيع نسبة من أراضي ترعة السلام على أبناء سيناء فهم الأقدر على زراعة الأراضي.

٥ - فتح آفاق التصدير لمنتجات سيناء إلى الأسواق الخارجية بعد تنفيذ مشروع تطوير ميناء العريش البحري.

٦ - التركيز على تنمية وسط سيناء فهو ضرورة قومية وذلك بإنشاء كما ذهب البعض - محافظة ثالثة في وسط سيناء مع العمل على توصيل مياه النيل إليها.

٧ - مراجعة أو إلغاء كل الاتفاقيات بدءاً من اتفاقية الكويز إلى اتفاقية بيع الغاز مع إسرائيل.

ولقد مكثت في سيناء أيام طويلاً منذ شهور قليلة كما سبق القول وتمنيت ألا أخرج من أرضها الطاهرة التي وقعت عليها المعجزات والتي انفردت بها عن بقية العالمين ففيها عند - جبل الطور - كلم الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم.. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٦٤].

لقد بدأت علاقتي بسيناء منذ عام ١٩٥٧ وفي مرحلة باكرة من حياتي إذ كتبت عنها مقالاً نشر بجريدة الأهرام بعنوان «تعمير صحراء سيناء» ثم ثنيت بآخر بجريدة الشعب.

والذى لا مشاحة فيه - أن سيناء هي جوهرة مصر، بطبيعتها الساحرة وجبالها المهيبة التى ترتفع بهاماتها إلى عنان السماء تشهد على عظمة الخالق وقدرته، وجلاله ورهبته عندما يراها الرائي من فوق جبل موسى يبدو له المنظر من أبدع ما رأت العين ومن أروع ما خلق الله فى الطبيعة يترك فى النفس أثراً لا تمحوه الأيام مثلما ترك فى نفسى وأنا

أرى هذا المنظر الخلاب الذى يخطف الألباب عندما شددت الرحال إلى سيناء منذ شهور قليلة مع أولادى الذين طابت لهم المعيشة هناك وخرجوا من أرض سيناء.. أرض الأنبياء، والدموع تتفرق فى مآقيهم.

وقد آن الأوان لتعميرها، وجذب المستثمرين إليها، ودعوة السائحين من أرجاء المعمورة لمشاهدة أثارها الدينية المقدسة التى تسحر الرائيين.. وتعز على العالمين.



صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد..؟!

عندما زار الأستاذ الإمام محمد عبده - عبقرى الإصلاح والتعليم كما وصفه الأستاذ العقاد و أسماه فى كتاب له تناول فيه بالتحليل الدقيق حياته وآثاره مخلدا به ذكره - المدرسة التى كان ينتظم بها الأستاذ العقاد فى المرحلة الابتدائية بأسوان، وقرأ موضوعا إنشائيا له، تهلل وجه الإمام وهو يقول: «ما أجدر صاحب هذا، أن يكون كاتباً بعدد!». وتمر سنوات قلائل قصار، وبيبغ ضوء كتابات «العقاد»، وأشعاره كالنار الذى يهدى من يمشون عباب البحر فى الظلمة الظلماء، وفى الليالى الداكنة السوداء.

ويتقلد سعد زغلول نظارة المعارف العمومية عام ١٩٠٦ ليصلح من شأن التعليم الذى كان الفساد قد اعتوره، واستشرى فيه جراء سياسة «دنلوب» الإنجليزى، بعد إذعان الإنجليز للحركة الوطنية وقبل عزل (كروم) بسنة واحدة.. ويذهب أستاذنا العقاد للقياء، ليجرى معه حديثا وقد أجراه ليكون بهذه المثابة أول صحفى مصرى يدير حوارا مع الوزير الجديد، الخطير، وكان هذا الحديث.. حديث الطبقة المثقفة فى مصر آنذاك، ويدأب هو فى كتاباته الرصينة، وقرض أشعاره الجزلة العميقة، فافرض ذاته على الحياة الثقافية والاجتماعية بقراءته الرشيدة، الغزيرة، المتنوعة، وموهبته بل مواهبه العقلية المنفردة، وشخصيته العنيدة المتمردة التى قُدت من صخر أسوان بما يفصح عن مكنون عبقريته، التى انثالت منها تواليفه فى الأدب والشعر والفكر والتاريخ، فهو أديب، وشاعر، ومفكر، ومؤرخ، وقاص، عالم من علماء النهضة المصرية فى القرن العشرين الذى شهد مولد العباقرة وسمى بحق جيل العمالقة هذا الجيل الذى أخرج مصر من دياجير الظلام إلى عالم النور.

وتضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، تُجابه مصر بأقوى دول الأرض قاطبة. هكذا كانت بريطانيا وقتها: إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس، تقبض على ربع الكرة الأرضية، ذات قوة عسكرية، وذات بأس فى البر والبحر» كما عبر الزميل النابغ المستشار طارق البشرى فى كتابه «القيم سعد زغلول مقابضا».

وتندلع ثورة ١٩١٩ بقيادة زعيمها سعد، وتتأجج نيرانها، ويشتعل أوارها رافضة بقاء المستعمر الدخيل على أرضها. ويصبح هو لسانا من ألسنتها، ثم قلمها «الجبار»

الذى لا يشق له غبار.. وتتوحد أواصر الصداقة ووشائج المحبة بينه وبين قائدها «الفلاح العبقري» كما أطلق عليه الدكتور حسين مؤنس فى كتابه الرائع عن ثورة ١٩١٩، وكما وصفه العلامة إميل لودفيج فى سفره الجليل «النيل». ويدعوه الزعيم إلى (بيت الأمة) ويُجلسه على يمينه.. ثم يتناثر من بعده الكبراء والعظماء، ويحتج الطفل (مصطفى أمين) على (خال والدته) سعد زغلول قائلا: أليس هذا مخالفا (للبروتوكول) أن يجلس عباس (أفندى) العقاد بجوارك قبل وجهاء الأمة وعلية القوم؟. ويجيبه سعد: إنه ليس عباس أفندى.. ولكنه «صاحبة جلالة».

ويمضى العقاد فى كفاحه الأدبى، وتألقه ذهنى وجرأته فى سبيل الحق. ويتكسر على نصال قلمه كل من يحاول أن يفتنت على هذا الحق، حق مصر فى أن تحيا حياة حرة عزيزة.

وعندما قام «إسماعيل صدقى» بتعطيل العمل بالدستور وقف النائب «عباس محمود العقاد» ليقول: - يا حضرات النواب.. إن رأى مجلس النواب لا يمكن أن يكون مجهولا لحظة واحدة بعد البيان الذى أدلى به حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء، لأن الأزمة ليست أزمة وزارة.. فحسب، بل هى أزمة مجلس النواب نفسه.. بل أزمة الدستور المصرى.. ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد لأن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمايته. وعلى العكس من أغلبية أعضاء المجلس الذين استقبلوا العبارة الأخيرة، بالتصفيق الحاد المتواصل، تنبه «ويعا واصف» - رئيس المجلس - إلى خطورتها فصاح معترضا: - ما هذا يا أستاذ «عباس».. أنا لا أسمح بمثل هذا الكلام.. واستمر «العقاد» فى كلمته - بعد أن أمر رئيس المجلس بحذف العبارة من المضبطة - يقول: - مازلت أكرر أننا جميعا مستعدون للتضحية محافظة على الدستور ومقاومة كل من يعيث به، وأن البلاد جميعها على أتم استعداد للتضحية، لأن الأمة قد جاهدت فى سبيل الحصول على الدستور ستين عاما.

واستل العقاد قلمه وسلط سياط مقالاته يكوى صدقى بها كيا، على حد تعبير الدكتور «شوقى ضيف».

ويتولى محمد محمود (باشا) دفة الحكم ليعلم أنه سوف يحكم مصر «بيد من حديد» ويشرع العقاد قلمه أو سيفه فى وجه الطاغية الجديد هازئا به، فى مقال له: «يد من حديد فى ذراع من جريد»!.

ويتهم بالعيب فى الذات الملكية.. ويساق إلى غياهب الجب ، ويمكث بين جدران
تسعة أشهر يؤلف خلالها كتابه القيم «عالم السدود والقيود» الذى هو عبارة عن أنشودة
بديعة فى الحرية ويخرج من محبسه وهو ينشد أمام ضريح سعد زغلول وبين رهط من كبار
رجالات الدولة يتقدمهم الزعيم مصطفى النحاس ، وقد جاءوا برمتهم للترحيب بكاتب
الشعب عباس العقاد :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر وهأنذا فى ساحة الخلد أولد
عداى وصحبى لا اختلاف عليهم سيعهدنى كل كما كان يعهد؟!

ويشتجر الخلاف بينه وبين زعيم الأمة مصطفى النحاس لاستنكاره لسياسة الوفد
والتي رآها مغايرة لسياسة الوفد إبان رئاسة سعد زغلول له على يد رئيس الوزراء «محمد
توفيق نسيم».

ويضرب العقاد عرض الحائط بالصلوات الطيبة التي تربطه بزعيم الأمة «مصطفى
النحاس» ، وينحى عليه باللائمة فى هجوم قاس شديد ، معترضا على هذه السياسة فينبى
له النحاس غاضبا : أنا زعيم هذه الأمة.. ويرد العقاد عليه قائلا : وأنا كاتبها بحق الوحي
الإلهي ، ولن تنتهى برية هذا القلم حتى أكون قد أسقطت وزارتك؟!

وتقذف نيران الحرب العالمية بحممها ، ويدق (هتلر) وجنوده أبواب مصر. ويطلب
البعض من زعماء مصر الأمن والأمان.. ويؤلف هو كتاب (هتلر فى الميزان) يشرح فيها
شخصية الزعيم النازى المصاب بجنون العظمة ويتنبأ فيه بالفشل والهزيمة ويتهدده هتلر
وجنوده بالويل والثبور وعظائم الأمور ، فيشد العقاد رحاله إلى السودان ، ينتهى هناك من
كتابه «عبقريّة عمر».

ثم يكمل سلسلة عبقرياته التي فتح بها بابا جديدا فريدا فى الأدب العربى الحديث
(ما أن تذكر حتى تشك). فهي مرتبطة به ارتباطا لا يقبل التجزئة ، فهي تؤكد عبقريته
فى استكناه أسباب العظمة ، وتحليله الدقيق الموغل فى سبر أغوارها ، يتقلد إمارة الشعر
من عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى ألقى خطابا فى مؤتمر ضم أدباء مصر قال
فيه : «إننى أقتل الأستاذ العقاد إمارة الشعر فى مصر ، ضعوا أيديكم فى يده وقلده إياها».
كان هو وزميله قد فتحوا بابا جديدا للشعر من خلال مدرسة الديوان التي أنشأوها
وعابوا على الشعر فيها اهتمامه بالألفاظ دون المعانى ، وكان العقاد هو صاحب القدح الملقى ،

واليد الطولى فيها.. من هنا جاء شعره فى دواوينه العشرة التى جادت بها قريحته شعرا عميقا يملأ ساعات العمر ويغنى به القارئ أعمارا من المتعة والبهجة والنشوة الرقيقة التى تضاف إلى الأجل المحدود كما عبر الأستاذ الأديب فاروق شوشة فى كتابه (مختارات من شعر العقاد).

ويرتبط اسم العقاد (بأبولون) Apolon رب الضوء والفنون والحضارة وبصفه النقاد والأدباء بعملاق الأدب العربى.

وينال جائزة الدولة التقديرية ويقف أمام الرئيس جمال عبد الناصر - فى عيد العلم - وكان كاتب هذه السطور من بين المكرمين فيه - ليلقى كلمته أمامنا، فماذا قال؟ قال إن جوائز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمة.. «وإن تقديره من قبل «أمتة» اشتراك معه فى الفهم والإفهام ومعاونة له على الفيض والإلهام».

ثم يردف قائلا: فى عزة القاضى الجليل، وأنفة المفكر الأديب اللبيب: «إن جمهورية الفكر خير قرين لجمهورية الحكم، وإن جوائز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمة».

وهكذا كان العقاد يرتفع دائما بقيمته الفكرية.. وقيمة أى مفكر فى كل مكان وزمان من خلال اهتمامه بكرامة المفكر، ومبدأ (الحرية) التى آمن بها العقاد إيمانا راسخا، حتى إن البعض اعتبره ممثلا لهذه الحرية بأجلى معانيها وعلى سبيل المثال لا الحصر وصفه كاتب مصر العالمى نجيب محفوظ بأنه (الحرية بكل ما تعنى من أبعاد).

(فهو) الحرية إذا التمسنا لشخصيته فكرة يرمز بها إليه.. فالحرية هى الجمال فى فلسفته وهى الديمقراطية فى سياسته، وهى الفردية فى رأيه الاجتماعى، وهذه هى القيم التى دافع عنها وسجن فى سبيلها واضطهد كثيرا من أجلها. ومنها استلهم أدبه على تعدد جوانبه فكان رائدا كبيرا من رواد الشعر الرومانتيكى الثائر، وكان ناقدا فذا يدعو إلى تحرير العقل والشعور من سلطان السلف والتقاليد وكان كاتب سيرة يؤمن بالعنصرية باعتبارها القوة الخالقة وسط الأحداث والمجتمعات.. وكان قصاصا تحليليا سيكولوجيا من طراز عال فى قصته «سارة».. (راجع سامح كريم العقاد فى معاركة السياسية). فلا غرو - إذن - أن نجده يعتز بكرامته أشد الاعتزاز أليس هو القائل. أعترف أنى أحب الشهرة والخلود، ولكننى أعترف كذلك أنني لا أطلبها لقاء ثمن يهين من كرامتى. وإننى إذا أحسست أن

إنسانا يعتز بشهادة يبذلها، أو شهادة يمنعها، فلا نصيب له عندى غير التحدى، الذى يذهب به إلى الحائط، ولتذهب الشهرة، وليذهب الخلود معها إلى الشيطان. كان رحمة الله عليه يردد مقولة له، ويكررها بالإنجليزية Dignity is the best policy، أى أن الكرامة هى السياسة المثلى وعن هذا يعبر: الكرامة هى التى تسعدنا حين نحسن ونظفر، لأننا نفقد ما نفقد، ونفضل آخر ما حفظناه، وهو أعز علينا مما ضيعناه.

قمين بنا - نحن المصريين - جميعا أن نتوجه بالتحية والتقدير، لعملاق الفكر المصرى والعربى القدير.. فى يوم مولده.



صدق يا أستاذ عباس.. فموعدنا الآن ..

مع الوسواس الخناس!

صدق الكاتب الصحفي الأستاذ «عباس الطرابيلي» في مقاله المتميز الذى دهبته براعته منذ أسابيع قلائل والذى دعا فيه الشعب المصرى بطوائفه المتباينة إلى التكتاف من أجل الإصلاح والإصلاح.

يحدثنا تاريخ الأدب أن «امرؤ القيس» عندما علم بمقتل والده وكان ساعتها يعاقر بنت الحان (الخمى) شد رحاله إلى مضارب أخواله فى جوف الصحراء وقال قولته التى ذهبت مثلاً : «اليوم خمر وغدا أمر».

والغد يحمل فى ثناياه - بمشيئة الله - الخير كل الخير والفلاح لشعب مصر بعد أن تخلص من الوجوه القباح، الذين باءوا بالذلة وبالإفتراس، فى كل غدوة لهم ورواح. إن الجبهة الداخلية التى أراد الجاهلون أن يحولوها إلى قطعة من الجبن أو الزبد بإمكان أى فرد أن يمزقها إربا إربا.. هذه الجبهة هى قوام مصر يجب أن تكون متماسكة وأن تعود إلى وحدتها وصلابتها لتؤكد هيبة الدولة وتماسكها وليس انفراط عقدها مما يدفع الجاهل أو الحاقق إلى أن يعيث فى أرضها فسادا وإفسادا فالاستبداد فى الرأى يؤدى إلى الفساد.. والفساد يجر جرا إلى الإفساد.

وها هو ذا المستشار الجليل عادل عبد الحميد - وزير العدل - يصرح فى التلفاز المصرى أن ثمة فئة ضالة كانت وراء إحراق صرح مصر «المجمع العلمى المصرى» وقد اعترف البعض منهم بتقاضى أموالا زهيدة ووجبات غذاء مقابل تدمير هذا المتحف العلمى الشامخ الذى أسسه نابليون بونابرت فى ٢٠ أغسطس ١٧٩٨.

هناك أنظمة تخشى تكرار ثورة مصر فى بلدانها.. وهناك دولا محيطة بنا أغدقت أموالا تفوق التصور لجمعيات ومؤسسات مصرية لكى يعمل من خلالها المتآمرون على تخريب مصر ودق إسفين فى ثورتها الخالدة. إذن فلا جرم أن نفتح عيوننا ونرهف أسماعنا حتى نتيبين الغث من الثمين، والطالح من الصالح. فالثورات الكبرى مثل الثورة الفرنسية وكذلك الأمريكية ناهيك عن ثورة الصين والثورة البلشفية وغيرها من الثورات لم تنجح فى مسعاها

مع سقوط الآلاف من ضحاياها إلا بالعض - كل العض - على نواجذ جبهتها الداخلية،
ومن ثم فقد أثمرت وأينعت وحققت مراميها في التقدم والازدهار.
الأعداء يتربصون بمصر من الداخل ومن الخارج، والحفنة المتآمرة الكامنة في «السرايب»
قد عرّاهم الله، فإنهم يتربصون بمصر الدوائر من أجل وأد ثورة مصر السلمية الأبية الفتية
التي غدت نبراسا للثورات، وقد شهد لها الداني والقاصي بأنها قد أصبحت ثورة ليس
مثلها ثورة من قبل ومن بعد، وقد كشف الله الستر عن خافي مساعي هؤلاء المتآمرين الذين
يبتغون لمصر أن تصبح خرابا يبابا بعد نفث سمومهم في عقول السوق والدهماء الذين
تحولوا إلى حية رقطاء، تود أن تلتف رويدا رويدا حول جسد الأمة.. وإذا أردت أن تعرفهم
فإنهم يظهرون لك مرة كالغربان، وأخرى كالعقبان، وثالثة كالأفاعوان. يريدون أن تكبل
مصر بالأرسان حتى تقع في بئر الهوان، وتعود القهقري إلى عصر الطغيان.. ولكن يقف
لهم الديان.
إنهم يمكرون. ويمكر الله.. والله خير الماكرين..



ضربة منشة .. سبب احتلال الجزائر !!

من أعجب ما قرأت فيما دونه التاريخ في سجلاته قصة الاستعمار الفرنسي للجزائر الشقيقة التي ترجع علاقتها بفرنسا إلى القرن السادس عشر الميلادى حينما عقد حلف بين البلدين لجأ بمقتضاه الملك «فرنسوا الأول» ملك فرنسا إلى خير الدين بربرون طالبا معونته تارة ضد جيوش جنوه عام ١٥٣٥م.. وتارة أخرى ضد جيوش «شارلكان» امبراطور أسبانيا عام ١٥٣٦. فقد تم تبادل السفراء بين فرنسا والجزائر عام ١٥٦١م.. وفى عام ١٥٩٥ استنجد الملك «هنرى الرابع» بالجزائر فى تخليص مرسيليا من الجيوش المغيرة عليها من أعدائها.. وفى عام ١٧٩٣م عاودت فرنسا طلب المعونة من الجزائر وامدادها - أى فرنسا - بالجلود والخيول والقمح.

وفى عام ١٧٩٤ منحت الجزائر الحكومة الفرنسية التسهيلات الخاصة التي كان من شأنها أن حصل الفرنسيون على كل ما يلزمهم من القمح الجزائرى.. كما أقرض «الداى حسين» حاكم الجزائر حينذاك حكومة فرنسا عام ١٧٩٦م مليوناً من الفرنكات بدون فوائد لكى يسهل على الفرنسيين شراء المزيد من قمح البلاد.. واشترى الفرنسيون القمح.. وحصلوا منه على كميات زاد ثمنها على المليون فرنك بكثير.. فاعتبرت الجزائر هذا ديناً على فرنسا.. ومرت الأعوام ولم تسدد فرنسا دين الجزائر حتى عيل صبر الداى واستدعى قنصل فرنسا فى الجزائر.. وكان ذلك فى يوم ٢٩ إبريل عام ١٨٢٧ وسأل الداى القنصل متى ستحصل الجزائر على حقها من فرنسا.. ولماذا تمتنع فرنسا من الرد عليه فيما يطالب به من مبالغ مستحقة لبلاده على فرنسا، ولم يكن من القنصل إلا أن تلثم وأجاب الداى بأن حكومته لن تكتب إليه.. أى إلى الداى.. ولا فائدة من ذلك.. فثار الداى لذلك الجواب وهب واقفا طالبا من القنصل أن يخرج من مجلسه فلما لم يستثل القنصل لأمره «هوى عليه الداى بمنشته.. وقذفه بها فى وجهه فكانت تلك الحادثة سببا فى هياج فرنسا وفى إرسالها قواتها المندججة بالسلاح لاحتلال الجزائر ردا على فعلة «الداى» وصونا لكرامة فرنسا كما زعم بذلك ملك فرنسا «شارل العاشر»؟.

وقد تم ذلك فعلا فى يوم ٥ يوليو عام ١٨٣٠ بعد استسلام «الداى» فى اليوم السابق لذلك.. ومنذ ذلك الحين وفرنسا تحتل الجزائر، وتزعم أنها - أى الجزائر - قطعة..

أو جزء من أرضها حتى قيد الله لها الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل
حريتها واستقلالها ومن ثم أطلق على الجزائر بلد المليون شهيد!!..
هذه وبإيجاز هي قصة احتلال الجزائر واستعمارها.. قصة أغرب من الخيال إن دلت
على شيء فإنما تدل على مكر الاستعماريين ودهائهم وتفننهم في اختراع الأسباب لاحتلال
الشعوب واستعمارها فهذه هي فرنسا - كما رأينا - تقدم على احتلال الجزائر واستعمارها..
وتحتلها فعلا وتستعمرها بسبب ضربة منشة!!..



ضريبة الذهب الأسود فى عهد المصريين القدماء ..

البترو.. كلمة تتكون لفظين من أصل يونانى هما: «بترو.. ليوم».
الأولى بترو بمعنى «حجر».. والثانية ليوم بمعنى «زيت».. فيكون المعنى الاجمالى لكلمة
بترول هو.. «زيت الصخر».. وترجع معرفة الإنسان بالبترول واستعماله إلى أجيال طويلة
قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. وقد كشفت الأبحاث أن «البنزين».. وهو أحد مستخرجات
البترول - كان يستخدم فى بناء المنازل بمدينة «أورو».. وغيرها من المدن التى يرجع
تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد..

ويقول سفر التكوين فى التوراة إن سفينة نوح كانت مطلاة بالغاز من الداخل والخارج..
ثم السلة التى وضع بها موسى عليه السلام عندما ألقى فى اليم طليت بالغاز من الداخل
والخارج أيضا .. والغاز أحد منتجات البترول..

وتروى النقوش الأثرية المصرية أن «تحتمس الثالث» فى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد رسم
على سكان بعض المدن المصرية فريضة من البنزين الذى كان يستخدم فى تحنيط الموتى..
وظهرت صناعة البترول عندما تمكن الكولونيل «وريك» الذى كان يبحث جاهدة عنه
من حفر البئر الأولى عام ١٨٥٩.. وقد وجد البترول على بعد ٢١ مترا من سطح الأرض..
وفى خلال التسعين سنة التالية بعد هذا الكشف حفرت آلاف الآبار.. وتوغل الباحثون
فى باطن الأرض حتى تم استخراج البترول من آبار وصل عمقها إلى مسافة ٤ كيلو مترات
ونصف تحت سطح الأرض..

ولقد نشأت صناعة البترول فى العصر الحديث فى بداية القرن التاسع عشر خلال
عمليات الحفر التى كانت تجرى بحثا عن الملح.. إذ صادف الباحثون آثارا من الزيت
الخام فى عددا كبيرا من مناجم الملح فى فرجينيا الغربية.. وكان الزيت الخام يعتبر
مادة عديمة القيمة.. ولكن لم ينقض وقت طويل حتى كشف أن لهذا السائل بعض المزايا
والفوائد.. فبدأ استخدامه فى إضاءة الشوارع فى عام ١٨٢٨.. وفى عام ١٨٤٥ استعمل
البترول الخام لأول مرة مخلوطا بزيت الحوت فى تزييت آلات مصانع حلج القطن فى
الولايات المتحدة الأمريكية.. ومنذ ذلك الوقت أخذ الطلب على البترول يتزايد..

وما أن جاء عام ١٨٨٩ حتى توالى عمليات الحفر والتنقيب، فلم ينقض عام ١٨٦٠ حتى بلغ عدد الآبار التى حفرت فى أمريكا أربعاً وثمانين بئراً أنتجت ما يقرب من ٧٥ طناً من البترول.

وظل البترول طوال الأربعين عاماً التى تلت ذلك يستعمل بصفة رئيسية فى الإنارة.. والتزييت وغيرهما حتى ظهر محرك الاحتراق الداخلى فبدأ استعمال البترول كوقود لمرجل السفن.

ومنذ ذلك بدأ إنتاج البترول يرتفع بسرعة عظيمة مع تطور الصناعة وارتقائها. فتضاعف من ٥٥ مليوناً عام ١٩١٣.. إلى ١٠٩ ملايين (طن).. فى عام ١٩٢١.. إلى ٢١٨ مليون طن عام ١٩٣٥.. إلى ٤٣٣ مليون طن عام ١٩٤٧!.. هذه هى قصة نشأة البترول فى العالم.

أما عن قصة نشأة البترول فى مصر فذلك يرجع إلى عام ١٨٨٤ حينما استقدم «نوبار باشا» بلجيكيًا يدعى «دى باى» وعهد إليه مهمة البحث عن البترول.. فى مصر.. فى منطقة «جمسة» غير أن «دى باى» فشل فى مهمته التى استطاع اتحاد البترول المصرى أن ينجح فيها عام ١٩٠٨ حينما وفق فى العثور على البترول فى المنطقة السابقة التى بلغ إنتاجها من البترول ١٩٣ ألف طن.. ثم توالى الكشف عن البترول فى مصر بعد ذلك فأكتشف حقل الغردقة عام ١٩١٤.. ثم حقل أبو دربة عام ١٩٢١.. ثم رأس غارب عام ١٩٣٨.. ثم حقل بترول سدر عام ١٩٤٦ ثم حقل مطارمه.. وعسل.. وبلاعيم وغيره وغيره من حقول البترول.

وذلك هو الذهب الأسود الذى قالوا عنه «.. من ملك البترول.. ملك زمام العالم.. وأصبح السيد الحقيقى له!..».

هذا هو البترول الذى لعب دوراً هاماً فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.. وجعل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا عن بكرة أبيها تصطلى وتكتوى بالزمهرير من شدة البرد جراء محاصرة البلاد العربية المنتجة للبترول بامتناعها عن ضخ البترول إلى بلادهم لقاء تكاتفهم مع إسرائيل. تضامناً منها مع شقيقتها مصر التى خاضت حرباً ضروساً من أجل تحرير أرضها من ربة المحتل الإسرائيلى الذى أحتلها فى غلس الليل وما كان له أن يرفع يده الملوثة بدماء الشهداء المصريين إلا بهذه الحرب المجيدة التى أصبحت تدرس فى أكاديميات العالم العسكرية المختلفة التى شهدت لمصر بعقريتها الحربية بعد أن أذاقت المحتل الإسرائيلى الويل والهوان.

عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم؟!..

دعتنى قناة «دريم» فى غضون عام ٢٠٠١ لحضور ندوة عن الحكم الذى صدر بإعدام الممرضة «عايدة» ثم بعد ذلك أعادت محكمة النقض محاكمتها أمام دائرة جنايات أخرى، غير الدائرة التى حكمت عليها بعقوبة الإعدام.

أدارت الأستاذة «منى الشاذلى» الحوار فى هذه الندوة كمعادتها باقتدار وكان الحضور فيها الأستاذ الصحفى «محمد فودة» رئيس التحرير، والأستاذ «آمر أبو هيف» المحامى بالإسكندرية. والدكتور عميد كلية طب التمريض بالإسكندرية، وإحدى أساتذة كلية التمريض بها، وكاتب هذه السطور.

كانت الندوة مذاعة على الهواء وأدلى الحضور برأيهم فى هذا الموضوع: قال الأستاذ فودة: إنه لولا الصحافة وتركيزها على هذه القضية لنفذت عقوبة الإعدام فى المتهم، وأن الصحافة كان لها القدح المعلى فى عرض هذه القضية على محكمة النقض التى حكمت بنقض الحكم المحكوم به على المتهم بعد أن عرضت الصحافة قضيتها على (الرأى العام) الذى لعب دورا مؤثرا فى تخفيف الحكم عليها.

أما أساتذة الطب الذين أدلوا بدلهم فى موضوع الندوة فقد داروا حول ما إذا كانت المتهم قد أخطأت فى علاج المريضة التى تسببت برعونتها فى إزهاق روحها البريئة. أما الأستاذ «آمر أبو هيف» محامى المتهم فقد سلط الضوء على نفسه إذ إنه وهو وكيل المتهم قد طعن بالحكم الصادر من محكمة جنايات الإسكندرية بإحالة أوراق القضية إلى فضيلة المفتى.

وكانت المتهم قد ناولت المجنى عليها حقنة بداخلها مادة قاتلة، وهى تعودها بالمستشفى التى ترقد فيها بمدينة الإسكندرية.

أما كاتب هذه السطور فوجه حديثه لكل من الأستاذ الصحفى والأستاذ المحامى فقال للأول: ليس هناك قضية توصف بقضية رأى عام من عدمه فالقضايا جميعها أمام القضاء مهما صغرت أو كبرت ينظرها القاضى بعد بحث وفحص و تمحيص و تنفيذ للأدلة الظاهرة أمامه، دون أن يولى اهتماما لرأى عام من عدمه فالرأى العام. كما قال أحد الفلاسفة «ما هو

إلا حصان جامح ليس له من ضابط إلا من يستطيع أن يكبح جماحه». ثم يمتد وجهي متجهاً بحديثي إلى الأستاذ المحامي ذاكراً له: إنه ليس أنت ولا غيرك هو الذى خفف الحكم عن المتهمة عايده فاستبدلت العقوبة عليها من عقوبة الإعدام إلى السجن لمدة عشر سنوات، ولكنه القانون .. والقانون وحده. متمثلاً فى المادة ٤٦ من القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ الذى أوجب على النيابة العامة عرض أية قضية يحكم فيها بالإعدام على محكمة النقض لتقول كلمتها فيها.

ولقد قالت محكمة النقض كلمتها فى قضية عايده دون مؤثر عليها فيها سوى القانون.

وعندما أبدت الأستاذة «منى الشاذلى» دهشتها قائلة: كيف يكون هذا؟ من حكم بالإعدام يزهق روح المتهمة إلى حكم بسجنها عشرة سنوات؟ فأجبتها: لا تعرضى نفسك للمثول أمام القضاء فالقضاء ليس محل سخرية فنفت بأدب جم ذلك وأبدت تقديرها واحترامها الكاملين للقضاء.

فأردفت قائلاً لها: إن القاضى لا يحكم إلا من خلال الأوراق والمستندات الماثلة أمامه وقد تظهر أدلة جديدة من استقرائه لهاتيك الأوراق تجعله إما يغلظ بالعقوبة أو يخففها حسبما يقر فى ضميره، ويستقر فى وجدانه، وكم من القضاة حكموا فى قضايا جد خطيرة بالبراءة لعدم وجود أدلة، أو عدم كفاية الأدلة. وكم من القضاة حكموا بتخفيف الأحكام على المتهمين بثبوت الأدلة عليهم تقديرًا لظروفهم إعمالاً لنص المادتين ٥٥، ٥٦ من قانون العقوبات، وكم من القضاة أخطأوا فى أحكامهم بالعفو عن المتهمين نأياً بأنفسهم عن الخطأ.. والقاعدة الذهبية أمام عيونهم شاخصة لأبصارهم جلية لبصائرهم: الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة.

وإذ انتهت الندوة - التى استمرت على مدى ساعتين - سألتنى المذيعة القديرة: من يرحم عايده؟.

فأجبتها: يرحمها الله سبحانه وتعالى الذى كتب على نفسه الرحمة.. ويرحمها السيد المسيح. عيسى ابن مريم الذى قال لمن أرادوا أن يحصبوا «المرأة الخاطئة» بالحصى والحجارة فى محاولة منهم لقتلها فنهاهم نبي الله عن ذلك قائلاً: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر؟!.

ويرحمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى قال : «ارحموا من فى الأرض
يرحمكم من فى السماء».

فالرحمة شيمة الرحماء.. والرحمة شيمة الأقوياء الكرماء.

والرحمة صفة من صفات الرحمن الرحيم.



فرية صُبت في الآذان.. ومَجَّتْها الأذهان !؟ ..

وهذه الفرية تَجَمَّل في أن الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول قد ارتكب خطأ فادحا في موضوع مد امتياز شركة قناة السويس إبان عرضه على الجمعية التشريعية في مطلع القرن المنصرم عام ١٩١٠ إذ دافع سعد بحماس شديد عن المشروع ولكن «فوجئ بهزيمة ساحقة فقد وقفت الجمعية ضد المشروع ماعدا عضوا وحدا، والوزراء .. وكانت تلك هي أخطر هزيمة لزغلول».

هذا ما خطه الدكتور رفعت السعيد في كتابه «الليبرالية المصرية قائلًا»: إن أحد الباحثين قد ذكر ذلك وبالرجوع إلى مراجعه اتضح أن هذا الباحث الذي رجع إليه هو ALEXANDER, The Truth about Egypt. وهذا الباحث ليس بباحث ولو كان كذلك لتحرى الدقة التي تملئها عليه الأمانة العلمية. ثم عاد الدكتور مرة أخرى وقرر بمثل ذلك في كتابه عن ثورة ١٩١٩، ولو كلف الدكتور السعيد نفسه ببحث هذا الأمر في المراجع الدقيقة لما وقع في هذا الخطأ التاريخي، فما دونه يدحضه التاريخ.. فهذه الفرية بعيدة بعد السماء عن الأرض عن الحقيقة الثابتة التي لا يأتيتها الباطل من بين يديها أو خلفها.

ففي كتاب «مذكرات سعد زغلول» للباحث المدقق الأستاذ مصطفى النحاس جبر جاء في الصفحتي (٢٢٩ - ٢٣٠): «.. بات مشروع مد امتياز شركة قناة السويس يترنح أمام عوامل ثلاثة أساسية أولها المعارضة الوطنية الشديدة وثانيها المعارضة داخل الحكومة ورجلها (سعد زغلول) وكانت الحركة الجماهيرية أحد الأسباب القوية في مساندة موقف (سعد المعارض وشدته)».

ولقد سبق لأحد كبار كتاب مصر أن تردى في هذا الخطأ الذي وقع فيه «الدكتور السعيد»؛ ففي مجلة كان يترأس تحريرها في النصف الثاني من القرن الماضي سود الكاتب إحدى صحائفه بعنوان مثير: (تاريخنا مع القناة يتحرك) وقال عن سعد بمثل ما قيل فيه. فما كان منا، ومن آخرين، إلا أن استفسروا - كتابة - من الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن صحة هذا الأمر فكتب الأستاذ العقاد في يومياته بجريدة الأخبار بتاريخ ١٧/٩/١٩٥٦ تحت عنوان «سعد زغلول وقناة السويس» فقال:

عدت من الإسكندرية فوجدت فى بريدى رسائل كثيرة يسألنى أصحابها عن موقف سعد زغلول فى مسألة قناة السويس عن اقتراح الشركة مد أجل الامتياز بعد إنتهائه ، وبعض أصحاب هذه الرسائل يسألوننى عن هذا الموقف لعلمهم أننى قد ألقت كتابا ضخما فى الترجمة لسعد ، وأننى قد حضرت هذه المسألة يوم عرضها وكنت ممن رفضوا ذلك الاقتراح.

ولا أحب أن أطيل الشرح والتفصيل ، ولكنى أقول موجزا : إن سعدا لو ذهبت جميع أعماله وبقي منها عمله فى هذه المسألة لكان وحده كفيلا له بالمجد الذى تعنو له الرؤوس.

لقد عرضت الشركة اقتراحها بموافقة المعتمد البريطانى والمستشار المالى الإنجليزى فقبله أكثر الوزراء وعارضه سعد ورشدى ومحمد سعيد ، وعلم سعد أن المسألة ستنتهى بالموافقة على اقتراح الشركة إذا فصل فيها مجلس الوزراء ، فاتفق مع أصدقائه من أعضاء الجمعية العمومية على المطالبة بعرض المشروع عليها واعتبار رأيها فيه قاطعا لأول مرة فى أمثال هذا المشروع الذى لا يخلوها القانون النظامى رأيا قاطعا فيه .

ولما صرح سعد بهذا رأى فى مجلس الوزراء اشتراط رئيسه بطرس غالى أن يتولى سعد عرضه على الجمعية ليشرح وجهة النظر فيه ، وكان يظن أن سعدا يرفض هذا الشرط محافظة على سمعته فلم يبال سعد بالسمعة فى سبيل المصلحة القومية وقبل ما اشتراطه رئيس الوزراء .

إن هذه المعلومات مما يعرفه أنصار سعد وخصومه ، ولهذا لا نكتفى فيها بما نعرفه ونحيل القراء من بين الأسانيد الكثيرة إلى شرح المسألة كلها فى مذكرات أحمد شفيق باشا الذى طالما غمز سعدا وصرح بلومه فى المذكرات والحوليات .

جاء فى الصفحة الـ ١٨٦ من المجلد الثالث من المذكرات .. «وكان المستشار المالى يميل إلى الأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست وبترس باشا إلا أن رأى العام كان ضدها وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدى باشا ومحمد سعيد باشا» .

ثم قال شفيق باشا : «وردت لنا برقيات من محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا وأحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية» .

ولا يخفى على أحد أن هؤلاء الأعيان هم حزب سعد فى الجمعية العمومية أو الجمعية التشريعية أو الوفد المصرى عند تأليفه عقب الحرب العالمية الأولى .

ثم عاد شفيق باشا فى الصفحة الـ (٢٠٤) فقال : «وتقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ الرأى فيها على شرط أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة...». ولا يخفى أيضا معنى هذا الشرط.

فمعناه الواضح أن سعدا هو الذى يريد عرض المشروع على الجمعية وأنهم يشترطون عليه الشروط لقبول اقتراحه ، ولو كان موافقا للمشروع لما كان ثمة معنى للاشتراط عليه.

إن أناسا كثيرون لا يبالون بالمصلحة فى سبيل السمعة. أما أن يتعالى الرجل عن السمعة نفسها غيرة على مصلحة قومه فتلك منزلة من الرفعة لا يسمو إليها إلا من هو أهلها ، وأهلها فى هذه الدنيا قليلون ، بل جد قليلين.

هذا هو خلق سعد الذى ميزه الله به على أقرانه من القادة.. وتلك هى خلة سعد فى الشجاعة والوفاء ، والتي يَميز بها الزعماء المخلصين الخلاء فى الماضى ، أو فى الحاضر.. أو المستقبل على السواء.



فن البناء.. !

حبذا إشاعة الفن الجميل والذوق السليم فى الجماهير. فإن إذاعتهم كفيلة بأن تربي الشعب وتعلّى قدرنا فى نظر زائرنا من الشرق والغرب على السواء.

إن الفن التشكيلي من الفنون الراسخة عندنا وقد خلف فنانونا القدماء أثارا خالدة تنطق ببراعتنا الفائقة. وإذا كانت بلادنا قد عرفت هذا الفن قديما وقدرته حديثا ممثلا فى المستشار الفنان محمود سعيد الذى منحه الرئيس جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية. فإننا لم نستطع إلى الآن أن تستفيد مهمة من هذا الفن على النحو الذى دعت إليه هيئة اليونسكو فى مؤتمر للفنون والآداب عقدته منذ سنوات وأوصت فيه بوجوب تقرير الدول جميعا لنسبة مئوية من البناء، سواء كان ذلك فى المنشآت الخاصة أو العامة، تنقشها وزخرفتها تعميما للفائدة التى تعود على الشعوب من بعث روح الفن فى كيانها وحب الجمال فى وجدانها وتربية النفوس وتهذيبها.

وأخذت بعض الدول بهذا كإيطاليا وبولندا فتحولت مبانيها الباهتة إلى لوحات فنية رائعة زادت من بهائها صبغة الفن التشكيلي الباقية على الأيام.

وحبذا لو عمل المسئولون عندنا على العناية بذلك فى منشآتنا المعمارية تلك التى قال عنها يوما أحد علماء الفن: إنها تفتقر إلى النظام وإلى وحدة الشكل وإلى روح الفن التشكيلي.. وبذلك نبرز مواهبنا الفنية ونربي فى الشعب حاسة الذوق والجمال.



فنادق لإنعاش الريف

سئل المؤرخ الإنجليزي «أرنولد توينبي» عندما زار بلادنا أى مكان يحب أن يقضى فيه وقته فأجاب بأنه يفضل دائما الريف حيث الهدوء والجمال وأنه لذلك يكره العواصم الكبيرة.

والذى لا ريب فيه أن ريفنا المصرى من أجمل الأرياف وإبداعها. بقية غذاء للروح. ومتعة للقلب وما من إنسان زار بلادنا إلا وأسره ريفنا بفتنته الكامنة فيه. ونعمته المنثالة منه. وهما هو ذا ابن سعيد الأندلسى الذى زار بلدنا فى القرن الثالث عشر يتغنى بجمال الريف المصرى فما راعه شىء بعد جمال الأندلس مقدار ماراعه منظر القرى المصرية ذات البساط الأخضر الذى يغذى العين بنضرتة.

ماذا إذن لو بحث المسئولون فكرة إنشاء فنادق صغيرة فى الريف يدعى السياح للنزول فيها مع تنظيم رحلات دورية ثقافية لطلبة المدارس والجامعات لزيارة الريف والتعرف على قطعة عزيزة من قلب الوطن، وحسبنا ما فى ذلك من كسب أى كسب لإنعاش ريفنا، وبعث الحركة والحياة فى أوصال جسمه الساكن؟!.



فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب..

فى القرن العشرين ..

من المسلمات.. وأيضاً من البديهيّات - التى يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى. كما لو كنت تنظر إليها من سماء.. لا من أرض. ومن عجب أن السماء ذاتها. كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى. وهى فوقنا - فى كل مكان - يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية - لكى يروها - مع أشياء أخرى - فى هاتيك الأماكن فهى تبدو - للرأى حينئذ، أكثر صفاء، وأشد نقاء، وأبهى ضياء. وقد يكون مرد ذلك - فيما نرى - أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح - فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره، وينعم فكره فى قيمة - أى شىء - أن يبتعد عنه قليلاً - حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته بفحواه ومغزاه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد والذى جاء مولده فى مثل هذا اليوم عام ١٩٨٩ (فملاً الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية - آنذاك - إثر وفاته فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٦٤. كان الأستاذ العقاد ولا يزال. بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء.. بيد أنه أضحى اليوم، بعد أن بُعد عنا - كالسما البادية على صفحة مياه البحر المتراعى الأطراف تتسع رقعتها ويشف منظرها للرأى من بعيد فهى هو ذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض - تتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء.. ناهيك عن العلماء، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة تُدبج عنه الكتب، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوماً بعد يوم عن فكره. وأدبه، وعن شعره ونثره فى شتى مناحيه، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل (وطنى هو العالم). فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الألام بغير ثقافته الخاصة ليصح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة.

ومن هنا دبج قلمه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له مقدمة يقول فيها: «وبيت الكاتب، هو العالم بما رُحِب».

ألم يقرأ، ويقرأ حتى فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى بز أقرانه وفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم».

وانظروا إليه وزعيم الأمة سعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسيانه لمسألة خاصة بالسودان الشقيق: «لو عاتبني كل فرد فى الأمة عتابك، لما نجوت من العقاب». ويرد العقاد العظيم: «ولكن ليس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد».

والأستاذ الكبير العقاد ينطق عليه ما أرتأه المبرد فى البحتري عندما قال: «أبى الله إلا أن يكون عظيما فى جميع جوانبه».. فهو سيظل بين الناس دائما: «أبا العبقریات وعملاق الفكر العربى وشاعره المجيد الخالد وناقده الجبار والمثل غير المسبوق».

انظر إليه بعد خروجه من غياهب السجن فى ٨ يولييه سنة ١٩٣١ وهو يتوجه إلى ضريح الزعيم الراحل سعد زغلول وهو ينشد على قبره:

لبثت جنين السجن تسعة أشهر	وهأنذا فى ساحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى	وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما أقعدت لى ظلمة السجن عزيمة	فما كل ليل حين يغشاك مرقد
عداتى وصحى لا اختلاف عليهما	سيعهدنى فى كل كما كان يعهد

وصفه الزعيم سعد زغلول بأنه:

«أديب فحل له قلم جبار، ورجولة كاملة، ووطنية صادقة، واطلاع واسع، ما قرأت له بحثا أو رسالة فى جريدة أو مجلة ألا أعجبت به غاية الإعجاب، وهو لا يعالج موضوعا إلا أحاط به جملة وتفصيلا، إحاطة ليس بعدها زيادة لمستزيد: «وله أسلوب أدبى فريد...».

ومن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف به العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم.. وعالم فى ثوب أديب).. فهو على ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث.

يقول العقاد: الثقافة اليوم تنقسم إلى علمية وأدبية. بين (عالم) لا يعرف شيئا عن (هومبروس) و (فرجيل)، وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظام الأفلاك.

«وكلاهما نصف إنسان».. أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم . ولا يجهل الأدب ، أو يعرف الأدب . ولا يجهل العلم .. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسان فقل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان ، وإنما هو كما قال «نيتشه»: «أذن كبيرة أو لسان طويل ، تمشى به قدما؟»!

ومن هنا - جاءت عبقرية العقاد العلمية - التى فاق بها المتخصصين وبز بها المتعمقين فى مجال العلم نفسه.

فكان هو أول من صحح مقالة (داروين) التى شاعت وزاعت على ألسنة الخاصة قبل العامة والتى نسبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنها أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسب» وليس (للأصلح).. فإن الإنسان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم لنبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب الأحمر، فينبى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة - يريد أن «يُدْهشه» أو «يُعلمه» أن هناك عالين أحدهما يدعى (برسيغال) والثانى يسمى (لويل) قد قالا بهذا.. فيرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عالين، يدعى (برسيغال لويل)..؟ ثم يزيد أن ما أكده دكتور الفلك قد نفاه الثقافات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذبوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحيفة والإذاعية فى أوروبا وفى أمريكا؟! والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءته العلمية) على كشف أسباب وفاة امرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين، وجمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبي من المحدثين فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب.. وشخص بدقة متناهية أسباب وفاتهم.. وعلى غير ما دون عنهم - بشأن هذا - فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض.. فرفض أن يعالج خارج الديار ، (لأنه لا علاج له) مشخصا حالته المرضية بدقة بالغة حتى أن عالما طبيا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتبة الكبير أنيس منصور الذى كان أول وآخر من عاده فى مرضه الأخير: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه إلا واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين؟!.

وعندما مات العقاد - كتب الأستاذ أنيس منصور:
«لقد قضى العقاد الطبيب، على العقاد الأديب».. أعظم المفكرين العرب في القرن
العشرين.

وفى ذكرى يوم ميلاد العقاد العظيم، كاتب الوفد الأول، والأديب اللوزعى، والحبر
العلامة، نقول له: سوف يظل يوم ميلادك يوما خالدا في قلوب عارفي فضلك ومقدرى
علمك ومحبيك.. عبر تجدد الأجيال.. فى الحال وفى المآل.



من خواطر الشباب «حياة كالموت» «يحيهاها اللاجئون الفلسطينيون»

فى القرن الميلادى الثانى.. وفى عام ١٢٤ على وجه التحديد اجتاحت الجيوش الرومانية بيت المقدس وحولته إلى مستعمرة أطلق عليها الرومان اسم «إيليا كابيتولينا».. وأطلقوا على البلاد التى كانت تتاخمه حينذاك.. أى تتاخم بيت المقدس.. اسم «فلسطين».. وانمحت بذلك مملكة يهوذا اليهودية من خريطة الوجود..

وانبسط النفوذ الرومانى على تلك البقاع العربية التى كان يستوطنها بعض العرب المسيحيين ردحا من الزمن.. لاقى فيه اليهود الذين كانوا يجاورون العرب فى السكنى فى بعض جهات منها الذل والطغيان من الرومانيين الغزاة.. حتى أن الكثيرين منهم لم يجدوا بدا من الهجرة إلى مصر والعراق وبعض الأقطار الأوروبية فرارا وهربا، من جبروت الرومانيين وقسوتهم..

ولم يبق فى فلسطين وبيت المقدس إلا أقلية من اليهود تحملوا ما تحملوا من الرومان.. الذين صادروا ممتلكاتهم، وخربوا ديارهم، وأجبروهم على اعتناق المسيحية.. وحينما ارتفعت راية الإسلام.. دخلت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص فلسطين وبيت المقدس وطردت الرومان من تلك البلاد، التى أصبحت من ممتلكات الإمبراطورية الإسلامية..

ثم غزا الأتراك السلجوقيين أرض فلسطين واستولوا عليها.. ثم جاء الصليبيون فى أعقابهم.

وجاء صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧ وطردهم من فلسطين، وخلصها من عبوديتهم. وكان عهد صلاح الدين العهد الذهبى لليهود.. إذ سمح لهم بالهجرة إلى فلسطين فتدفق سبيل المهاجرين إليها من بلدان غرب أوروبا..

ثم بسط الأتراك نفوذهم على فلسطين مرة أخرى عام ١٥١٧ إلى أن طردهم منها محمد على عام ١٨٣٢.. ثم تدخلت الدول الأوروبية فى أخريات القرن التاسع عشر.. وأعادت فلسطين إلى الحكم التركى العثمانى.

واندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فانضمت تركيا إلى الألمان ضد الإنجليز وحلفائهم، فحارب الإنجليز الأتراك. وانتزعوا فلسطين من أيديهم على يد اللورد «النبى».. الذى دخلها غازيا فى ٨ ديسمبر ١٩١٧.

وكان دخول اللبى فلسطين بداية لمؤامرة عالمية دبرها الاستعمار الإنجليزى ضد الشرق العربى لإنشاء وطن قومى لليهود المشتتين فى الآفاق، فى أرض فلسطين العربية!! لتحطيم شوكة العرب، وتمزيق وحدة بلادهم. وأصابتهم بالسرطان اليهودى فى موضع الإحساس المرهف من جسم أمتهم، ألا وهو فلسطين. وذلك لأن الاستعمار رأى فى العرب قوة جديدة تهدده.. وتهدد وجوده وكيانه.

ثم كان الدافع الأكبر على ذلك أيضا، وهو التعصب الغربى المسيحى ضد المسلمين والمسيحيين الشرقيين على السواء، فعندما دخل اللورد اللبى فلسطين فى اليوم الذى ذكرناه آنفا ٨ ديسمبر ١٩١٧ رشق بسهمه قبر صلاح الدين الأيوبى، قائلا: «اليوم قد انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين!!!».

وهى عبارة تكشف عن الحقد المضطرم فى قلب القائد الإنجليزى الصليبي ضد العرب والمسلمين «فلم ير اللبى يومئذ فى فتح فلسطين انتصارا على الألمان. ولا على العثمانيين أعداء بلاده، ولكنه رآه انتصارا على العرب والمسلمين الذين غلبت آباؤهم أجداده فى حرب باغية دارت رحاها باسم الصليب فى تلك الأرض المقدسة منذ قرون»!

وهذا القائد الإنجليزى يمثل عقلية الغرب المستعمر من إنجلترا وفرنسا وأمريكا الذين يفهمون من كلمة الصليب البطش بالعرب مسلمين ومسيحيين لتكون الغلبة لهم دائما على أهل الشرق جميعه!.

لذلك فعندما بدأت الاضطهادات تأخذ شكلها الجدى ضد اليهود فى روسيا ورومانيا والنمسا وألمانيا، وتكونت على إثر ذلك جميعات «عشاق صهيون» التى قادها ونشر رسالتها «هرتزل» الصهيونى والتى كانت تهدف إلى زرع وطن قومى لليهود فى فلسطين أو أرض الميعاد كما كان يطلق عليها غلاة اليهود رأى الاستعمار الفرصة سانحة لكى يضرب ضربته ضد العرب، فكان وعد بلفور عام ١٩١٧، «الذى كان بداية المؤامرة».

ثم كان يوم تقرير المصير، ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٧، وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تبحث مشروع تقسيم فلسطين بين أصحابها وبين اليهود الذين نقلتهم الحركة الاستعمارية اليهودية إليها.

ووقف رئيس وفد الفلبين «الجنرال كارولوى رومولو» فى الجمعية العامة للأمم المتحدة يجأراً قائلاً: «إن حق كل شعب فى أن يقرر مستقبله السياسى بنفسه، وفى أن يحتفظ بوحدة أراضى وطنه حق أساسى لا شك فيه، ولا يقبل النقض، لذلك فإننا لا نستطيع أن نصدق أن الأمم المتحدة يمكن أن توافق على حل لمشكلة فلسطين يخالف هذا المبدأ. أو أنها يمكن أن تقودنا إلى طريق المبادئ الخطرة القائمة على التمييز العنصرى، أو نظام الحكومات الدينية المنقرضة».

هذا ما قالته الفلبين على لسان رئيس وفدنا، ولكن الفلبين التى عارضت التقسيم بكل هذه القوة والحرارة، عادت وأعطت صوتها لمشروع التقسيم بعد ذلك: بيومين اثنين فقط!! . ولم تكن الفلبين هى الدولة الوحيدة التى هاجمت مشروع التقسيم، ثم عادت فوافقت عليه، فقد عارضت هايتى وسيبيريا وليبيريا ودول أخرى عديدة مشروع التقسيم، وهاجمته وفودها بشدة كاشفة الظلم القادح، والأخطار الجسيمة التى تهدد الإنسانية بتنفيذ هذا المشروع، أو الموافقة عليه..

وفى جلسة الاقتراع حدثت الفضيحة! تراجعت هذه الدول جميعاً وغيرها عن موقفها السابق والذى لم يتراجع منها امتنع عن التصويت، وكانت أعظم فضيحة شهدتها المجتمع الدولى فى التاريخ الحديث!!..

وكان السروءاء تراجع هاتيك الدول عن موقفها السابق إزاء مشروع التقسيم الولايات المتحدة الأمريكية.. زعيمة العالم الحر! فقد استخدمت نفوذها الضخم فى الضغط على هذه الدول لتغير موقفها لأنها هى وحليفتيها بريطانيا وفرنسا كانوا مصممين على إنشاء وطن قومى لليهود، ولو على أشلاء أصحابها الأصليين، ولو على أنقاض ميثاق الإنسان وسائر القوانين والمواثيق الدولية، ولو على حساب شرف بعض الدول وكرامتها!!..

وكان نهاية المؤامرة!، وأصدرت الأمم المتحدة قرارها المشؤم الذى كان سبة فى تاريخ الإنسانية! القرار الذى حكم على فلسطين العربية بالموت والعناء والعذاب والتشريد.

القرار الذى عاد بالإنسانية إلى عصور الهمجية، ولعب فيه الغش والخديعة والطمع والخيانة دوراً كبيراً، وصدر فى ساعة طيش ونزق من أناس لا يمتنون إلى الإنسانية بصلة ولا ضمائر لهم، ولا هم لهم إلا التمتع على حساب الغير!.

القرار إلى فرح له الظلم وجذل.. وبكى عليه الحق وحزن..!

القرار الذى حكم على مليون لاجئ عربى بالتمزق والتشتت من أجل حفنة من اليهود كانت مشردة فى الآفاق، واليوم يعيش فى الصحراء فى العراء! فوق الأرض، وتحت الثرى! مليون لاجئ فلسطينى هم ضحية من ضحايا الإنسانية! وقربان من قربان الحرية!.. يعيشون بدون مأوى.

فقد كان لهم وطن، فأصبحوا بلا وطن، ويعيشون فى حرية ففقدوا حريتهم!. كانت لهم كرامة، فديست كرامتهم!.

كانت لهم منازل وبيوت، فأصبحوا يبيتون فى العراء الأرض فراشهم.. والسما غطائهم!!.

كانت السعادة ترفرف عليهم بجناحيها ناشرة المحبة والسلام والطمأنينة بين قلوبهم، فأمسى البؤس والشقاء يخيم عليهم بعد ما طردوا من ديارهم وشردوا فى الآفاق.

وهناك حيث لا تسمع إلا عواء الذئاب، وفحيح الأفاعى!. وحيث لا ترى إلا صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ضرع!، ولا حياة فيها ولا نماء!.. حيث الصمت المطبق، والسكون العميق الذى لا يقطعه إلا صرخات طفل جائع، أو زفرات أم ثكلى، أو أنات شيخ فان.. هناك وعلى مدى البصر يمكنك أن ترى اللاجئين آلافًا من الأكوام البشرية مكدسة بعضها فوق بعض!..

طفولة بريئة حلوة تفتح عيونها أو ما تفتح على الهم والحزن، وتتحمل أجسامهم وأجسامهم الغضة الهون والعذاب!.

أمومة معذبة تتحمل ما تتحمل فى سبيل تربية زهور يانعة، ومحاولة إثمارها فى أرض جدية!.

أبوة تلسة شقية وهى ترى فلذات أكبادها تنصهر فى بوتقة مؤلمة من الجحيم ولا تستطيع لها ضرا ولا نفعا!..

شباب مكدود ليس له إلا الحزن والتحسر، الحزن على غده الضائع، والتحسر على مستقبله المفقود!.

شبية فانية كانت تنتظر الراحة والأمان، فلم تجد إلا التشريد بلا كساء أو غذاء أو دواء!.. أكواخ ومنازل من بقايا صوف أو قماش تقع تحت رحمة الطبيعة القاسية، والريح الصرصر العاتية، وهى هنا «كالريشة التى حيثما تسيروها الريح تسيروها»!..

وقصص مؤلة مثيرة عن حياة اللاجئيين!.

فهذه أم وطفلها.. فى ليلة من ليالى الشتاء القارس البارد هما فيها المطر بشدة حتى غطى الأرض ببحر من المياه عباب.. فخافت الأم على وليدها الصغير الذى بدأ الكرى يتسلل إلى عينيه، وبدأت تبحث عن مكان تضجعه فيه، ولكن أنى لها؟، فقد غمرت المياه كل ركن من أركان الأرض؟، واهتدت الأم إلى وسيلة ظنت المسكينة أنها بها ستدفع الأذى عن ابنها. نامت هى على الأرض بظهرها فوق المياه.. وحملت طفلها على بطنها.. لتمنع عنه شر المياه الباردة القاتلة التى ينوء بها جسمه الصغير.

وطلع الصباح، وكان الاثنان الأم، والطفل جئتين هامدتين، قتلتهما البرد والصقيع!.

هذا مثل بسيط من حياة اللاجئيين!، حيث الفقر والجوع، والعذاب والحرمان، وحيث المفازة المهلكة التى يحيا فيها اللاجئون.

حيث الطبيعة القاسية التى قهرتهم.. وعبست فى وجوههم..

حيث الحرارة اللافحة المحرقة فى الصيف، وزمهرير المطر، وومض البرق، وزئير الرعد فى الشتاء!.

حيث لا يجد اللاجئون السدف التى يسترون بها أجسامهم!.

حيث لا يجد اللاجئون غير الماء القراح حساء لهم!.

حيث تتساقط الأرواح كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف!..

حيث يحفر كل لاجئ لنفسه قبراً يثويه بجانب القبر الذى يعيش فيه!..!

حيث يردد اللاجئون كل يوم قول «داود النبى»:

«إلى متى يارب تنسانى كل النسيان..

إلى متى تحجب وجهك عنى..

إلى متى اجعل هموما فى نفسى وحزنا فى قلبى كل يوم.

إلى متى يرتفع عدوى على.

إلى متى يارب؟!..».

أنين مفجع حزين، وأمل ورجاء، من خلال هذه الحياة المؤلة التى يحياها اللاجئون.

الحياة الشبيهة بالموت.. والحياة التى تشنأها النفوس وتأبأها..

من خلال ذلك الجرح الدامى الذى لن يندمل فى قلوب جميعا إلا بعودة اللاجئين إلى
إلى أرضهم ووطنهم.
ولنتذكر جميعا قول «اللورد بيرون» اليهودى الذى كان يتغنى به :
«إن للحمامة البيضاء عشا صغيرا ، وللتعلب وكرا ، ولكل إنسان وطنه ، إلا اليهود..
فلهم القبور!».



من خواطر الشباب .. من وحى القرية

إنها صورة أحببتها .. وكلفت بها ..!
إنها صورة همت بها .. وددت من كل قلبي وجوارحي لو أنها معى دائما وأتأملها ،
وأرشف منها قطرات الأمل والسعادة .. السعادة التى لطائنا وهبتها لى تلك الصورة الحبيبة
الجميلة .. !

وأتمتع بما كنت دائما ومازلت أجده فيها من حب وطمأنينة .. وهدوء وسكينة .. !
بعيدا عن هذا العالم الصاخب .
بعيدا عن هذا العالم المضطرب .
بعيدا عن هذا العالم المجنون .
بعيدا عن هذا العالم الحزين .
بعيدا عن هذا العالم الكئيب .
بعيدا عن هذا العالم الذى داس على مقدسات الحياة فامتحن الكرامة .. وباع الشرف ..
وعزب الحرية .. وشوه الجمال .. وعيث بالحب .. وعصف بالسلام .. !
وفى هذا العالم رأيته ثانية .. ! رأيت الصورة الحبيبة .. ! بعد فراق دام خمس
سنوات .. !

أى والله - يا أخى - خمس سنوات .. كانت عندى وكأنها خمسة قرون .. ! نعم خمسة
قرون .. ! فلم اعتد أبدا أن أغيب عنها أو تغيب هى عنى مثل هذه الغيبة الطويلة ..
مامن فرصة سنحت لى إلا وهرعت إليها .. أبث لها غرامى ، وتبث لى هى الأخرى
غرامها .. ! كانت دائما حلوة ساحرة .. كانت دائما مبتسمة ضاحكة رائعة مثيرة .. مثيرة
بفتنتها .. وطبيعتها الخلابة .. وأرضها الفيحاء الواسعة .. وهدوئها المستقر ، وسكونها
العميق .

مثيرة بشمسها الساطعة .. وأضوائها المشرقة الضاحكة .
مثيرة بمياهها .. بأشجارها .. برياضها وطيورها .. قضيت فيها أيام الطفولة الحلوة حيث
المرح البرى ، وحيث التمتع بالحياة الرخية الهادئة ، وحيث الابتسامات والضحكات
العالية التى كانت تخرج من القلوب معبرة عن ابتهاجنا وفرحتنا وصبورنا ..

كنا نقطن آنذاك فى الإسكندرية.. وكانت أسرتى كلها تبقى فيها إلا أنا فكنت أطيّر إليها أقصى فيها ردا من الزمن وبعضا من الوقت.. كان هو أحلى أيام حياتى.. وغبت عنها طويلا.. ثم رأيتها هذا العام.. رأيت «قريتنا» الحبيبة.. وكان ذلك فى شهر سبتمبر.

وشهر سبتمبر من أجمل شهور السنة عندى، وهو كذلك من أجمل شهور السنة فى الريف المصرى عامة.. ففيه تتفتح عيدان القطن الأخضر عن الذهب الأبيض.. وفيه تتوهج الحقول.. وتتوهج معها الآمال.. وفيه يصحو الريف من ركود الصيف الطويل.. وأيامه الثقيلة المملة.. وفيه يبدأ الحصاد.. ويبدأ معه المال يتدفق فى جيوب الفلاحين بعد مجهود جهيد.. وكفاح وكدح دام طويلا.

وفيه السهر والسمر، والنكات التى يتندر بها الفلاحون بين الآونة والأخرى. وتأملت القرية التى غبت عنها طويلا.. وتأملت الريف الذى حرمت منه زمنا كان كثيرا.. تأملت القرية.. وتأملت الريف والسعادة ترقص فى قلبى، والدموع تترقق فى عينى. هذه هى قريتنا الجميلة التى قضيت فيها أياما حلوة هنيئة.. هذا هو ريفنا الذى تمتعت به وبمناظره وسحره ودلاله!.. هذه هى الحقول التى كنت أفرح بين ربوعها.. مع لداتى وقرنائى..

من هذا الحقل كنا «نأخذ» الخيار ونأكله!.. ومن هذا الحقل كنا نقتلع أعواد القصب!.. وهذا الحقل، هو حقل الخوخ الذى طالما ملأنا جيوبنا منه مع استنكار عم إبراهيم وصيحاته، ومطارده لنا!.. فالأرض أرضنا ولكنه لا يعلم.. وهذا الجامع.. جامع «سيدى المرشدى».. الجامع الأشهر فنشعر فيه بذاتنا وبأننا قد كبرنا وصرنا رجالا، ووجب علينا أن نؤدى فرائض الصلاة كما يؤديها الكبار!.. وهذه التربة، هى نفسها التربة التى طالما «قهرتها»!، بذراعى الصغيرين سابحا، مع تحذير والدى لى بعدم النزول فيه حتى لا أصاب بالأمراض..

وهذا هو السوق.. سوق القرية الصغير الذى كنا نلعب فيه دائما لعبة «استغماية» فرحيق مبتهجين.. «والدوار» العتيق بيت الباشا.. الذى طالما «والسرب الضيق» الذى مازال ضيقا، صحنى والدى إليه وعرفنى بكبار الشخصيات.

وشجرة الجميز.. ها هي.. يا الله!.. لقد كبرت ونمت نموا كبيرا.. وأصبحت دوحة ضخمة فارعة.. لقد خطت اسمي عليها منذ سنوات.. أتراه كما هو؟.. أترى الأيام لم تمحه؟.. لا إنه قد زال ولم يبق له أثر..!

وذاك هو قصر «بهي الدين باشا».. القصر العتيق الذي بناه الباشا ولم يستكمله.. إنه كما هو، ولكنه حزين لقد فقد السعادة التي كنا نعيشها بين حجراته ورداته بمرحنا ولهونا والبشر الذي كان يعلو وجوهنا!!..

هنا كنا نجرى ونضحك بأصوات عالية كانت تتردد بين جنبات القصر فتعيد إلينا الصدى قويا.. الصدى الذي كثيرا ما خفنا منه، وظنناه صوت طاغوت أو شيطان!!.. والمقهى الذي كنت أسهر فيه مع صحبتى المختارة أستمع إلى «الشيخ محمد الحرصاني» وهو يضرب لنا على الربابة، ويقص علينا قصته المشوقة.. قصة «أبو زيد الهلالي»!!.. «والمُنشَر» الواسع الذي لعبنا فيه الكرة كثيرا لقد امتلأ بالأكواخ، والساكن.. إنها زحمة الحياة، وهذا جمع من الفلاحين ذاهب إلى حقله.. وجمع آخر قادم من أرضه بعد سهر مضمّن طويل..

وذلك جمع آخر من الصبية والفتيات يجمعون القطن في حيوية ونشاط يتغنون بأغانيهم وأهازيجهم المحببة التي تبعث فيهم العزم، وتنسيهم تعب اليوم ومشقته. وذلك آخر يعمل على رى الأرز وتحويل الماء إليه من الجدول.. وتغرب الشمس.. ويشرق القمر وكأنه سر وسحر يتسلل بين الأوراق والأغصان ويرسم على الأرض الندية ظلالا من النور والخير والجمال..

وهؤلاء هم العائدون من الرجال والنساء والصبية والبنات من كدح النهار، حيث أتموا عملهم وأنجزوا مشاغلهم. ولكن أنظر!.. انظر إلى وجوههم لا يبدو عليها التعب، بل إشراق وآمال، وأمان وأحلام البسمة الحلوة، في وجوههم، والأغنية الرقيقة على أفواههم إنهم يرضون بالقليل.. ويحمدون ربهم أن منحهم هذا الخير العميم الوفير.. الحمد لله.. الحمد لله إنهم يقبلون أيديهم شكرا لله وحمدا له، ولا يطلبون منه سوى الستر وأن يديم عليهم نعمته، ويسبغ عليهم رحمته..

ويؤيئون إلى بيوتهم يقصد كل منهم على الآخر ما حدث له في يومه، أو ما جد على القرية من جديد، أو ينبشون في خبر قديم يثيرونه ويتلهون به..!

شمل مكتمل.. وقلب ممتلئ.. وسعادة تطفو على الوجود..
وأخذت الأيام تجرى.. أيام سبتمبر الجميلة الرائعة.. حتى اقترب على الرحيل ..
ومضى سبتمبر.. مضى كأجمل ما يكون - بين طبيعة ساحرة وأخوة أحباء وأصدقاء
خلصاء، وأناس ينشرون الأمن والحب والسعادة بينهم.. وذكريات فيها الأمل والحياة.
مضى سبتمبر الشهر الساحر الجميل..
مضى سبتمبر الشهر الفاتق الحبيب..
مضى سبتمبر بسره وسمره ولياليه..
مضى سبتمبر جامع الشمل، ومفرقه!..
بالقسوة الأيام!.. إنها لا تعطيك كل ما تطلب أو تتمنى..
يا لقسوة الزمن هو الآخر!.. إنه لا يتركنا نعيش فى سلام، لا يتركنا فنعم بأيامنا
التي لها عقبها وأريجها.. ونستعيد ذكرياتنا الأثيرة لدينا، لا بد وأن يفرق بيننا كما فرق
بالأمس.. يا إلهي!.. عما قريب سأترك الطبيعة الساحرة .. سأترك الأرض الطيبة..
سأترك جنة الله فى أرضه!.. وإلى أين.. إلى المدينة بريائها ونفاقها.. إلى المدينة بمظاهرها
الخداعة.. إلى المدينة حيث التشاحن والتباغض وكره الإنسان لأخيه الإنسان..
وكلما شعرت بذلك أزداد ألمي.. وأزددت تعلقا بالريف وتشبثا به..
ولكن أصبح الأمر واقعا، وجاء وقت الرحيل!.. وانتزعت قدمي من هذا الثرى العزيز
وكأنى أنتزع نفسى وسارت بنا السيارة مسرعة تنهب الأرض نهبا، وكأنها تزيد أن تبعدنى
عن هذه الصورة.. صورة قريتنا.. بدون أن يودع كل منا الآخر!..
ومرت أمامى مشارف القرية بأشجارها الضخمة الطويلة التي ضربت أعمارها فى الزمن
البعيد، وكأنها حراس الله فى أرض وقفت لتحرس القرية من كيد الكائدين.
رويدا وريدا أخذت الصورة تختفى مسرعة من أمام ناظرى، وكأنها كانت سرابا لا تمت
إلى الحقيقة بصلة.. وبعدت مرة أخرى عنها.. عن القرية الوادعة.. ذات الحقول اللينة،
والقلوب القانعة.. والنفوس الوادعة، والضماير الحية النقية..
وتركت القرية وكأنى قد تركت قطعة من ذوب الفؤاد!.. والآن لقد تفرق الشمل..
وأصبحت فى المدينة الكبيرة.. فى القاهرة بضواحيها المتباينة، وسكانها وسياراتها
وضوضائها والسابلة التي يزرعون طرقها آناء الليل وأطراف النهار..

وأحسست بالدموع تنهمر من مقلتي! .. إنها دموع الفراق.. دموع الوفاء..
دموع الوداع! ..

ولكن! .. لماذا لا أحب القاهرة كما أحب الريف؟ .. لماذا لا تستهويني صورة القاهرة كما
تستهويني صورة قريتنا؟ ..

إن القاهرة هي عروس مصر! .. جميلة واسعة بها الملذات التي يتمناها الإنسان
ولا يتمناها! ..

بها الملذات المحرمة والمحللة! ..

بها الملاحى ودور السينما.. بها المسارح والأندية بها العجائب والمعجبات! ..

بها ما يعزى المرء ويغويه! .. بها كل ما يتمناه الشباب! ..

ولكن لا! .. إن الحياة ليست فى الجمال فقط..

وليست فى المتع! .. وليست فى الملذات! ..

ولكنها فى نقاء السريرة.. فى حب الناس بعضهم لبعض.. فى الإخلاص.. فى الوفاء..

فى القناعة.. فى الرضى بما قسمه الله.. فى الصبر.. فى الهدوء.. فى السكينة والسلام..

وكل هذه أشياء موجودة فى الريف.. موجودة فى قريتنا بل هى قطعة منها.. ولكنها

غائبة فى القاهرة، أو هكذا يبدو لى! ..

ففى القاهرة لا تجد غير الرياء.. غير النفاق، غير كره الإنسان لأخيه الإنسان..

غير الحق.. غير الضوضاء المزعجة حيث الحياة الصاخبة! .. حيث التحضر والمدنية

الزائفة التى عصفت بالناس، وأعمت قلوبهم وضلت بهم عن طريق الهداية! ..

لذا فأنا أحب الريف.. أحب قريتى الصغيرة.. حيث السكينة والهدوء..

حيث الطبيعة بنقاؤها ورونتها الإخاء..

حيث الإنسان النقى التقى الذى لم يدنس بعد..

حيث الحب.. الحب الذى ذهب اليوم من الوجود.. أو كاد..

حيث الإخلاص فى أجل الصورة.. والوفاء فى أجمل مظاهرة..

حيث السلام هادئ آمن مستقر.. لا يخاف! ..

لماذا لا تكون القاهرة كقريتنا؟! ..

بل لماذا لا يكون العالم كله كقريتنا؟! ..

لماذا لا يكون مسالماً يرفرف فيه الحب.. ويتغنى فيه السلام؟!..
لماذا لا يكون وديعاً مستقراً هادئاً ينعم بالراحة والهدوء؟!..
لماذا لا يكون تجار الحروب كفلاًحى قريننا قلوبهم زكية وضماثرهم نقية؟!..
لماذا لا يكون فيه اخلاص وحب ووفاء.. بدلاً من الكراهية والحدق والشر والدهاء؟!..
لماذا لا يكون ميتسماً سعيداً هنيئاً؟!..
بدلاً من هذه القلاقل والاضطرابات..
بدلاً من هذه المآسى والدموع والآهات..
بدلاً من ذاك الحزن.. وذلك الألم؟!..
كلما تذكرت صورة قريننا، كلما لاح فى خواطرى كل هذه الاستفسارات.. بل
الأمنيات..
وكلما تذكرت الحقول الخضراء الممتدة على مرمى البصر تشهد على قوة الخالق وعظمته..
وتشير إلى دلائل حكمته..
وكلما تذكرت أشجار التوت والجميز، وتلك الحمائل الخضراء التى تتشابك فروعها فى
أشكال لولبية، وكأنها تتهامس وتتصافح..
وكلما تذكرت صورة الفلاحين والرضى على وجوههم.. والأمل فى عيونهم.. والسعادة
تترقق فى قلوبهم، وهم يعملون ويكدون ويكدحون..
كلما تذكرت تلك الحياة الهادئة.. والجو الصافى الذى لا يعكره ولا يقطع سكونه غير
صوت المؤذن يصيح كلما آن وقت الصلاة.. الله أكبر.. الله أكبر.. يُذكر من يخشى، ويُشجع
العامل، ويُنبه الغافل.. ويُعظ الظالم، ويُنصف المظلوم..
كلما تذكرت الطبيعة الضاحكة المبتسمة، التى يشبع فيها المرح والسرور.. ويشرق منها
الأمل الياسم والوضاء..
كلما تذكرت كل ذلك.. أيقنت أنه لن يكون هناك إلا سلام.. سلام دائم.. يزيدنى أملاً
فى المستقبل وحباً فى الحياة!..
لن تكون هناك حرب.. لن تراق بعد ذلك دماء.. لن تزهق أرواح أبرياء.. لن تتكرر
هيروشيما ونجازاكى ثانية، لن يصطفى العالم بعد ذلك بحرب فانية!..
إن تلك الملايين من الجنيهات التى تصرف كل يوم على أدوات الحرب، ومعداته
نستطيع أن تفعل المعجزات.. نستطيع أن تحول الصحراء إلى جنة فيحاء..

تستطيع أن تقضى على الأمراض الفتاكة التى تهدد الإنسان بالفناء.
نستطيع أن تحول الأكواخ إلى قصور..
تستطيع أن تبني وأن تشيده وأن تجعل الإنسان يعيش مرفها يرفل فى حلل السعادة
والحبور.. وسيجئ اليوم الذى يحدث فيه هذا، إنه قريب وليس بعيد.. سيجئ اليوم الذى
أرى فيه العالم صورة جميلة رائعة كما أرى صورة قريتي!..
سيجئ اليوم الذى يهدأ فيه الأمن.. ويستقر السلام.. السلام الذى سيذهب عن البشرية
القلق الذى تحيا فيه.. ويقضى لهم على شبح الحرب المخيف..
السلام الذى سيجعل من تجارة الحرب تجارة كاسدة وسيحطم أسلحة الموت والدمار.
التى أعرف أن النبوءة أكبر منى، ولازلت أذكر قصة «اللورد بيفربروك» التى ترجمها
كاتب أديب.. لقد تنبأ مثلى فى عام ١٩٣٩ بأن الحرب لن تقوم ونشر فى جريدته الديلى
اكسبريس مانشت ضخم يقول: «لن تقوم الحرب»..
وبعد بضعة أشهر من تلك النبوءة قامت الحرب.. ومع أنه قد مضى على هذا المانشيت
ثمانية عشر عاما فلا يزال الشعب الإنجليزى يذكره ويعير به صاحبه.. «يفربروك» فى كل
مناسبة حتى أنه أخرجت رواية إنجليزية أخيرا عن الحرب.. حرص المخرج الإنجليزى
فيها بعد أن عرض على الشاشة منظر قتل الملايين وتدمير المدن ونسف بواخر الركاب..
حرص على أن يصور بين مناظر الغرقى جريدة الديلى إكسبريس وهى تطفو على سطح
البحر وكتب عليها المانشيت الذى يقول.. لن تقوم الحرب!..
ولكننى يا أخى مع ذلك أو من وأبشرك بأن الحرب لن تقوم..
إننى لست وحدى الذى أو من أو أتنبأ بذلك.. هناك غيرى كثيرون اهتموا وآمنوا
بذلك.. ومن هؤلاء كاتب أمريكى يدعى «الدوق هوج».. آمن بأن الحرب لن تقوم.. وأن
السلام هو الذى سيكون على الأرض فكتب مقالا من نسج خياله، ومن بنات أفكاره أسماه
«التمرد العلمى الكبير».. وجعل حوادثه تجرى بعد ١٠ سنوات.. قال فيه: «نحن الآن فى
عام ١٩٦٧، والدول التى تملك سر صنع القنبلة الهيدروجينية أصبح عددها سبعا وهى:
اليابان وألمانيا الغربية والسويد، والصين الشعبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية
وبريطانيا وروسيا.. وقد نجح الروس والأمريكان فى إقامة محطات الفضاء، وأصبح فى
إمكان كل منها بمجرد الضغط على زر أو أزرار.. أن تطلق فى الفضاء قذائف هيدروجينية

من محطتها المقامة فى الفضاء تدمر غريمتها على وجه الأرض تدميرا تاما.. أى أن الغناء الشامل أصبح فى مقدور كل منها.. وهو فناء تام لا توجد ضده أية وسيلة من وسائل الدفاع.

واستطرد الكاتب الأمريكى يقول: ولهذا السبب وبمناسبة الذكرى العاشرة لانعقاد مؤتمر بوجواش (يوليه ١٩٦٧) قرر علماء العالم أن يعقدوا مؤتمرا دوليا يعمل على وجوب «إنقاذ البشر.. ونسل آدم وحواء»، وعقد المؤتمر فعلا.. ولقد وافق المؤتمر بالإجماع على أن ولاءهم يجب أن يكون الآن للبشرية لا لأية حكومة أو لأية دولة.. ومضى الأمريكى قائلا:

وهكذا انطلقت الشرارة الأولى فى «التمرد العلمى الكبير» الذى وقع ١٩٦٧.. وعبر المحيطات والقارات.. وفى كافة الدول.. أضرب العلماء والمهندسون عن صنع الأسلحة الذرية من أى نوع كانت ثم راحوا يدمرون ويغرقون المخزون منها فى أعماق اليم، والذى مازال فى مراحل الإعداد.

وأصبح العالم ذات يوم، وقد خلا من كافة أنواع الأسلحة.. اللهم إلا من البنادق العتيقة والمتاجر.. (ونجا العالم والبشرية من الفناء.. واستقر السلام على وجه هذه الأرض). هذا ما كتبه الكاتب الأمريكى.. فى مقاله، قد تسخر منه، وقد تسخر منى أيضا، ولكنها الحقيقة يا أخى! فلن تكون هناك حرب.. وسيستتب السلام على وجه الأرض مهما كره الكارهون.

فاعمل يا أخى.. بجد وإخلاص ولا تخف.. أبدا من الغد فإنه بالرغم من السحب الداكنة السوداء التى تتجمع فى الجو.. فهو غد مشرق وضاء..

ثق فى نفسك.. واعمل اليوم لتجنى غدا.. اعمل لبناء مستقبلك.. فقد سألوا مرة العالم الإنجليزى «شالز كاترنج».. فقالوا له: لماذا تتحدث كثيرا عن المستقبل. فرد عليهم قائلا: «لأننى سأقضى بقية حياتى فيه»..؟

شكرا لك أيتها الصورة الجميلة..

شكرا لك يا قريتنا الوديدة الحبيبة.

فمنك استمددت الأمل.. فأثرت به الطريق لنفسى.. ولعلنى أثرت به الطريق لغيرى!..



منية المرشد.. القرية.. التى لها تاريخ ؟!..

ولدت بقرية منية المرشد مركز مطوبس «فوه سابقاً» وترعرعت بين جنباتها وكنت أجوس وأنا مازلت غرض الإهاب بين أروقته أتنسم فيها الهواء العليل والنسيم البليل جذلاً فرحاً مسروراً، أترك مدينة الإسكندرية حيث كان والدى يعمل قاضياً، نازحاً منها إليها فى إجازاتى الدراسية، وفى الأعياد والمناسبات الدينية حيث مقر أسرة والدى ووالدتى عليها رحمة الله.

هذه القرية التى أنجبت لمصر بعض زعمائها وقادتها الأجلاء منهم:

١ - فتحى الله باشا بركات: وكان عمدة لها ولم يرتض بالعمدية فارتقى إلى عضو الجمعية العمومية عام ١٩١٤ عن طريق الانتخاب العام، وأنعم عليه برتبة الباشوية عقب زيارة اللورد «كتشنر» له، بمنية المرشد عام ١٩١٧.

وتقدم صفوف الثائرين مع خاله «سعد زغلول» عام ١٩١٩ واشترك فى تأليف الوفد المصرى، حتى أصبح وكيلاً له، وكان أول من نادى بعدم منح الرتب والنياشين لأعضاء الهيئة النيابية، وقد نفاه الإنجليز إلى جزيرة «سيشل» مع سعد زغلول وعاطف بركات ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت حنا. وذلك بأمر السلطات البريطانية عام ١٩٢١، وأفرج عنهم عام ١٩٢٣م، تولى منصب وزير الزراعة ثلاث مرات، كما تولى وزارة الداخلية، وكان له الفضل الأول فى نشر الجمعيات التعاونية الزراعية والاستهلاكية، وقد توفى عام ١٩٣٣.

- وقد كانت منية المرشد فى عهده مهبط زيارات العظماء من رجال السياسة.. فقد زارها من أعضاء الوفد المصرى «حمد الباسل، ومصطفى النحاس، ونجيب الغرابلى، وعثمان محرم، وحمدي سيف النصر»، وذلك بمناسبة العودة من «سيشل».. وأقيم بهذه المناسبة احتفال كبير بالسراى أو «الدوار» كما أقام الحاج أحمد الفتيانى صواناً كبيراً أما منزله بجوار مسجد «سيدي فتح»، ودعا إليه «الشيخ البواب» من قرية فوه لقراءة القرآن الكريم، وإنشاد الأغاني ابتهاجاً بالعودة من سيشل.

٢ - محمد عاطف بركات باشا: ولد بالقرية عام ١٨٧٢ وتعلم فى كتاب الشيخ أبو العينين سلام بالقرية، وفى سن ١١ أرسله والده إلى القاهرة فتعلم بمدرسة الجمالية

الابتدائية وكان معه فتحى زغلول وعبد الرحمن زغلول، وكان أصغر منهما سنا، وأقام مع خاله سعد زغلول بمنزله بعابدين ثم واصل تعليمه فى الأزهر الشريف والتحق بدار العلوم، وتخرج فيها وعمل بالتدريس .. ثم سافر فى بعثة حكومية إلى إنجلترا عام ١٨٩٦ وعاد للعمل فى مصر.. ووصل فى الوظائف إلى ناظر مدرسة القضاء الشرعى حيث كان هو المؤسس له بمساعدة خاله سعد زغلول .. وقد نفاه الإنجليز مع شقيقه فتح الله بركات وخالهما سعد زغلول إلى سيشل، وكان لعاطف باشا بركات شخصيته مميزة وقد ترك أثارا بالغة فى نفوس من عملوا معه، وكان على رأس من تأثر به حيث تتلمذ على يده الأستاذ «أمين الخولى»، وقد توفى عام ١٩٢٤.

٣ - الدكتور محمد بهى الدين بركات باشا: ولد بالقرية وتعلم فى كتابها، ثم انتقل إلى القاهرة حيث أتم تعليمه وتخرج فى مدرسة الحقوق المصرية. ثم سافر إلى فرنسا حيث نال درجة الدكتوراه فى القانون عام ١٩١٥.. وبعد عودته عمل أستاذا بمدرسة الحقوق المصرية.. ثم انتقل إلى وظائف القضاء وتقلد بعض المناصب الكبيرة، وقد اختير وزيرا للمعارف فى حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا، ووزيرا للمعارف مرة أخرى فى وزارة محمد محمود باشا.. وكان يفضل الاستقلال بعيدا عن الأحزاب فى حياته السياسية.. وكان بهى الدين باشا أول من وضع مشكلة تعلم اللغة العربية موضع الدرس والبحث لكى ييسر قواعدها لدى الناشئين عندما كان وزيرا للمعارف، وقد انتخب عضوا بمجلس النواب عن دائرة فوه، وعضوا بمجلس الشيوخ، وكانت له آراء صائبة فى مناقشات المجلس، كما عمل رئيسا بمجلس النواب واشتهر بالنزاهة والحياد التام وحسن الإدارة، وكان قد أسند إليه رئاسة ديوان المحاسبة «الجهاز المركزى للحسابات الآن» فى مبدأ إنشائه فأشرف على تنظيمه وإدارته، وحيث قامت الثورة على ١٩٥٢ اختير عضوا بمجلس الوصاية على العرش..

٤ - اللواء «محمد عاطف بركات باشا»: «خال المغفور له والدى المستشار محمد مرشدى بركات» أحد أعلام رجال القضاء، وكان من كبار رجال الشرطة ولعب دورا مهما فى كسر سلاسل البرلمان المصرى ليتمكن المعارضة من الولوج فيه وإبداء آرائهم المناوئة للقصر الملكى والإنجليز، وتقلد منصب مفتش وزارة الداخلية وحكمدار مدينة القاهرة، وعقب وفاته رثاه حافظ إبراهيم بقصيدة عصماء قال فيها:

حملوا على النعش الكريم سلالة الحسب الكريم وصفوة الأمجاد
ولا تعجبوا فما كان سعدا خاله ألفت له الأخلاق كل قياد

٥ - المستشار محمد مرشدى بركات أول قاض يعين بالقضاء بمحافظة كفر الشيخ حمل رسالة القضاء فكان نعم من حملها. وعرف عنه النزاهة والإستقامة والجهر بكلمة الحق الذى لم يخش فيه لومة لائم وكان أول رئيس لمحكمة الجيزة الابتدائية بدرجة مستشار عام ١٩٦٠. وله قلم شارك به فى العديد من المناسبات العامة والهامة التى مرت بها البلاد :

٦ - العمدة «محمد خواسك» : زعيم البلدة بلا منازع حيث كان يحاط من أهلها بكل توقير وحب واحترام إذ أنه نهض عليها وعمل على تقدمها وأقام بها مشروعات صناعية كبرى عادة على القرية بالخير العميم. وقد اختاره المرحوم كمال الدين حسين عضوا بمجلس محافظة كفر الشيخ.

٧ - الدكتور محمد خليفة بركات : أستاذ علم النفس ورائده فى مصر وله تولىف كثيرة فى هذا الخصوص حصل على الدكتوراه فى أوائل القرن الماضى من المملكة المتحدة.

وكننت قد أرسلت كتاباً لأستاذنا العقاد حثه فيه أن يكتب عن هذه القرية التاريخية. وتكرم بإجابتي لطبتي فى جريدة الأخبار حيث جاء على النحو الآتى :

«ترددت كثيراً فى كتابة هذا الخطاب إليكم لولا أن دفعنى إليه نفر من أبناء بلدى شاركونى الرجاء فى أن يشمل عطفكم ما به وأن يتسع صدركم للإجابة عما عن لهم ولى من استفسارات».

«فقد قرأت فى رحلات ابن بطوطة ما يلى عن بلدتنا منية المرشد. قال : سمعت أيام إقامتى بالإسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون بعبد الله المرشدى وهو من كبار الأولياء المكاشفين.. ووصلت إلى زاويته منية المرشد ووجدت عنده الأمير سيف الدين بلملك وهو من (الخاصكية) لم ذكر ابن بطوطة بعد ذلك أنه قد جاءته رؤيا فى المنام وكاشفه بها الشيخ المرشدى وأنبأه بأشياء معينة وقعت له فيما بعد وجاءت كما أخبره سلفا هذا الشيخ الصالح.. والذى أود أن أسأل عنه : ما هو الاسم الحقيقى لبلدتنا هل هو منية المرشد كما تعرف الآن؟ أم بنى مرشد كما ذهب ابن بطوطة؟ أم ميت المرشد كما تقرأ فى المطبوعات الرسمية والحكومية؟.. ومن هم الخاصكية هؤلاء وكيف استطاع سيدنا المرشدى أن يتنبأ بأشياء هى فى عالم الغيب والغيب كما نعلم عند الله وحده «وأجاب أستاذنا

العقاد: ومسألة الخوارق والكرامات التى أشار إليها الأديب «المرشدى» من المسائل المطروقة المتواترة فى رحلة ابن بطوطة يذكر طرفا منها عن سحرة الهند والمشرق وطرفا آخر عن النساك الصالحين فى البلاد الإسلامية، وبعضها مما رواه عن أهل الهند قد ثبت أخيرا أنه ضرب من المهارة مع التأثير (السحرى) الذى نسميه الآن بالتنويم المغناطيسى للأفراد أو للجماعات. وقد ذكر ابن بطوطة أن الشيخ المرشدى كان يزود ضيوفه بالطعام من الثمرات والمأكّل فى غير أوانها، وهى خارقة سمعنا نحن نمثلها عن شيخ ناسك فى إقليم جرجا وشهدا أناس لا نشك فى صدقهم وفطنتهم، ومنهم المتعلمون والمثقفون، ومنهم الأذكياء الحصفاء وإن لم يكن لهم حظ وافر من المعارف العلمية، وجملة هذه الخوارق شبيهة بما يقدر عليه زمرة المنومين ممن يعرضون أعمالهم فى المحافل العامة ويقول عامتهم إنهم يستعينون على هذه الأعمال بخفة الحركة مع التأثير المغناطيسى بالنظر والإشارة وتكرار الكلمات التى تفعل فعل التخدير فى أسمع الناظرين المستغرقين فى النظر والانتظار.

وإذا كان القائمون بهذه الخوارق أناسا جادين متعبدين فالراجح عندنا أنهم جادين متعبدين والراجح أيضا عندنا أنهم يكسبون القدرة عليها بطول الرياضة على التلقين والإيحاء، وقد يفسر الرياضيون الذين يتعاطون رياضة (اليوجا) قدرتهم على خوارق الطبيعة بإمكان تسليط الإرادة على جسد الإنسان حتى يحتمل ما لا تطيق الأجساد احتماله بغير هذه الرياضة، وقد يزعمون أن تسليط الإرادة على نواويس الطبيعة ممكن بعد طول المراتبة عليها كذا يمكن تسليطها على الجسد الإنسانى وأجساد الحيوان على العموم .. وذلك زعم لم يقم عليه البرهان العلمى ولا سند له غير أقوال أولئك الرياضيين.

على أن ابن «بطوطة» لم يذكر فى خبره عن أبى عبد الله المرشدى أنه شهد بعينه كراماته فى أحضار الثمرات والمأكّل فى غير أوانها ولكنه قال إنه سمع عنها وهو نازل بالإسكندرية قبل لقائه الشيخ فى زاويته، وإنما ذكر ابن بطوطة تلك الكرامة التى «سميتوها» علما بالغيب: وخلاصتها أنه رأى فى منامة رؤيا عرفها الشيخ فى اليوم التالى قبل أن يطلعه ابن بطوطة على تفصيلاتها، وليس فى علم الشيخ بتلك الرؤيا ما يستلزم تفسيره بعلم الغيب، لأنها قد تفسر بالإيحاء الذى ينتقل من فكر إلى فكر فى اليقظة والمنام، ولكننا - على هذا - لا نرى أن العلم يستطيع الجزم باستحالة علم الغيب بإذن علام الغيوب، ولأن الحكم باستحالته لا يصح لأحد قبل الحكم القاطع بحقيقة الزمن وحقيقة المستقبل وما سيحدث

فيه : هل هذا المستقبل موجود الآن؟ أو هو معدوم الآن يوجد لحظة بعد لحظة؟ وإن كان معدوما فما هو الحد الفاصل بين لحظة عدمه ولحظة وجوده.

وإذا كان العقل البشرى لا يستطيع أن يجزم بحقيقة الزمن كله وحقيقة المستقبل المغيّب عن العقول فليس له أن يحكم باستحالة الغيب ولا باستحالة نقله من علم الله إلى من يتمناه من عباده، وليس لأحد - على كل حال - أن ينكر أن النفس الإنسانية المشغولة بأمر مستقبلها قد تتصور ذلك المستقبل حلما قابلا للتفسير الصحيح على أسلوب شبيه بأسلوب التنجيم الذى نرجع إليه فى تفسير أحلامنا وما تبشرنا به من آمال نترقبها ونمثلها لأحلامنا الخفية على مختلف الأشكال والتعبيرات، وما من أحد شغل نفسه بأمل من الآمال إلا تمثله فى حلمه على صورة تتقبل التحقيق كما تتقبل الخلاف والمناقضة.

أما اسم البلدة فهو فى رحلة ابن بطوطة (منية بنى مرشد) وهو فى الخطط التوفيقية (منية ابن مرشد) وهو فى الأوراق الرسمية كما ذكرت (ميت مرشد) مختزلة كما هو ظاهر من كلمة (منية) التى يقول العارفون باللغة القبطية أنها مأخوذة من كلمة (مون) أو (مين) الفرعونية بمعنى بلدة، وتتركب منها ومن الأعلام المنسوبة إليها عشرات من أسماء البلدان تكتب فى الأوراق (منية) وتنطق على الألسنة (ميت) كميت غمر وميت رهينة وميت سمنود وغيرها وغيرها.

أما (الخاصيكية) فهم ممالك كانت لهم رتبة ممتازة ودرجات عسكرية فى قصر الإمارة أو فى الجيش كالأتابكية والسلحدارية والحمدارية (حملة السلاح وحملة الجام) وقد كانوا عهد المماليك برتبة مرافق، رسلا خصوصين للسلطان أو الأمير.

ويلاحظ أن مولد الشيخ المرشدى يحتفل به فى شهر (مسرى) مما يدل على علاقة البلدة قديما بمواسم الزراعة التى كانت تؤرخ بمواقيت مصر القديمة (الهيروغليفية) فيما يتعلق بالنيل.

قرية - بلا شك - لها فى تاريخ مصر.. تاريخ..



فلسطين.. «العم سام».. غير الأمين..؟؟

مثل النهر الذى يغير ماءه بين الفينة والفينة وبين الحين والحين، تغير أمريكا سياستها تجاه من تريد حتى تبید. ولو إبادة معنوية، هكذا دأبت السياسة الأمريكية عبر حقبة طويلة من الزمن إذ هى دائماً تعشق التحكم فى الشعوب، بيد أن سترها قد انكشف أمام العالم برمته على موقفها اللعوب.

فأمريكا تبحث دوماً عن مصالحها أنى وجدت وحيثما كانت بغض النظر عن مغبة ما تفرزه مصالحها من ضرر بالغ على غيرها من الدول.

هكذا فعلت مع العراق الذى حولت شعبها إلى شيع وأحزاب تتصارع فيما بينها من أجل الذهب الأسود الذى ترقد عليه العراق وسارت على هذا الدرب مع أفغانستان وباكستان وفيتنام الشمالية والجنوبية وكذلك مع كوبا ومن قبلها مع الهنود الحمر.

ويحدثنا التاريخ القريب أن (كاسترو) «زعيم كوبا» إذ يمم وجهه قبالة الرئيس الأمريكى الجنرال «دوايت أيزنهاور» للحديث معه عن مستقبل كوبا أشاح الرئيس بوجهه عن جاء يبلغه هذه الرغبة قائلاً له: ليس لدى وقت لمقابلة «كاسترو»؟!.. فما كان من «كاسترو» - ولم يكن يعرف الشيوعية من قبل - إلا أن اعتنق الشيوعية كراهة فى أمريكا؟!.

وحينما أراد الرئيس المصرى «جمال عبد الناصر» أن يبنى لمصر سداً العالى سدت أمريكا وجه البنك الدولى فى تحقيق مطلب الزعيم المصرى، فما كان منه إلا أن اتجه إلى الدول الشيوعية وساعدته تلك الدول على تحقيق أمله، وآمال مصر.

واليوم - وفلسطين - تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة لتحقيق حلمها كدولة يعترف بها العالم ومع تسليم جُل الدول بهذا الذى تطلبه فلسطين يقف «أوباما» مهدداً باستخدام حق النقض (الفيتو) حتى يجبر الشعب الفلسطينى على عدم نيل حقه المشروع فى ذلك خالعا - بهذه المثابة - «ثوبه» الذى ارتداه غداة إلقاء خطابه فى جامعة القاهرة داعياً فيه إلى الاعتراف بحق الدول فى تقرير مصيرها وكذلك ما طالب به إسرائيل منذ شهور قلائل أمام الكونجرس الأمريكى من وجوب رجوعها إلى حدودها التى كانت عليه قبل حرب يونيه ١٩٦٧.

فالتحيز الأمريكي لإسرائيل ليس وليد اليوم فهو ضارب في القدم.. أليست أمريكا هي التي كانت من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل منذ ولادتها عام ١٩٤٩؟ بعد أن كانت فلسطين جزءاً من الدولة العثمانية، وكان سكانها من العرب يمثلون نسبة ٩٥٪ من سكانها؟.

ولقد داست أمريكا يقدمها على قرارات الأمم المتحدة التي جاءت جميعها لصالح العرب بما فيها بدهة فلسطين وكذلك فعلت مع قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ الذي دعا كل دول العالم إلى عدم تزويد إسرائيل بأية مساعدة خاصة بالإستيطان في أراضي فلسطين المحتلة .. وبدون حياء، أو حرج، زاعمة أن القرارات الدولية السابقة أصبحت قديمة، بعد أن تجاوزها الزمن، أي زمن؟. لا نعرف. وعندما كان الرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» يخاطب أعضاء الكنيست الإسرائيلي في غضون شهر مارس ١٩٧٩ نطق بلسانه (والرجل مخبوء تحت لسانه حتى إذا تكلم ظهر) قوله: إن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تكونتا بالرواد الأوائل؛ إن وطني قد تألف من المهاجرين والللاجئين الذين حطوا رحالهم على أرضها من العديد من الدول.. إننا نتقاسم إرث «الإنجيل»؟!

لقد ادعى اليهود أنهم أبناء الله، وخلفاء الله، وأحباب الله، مفسرين هذا بأنهم الأقوى والأصلح وأن لهم الأرض بما رحبت من النيل إلى الفرات؛ ولقد شاهد – كاتب هذه السطور – هذا الشعار على مكاتب القادة الإسرائيليين مفتوحة أمام أعينهم في الموقع الذي استولت عليه القوات المصرية خلال حرب أكتوبر المجيدة وأضحى مزاراً لمن يرغب أو يريد.

يقول «جوستاف لوبون»: إن تاريخ اليهود هو تاريخ المذابح الدموية.. وإنهم أساءوا في وصف الله، ونسبوا إليه صفات بشرية متأثرين بذلك بالأديان الوثنية.. ومبدأ اليهود كما في سفر «يشوع»: (أهلكوا جميع ما في المدينة، من رجل وامرأة، وطفل وشيخ؟، حتى البقر والغنم والحمير – بحد السيف.. وأحرقوا المدينة، وجميع ما فيها بالنار) أو ليس اليهود هم الذين صلبوا «السيد المسيح» عليه السلام؟! لماذا تسير أمريكا – إذن – وراءهم؟! ولماذا هي تشجعهم دائماً على البغى والعدوان. واستلاب حقوق الفلسطينيين؟!



كلمات.. لها معنى.. ولها مغزى..

هناك كلمات تتحول إلى آوايد تقرع الأذان، وتستقر في القلوب والوجدان. فقد سئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب في غير خلل، وسئل مرة أخرى عنها فقال: هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها. والكلمات الموجزة هي التي يطلق عليها الأوايد، والآبدة هي تلك الكلمة التي تذهب في أسمع الزمن مذهب الخلود.

لما كان ذلك كذلك، وهو كذلك، فعسى أن ينتفع من يقرأ هاتيك الأوايد مثلما انتفعت بها، وبارك الله فيمن تعلم العلم وعلمه.

من كلام أمير المؤمنين - كرم الله وجهه - : العفو عن المصير، لا عن المقر. قطيعة الجاهل تعدل صفة العاقل. اتقوا من تبغضهم قلوبكم.

قال بعض الصلحاء: لولا أني أكره أن أعصى الله لتمنيت أن لا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع في أغتَابني، وأى شئ أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها، ولم يعلم بها. المؤمن لا يثقله كثرة المصائب وتواتر المكروه عن التسليم لربه والرضا بقدره. كالحمامة التي يؤخذ فرخها من وكراها وتعود إليه. العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً. عمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيه الأحقاد. من أنس بالله استوحش من الناس.

وقيل لأبي ذر - وقد رمدت عيناه - هلا دوايتهما. فقال: إني عنهما لمشغول، ف قيل له: هلا سألت الله أن يعافيهما؟ فقال أسأله فيما هو أهم من ذلك.

قال بعض العارفين: إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهي التقوى. انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها، فكم علق عليها من خير، ووعد عليها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية، ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيها اثنتي عشرة خصلة:

- الأولى: المدحة والثناء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٨٦].

- الثانية: الحفظ والحراسة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَرُّوْا وَتَقْتُلُوا لَا يَصْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٢٠].

- الثالثة: التأييد والنصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [سورة النحل - الآية ١٢٨]

- الرابعة: النجاة من الشدائد، والرزق الحلال، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق - الآيات ٢ - ٣].

- الخامسة: صلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآيات ٧٠ - ٧١].

- السادسة: غفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب - الآية ٧١].

- السابعة: محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة - الآيات ٤، ٧].

- الثامنة: قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة - الآية ٢٧]

- التاسعة: الإكرام والإعزاز، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات - الآية ١٣].

- العاشرة: البشارة عند الموت، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس - الآيات ٦٣ - ٦٤].

- الحادية عشرة: النجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَيَسْجِىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [سورة الزمر - الآية ٦١].

قال بعض الحكماء: مَنْ أظهر شركك فيما لم تأت به، فاحذر أن يكفر بنعمتك فيما أتيت به.

العدو عدوان: عدو ظلمته فجئيت بظلمك إياه عداوته، وآخر ظلمك فجئني بظلامته إياك عداوتك، فإن نابتك نائبة تضطرك إلى أحدهما فكن بمن ظلمك أوثق منك بمن ظلمته.

من أشرف فعال الكرام غفلتهم عما يعملون.

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا.

لسان الجاهل مالك له.. لكل قوم يوم.

موت الخير راحة لنفسه ، وموت الشرير راحة لغيره.
خير مالك ما وقاك ، وشره ما وقيته.. خير ما جربت ما وعظك.
خير الأوطان أعونها على الزمان.. خير البلاد ما حملك.
فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها.
ظلم الضعيف أفحش الظلم.
من التوفيق التوقف عند الحيرة.
خاطر بنفسه من استبد برأيه.
قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.
صلاح نفسك معرفتك بفسادها.
ارع حق من عظمك لغير حاجة إليك.
اعرف أخاك بأخيه قبلك.
قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم.
دع ما شاء القلب لا ماشاء الرب.
لا تنكح خاطب سرك.
لا تفتح بابا يعيبك سده ، ولا ترسل سهما يعجزك رده.
لا تستح من إعطاء القليل ، فإن المنع أقل منه.
لا تكن كالجراد يأكل ما وجده ، ويأكله ما وجده.
لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر.
لا يزيدنك لطف الحسود إلا وحشة منه.
إذا قُبِح السؤال حسن المنع.
لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق.
لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو.
لا تقل ما لا تعلم فتتهم بما لا تعلم.
لا تصحب الأشرار فإنهم يمنون عليك بالسلامة منهم.
إذا فاتك الأدب فالزم الصمت.
إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما إليك.
إذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون.

وقال الشاعر:

خلقان لا أرضاهما لفتى بطر الغنى ومذلة الفقر
فإذا اغتنيت فلا تكن بطرا وإذا افتقرت فتبه على الدهر

قال الشاعر:

إن الليالى للأنام مناهل تطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

وقال العلماء: الغيبة جهد العاجز، وإن أفضل الناس من تواضع عن رفعة. وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وقال بعض الأعراب لابن عباس: من يحاسب الناس يوم القيامة؟.. فقال: يحاسبهم الله تعالى. فقال الأعرابي: نجونا إذن ورب الكعبة. فقل له وكيف؟.. فقال: إن الكريم لا يدقق في الحساب.

قيل لراع عابد وجدت الذئاب بين أغنامه وهى لا تؤذيها: متى اصطلحت الذئاب مع غنمك؟ قال: منذ أطلح الراعى مع الله.
وقال الشاعر:

إذا صحبت الملوك فالبس من التوقى أعز ملبس
وادخل إذا مادخلت أعمى وأخرج إذا ماخرجت أخرس

سأل بعض الأنبياء ربه أن يكف عنه ألسنة الناس، فأوحى الله إليه: إن هذه خصلة لم أجعلها لنفسى، فكيف أجعلها لك؟.
قال أديب:

إذا رأيت أمورا منها الفؤاد تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت

وأخيرا وليس آخرا أعجبت أيما إعجاب بهذا البيت القديم للشاعر الأعشى الهمدانى، وهو من الذين قتلتهم أشعارهم، ومن ضمن قصيدة عصماء له وهى من عيون الشعر العربى قال:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر

وقال أستاذنا «العقاد» في الصبر:

إيه يا دهر هات ما عندك من مصائب وانظر عزمات الرجال كيف يكون
ما تعسفت في بلائك إلا هان بالصبر منك ما لا يهون
وفي الختام.. اجعل كتابك عالما تختلف إليه.



العقاد .. عبقرية علمية ..

من المسلمات .. وأيضاً من البديهيات التى يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى ، كما لو كنت تنظر إليها من سماء .. لا من أرض؟ .
ومن عجب أن السماء ذاتها - كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى وهى فوقنا فى كل مكان - يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية لى يروها مع أشياء أخرى فى هاتيك الأماكن فهى تبدو المرائى حينئذ . أكثر صفاء ، وأشد نقاء وأبهى ضياء؟
وقد يكون مرد ذلك فيما نرى أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره . وينعم فكره فى قيمة أى شئ أن يبتعد عنه قليلا حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته وفحواه .

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد الذى رحل عنا فى مثل هذا اليوم منذ خمسة وثلاثين عاما بعد أن (ملأ الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية آنذاك .. كان الأستاذ العقاد ولا يزال ، بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء .. بيد أنه أصبح اليوم - بعد أن بعد عنا - كالسماء البادية على صفحة مياه البحر المتراعى الأطراف تتسع وقعتها ويشف منظرها المرائى من بعيد . فهاهوذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض - يتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء .. ناهيك عن العلماء . فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة . تؤلف عنه الكتب ، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوما يعد يوم عن فكره ، وأدبه ، عن شعره ونثره ، فى شتى مناحيه ، وفى مختلف فلسفته ومراميه .

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل : (وطنى هو العالم) فقد آمن العقاد بأن : (وطنه هو الكتاب) .

ألم يعلمنا الأستاذ «أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الإلمام بغير ثقافته الخاصة - ليصبح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة؟» .

ومن هنا ديج يراعه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له مقدمة يقول فيها :
«وبيت الكاتب هو العالم بما رحب»؟ .

ألم يقرأ، ويقرأ حتى. فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى نب أقرائه رفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم»؟.

وانظروا إليه وزعيم الأمة سعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسيانه لمسألة حالة بالسودان الشقيق: لو عاتبنى كل فرد فى الأمة عتابك. لما نجوت من العقاب. ويرد العقاد العظيم: «ولكن لبس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد»؟.

ومن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف به العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم. وعالم فى ثوب أديب).. فهو على كثرة ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث؟

فهو أول من أثبت تأثير العلم على الأدب.. كما سوف نرى.

يقول العقاد: الثقافة اليوم تنقسم إلى علمية وأدبية. بنى (عالم) لا يعرف شيئا عن (هومبوس) و (فرجيل). وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظان الأفلاك.

وكلاهما نصف إنسان أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم، ولا يجهل الأدب، أو يعرف الأدب، ولا يجهل العلم. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسان. فقل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان وإنما هو كما قال «نيتشه»: أذن كبيرة أو لسان طويل. تمشى به قدما؟!.

ومن هنا جاءت عبقرية العقاد العلمية التى فاق بها المتخصصين ويز بها المتعمقين _ فى مجال العلم نفسه.

فكان أول من صحح مقالة (داروين) التى شاعت وذاعت على السنة الخاصة قبل العامة والتى نسبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنها أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسب» وليس «للأصلح».. فإن الإنسان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم نبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب. فينبى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة - يريد أن «يدهشه» أو «يعلمه» أن هناك عالمين أحدهما يدعى (برسيغال) والثانى يسمى (لويل) قد قالا بهذا.. يرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عاينين.

يدعى (برسيغال لويل)؟؟ ثم يزيد أن ما أكدته دكتور الفلك منفيا في كتاب الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم في علم الفلك ويدعى (شباريلي) في كتاب بلغ من ذبوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحفية والإذاعية في أوروبا وفي أمريكا.. والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمي) في (تاريخ الأدب) وسلط (قراءاته العلمية) على كشف أسباب وفاة أمرئ القيس وابن الرومي من الأقدمين وجمال الدين الأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي من المحدثين، فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب. وعلى غير مادون عنها في كتب السيرة وفي كتب التاريخ.. وهو نفسه العقاد الذي ألم به المرض. فرفض أن يعالج خارج الديار. (لأنه لا علاج له). وشخص حالته المرضية بدقة حتى أن عالما طبيا كبيرا هو المرحوم الدكتور أنور المفتي قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذي كان أول وآخر من عاده: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه واحد في المائة من الأطباء المتخصصين.

وعندما مات العقاد - كتب الأستاذ أنيس منصور يقول:

«لقد قضى العقاد الطبيب، على العقاد الأديب؟!».

رحم الله العقاد - العالم الأديب - في ذكرى رحيله.



إبراهيم باشا .. قائد ثورة ١٩١٩؟..

إنجلترا هي عاصمة بريطانيا.. والأميرة «ديانا» هي زوج ريتشارد قلب الأسد، وتركيا دولة عربية، والنيل ينبع من رشيد!.

هذا بالنسبة لمعلوماتهم العامة الثقافية. أما اللغة العربية فحدث ولا حرج؟ فمن جر للمرفوع، ونصب للخبر، إلى التقعر في التعبير والخطأ في الإملاء. ويكفى للدلالة على ما تردوا فيه أن أحدهم - فيما نشرته إحدى المجلات، طلب قردا من «القروء».. بينما كان يقصد قرضا من القروض!!.. ويبدو أنه كان يعلم سلفا أن اللغة العربية هي لغة «الضاد» فاستبدل «الضاد» «بالدال» ومن ثم يثاب على هذا اللغو في اللغة، كما يثاب المرء بالنيات!!..

ذكرنى هذا المستوى المتدنى لهذه «العينات» من إجابات بعض خريجي «الجامعات» فى اختبارات القبول بالإذاعة المصرية، ووزارة الخارجية.. «ولم ينجح منهم أحد؟!».. أقول ذكرنى هذا «بعينات» مماثلة من إجابات زملاء لهم من خريجي الجامعات فى اختبارات القبول «بكلية الإعلام» إبان فتح أبوابها لقبول أول دفعة بها منذ أكثر من ربع قرن مضى!.

وقد كنت أحد الذين تقدموا للانتظام بالدراسة فيها إذ أن باب القبول قد فتح بها لجميع الخريجين من التخصصات المختلفة من الجامعات المصرية لمقابلة الأستاذ الدكتور «جمال العطيفى» فى مكتبه بالدور الحادى عشر بجريدة الأهرام إذ أنه كان مشرفا على هذه الكلية. لنسأله عن نتيجة الاختبار، وإذا به ونحن جلوس إليه يزف إلى بشرى تفوقى فى هاتيك الاختبارات. وأننى حزت قصب السبق فيها وأن ثمة منحة دراسية بباريس، تنتظرنى بعد قليل.

ثم إذا بوجه الرجل يربد، ويكفهر، وهو يقول: إن مستوى إجابات المتقدمين للقبول بهذا المعهد العلمى وهم جميعا من حاملى الليسانس والبكالوريوس.. بل والماجستير كان هابطا. الأمر الذى ترك لديه أثرا غائرا ومحبطا.

فوجئت فى اليوم التالى لهذه المقابلة بمقال دبحه يراعه فى جريدة الأهرام معنونا بعنوان «أمية المتعلمين» من خلال امتحانات كلية الإعلام؟ عدد فيه الدكتور العطيفى،

الأخطاء التى وصمت هؤلاء المتقدمين بالجهل المميت ، ووسمتهم بالتخلف المقيت . والأزورار عن تربية العقل الذى فضل الله به الإنسان على سائر المخلوقات . فمن قائل عن : « سيزا نيراوى » إنها أشهر راقصة فى مصر؟ ومن أجاب عن استفسار عن محمد عبده «الإمام محمد عبده» على أنه المطرب السعودى المعروف «محمد عبده»؟! ومن تطوع فوسد الزعيم أحمد عرابى كرسى الإدارة رئيسا لإحدى الشركات ، ومن جهر دون خجل أن من يمتطى صهوة جواده فى ميدان الأوبرا المصرية هو قائد ثورة ١٩١٩؟! .

أما جوجول وتشيكوف وموليير وفولتير ، فقد اختلط بشأنهم الحابل بالنابل ! .
من المسئول عن هذا الداء ، وأين يكمن الدواء؟ .

اختلف البعض وتباين : فمن أرجع هذا إلى «انشغال» الأستاذ الجامعى عن الطالب قلبا وقالبا «بمسائل شخصية» ومن عزا ذلك إلى تقعر نظم التعليم سواء أكان فى المدرسة أم الجامعة ناهيك عن البيت وأن المسئولية «تضامنية» ومن أرتأى أن ما حدث إنما يقع أولا وأخيرا على عاتق الطالب نفسه وعلى كاهله.. لأنه «لا يقرأ»؟ حتى بلغته القومية ، وكان هذا هو رأى الدكتور عصام سالم رئيس جامعة الإسكندرية .
وما أرتأه ورآه رئيس الجامعة هو الصحيح ! .

فالقراءة كما عبر فيلسوف الصين «كونفوشيوس» هى مفتاح الشخصية وسر قوتها ، وتفوقها .

وفى نصيحة حكيم فرعونى لابنه : قد بلغنى أنك أهملت دراسة الكتب وأنتك تتسكع من طريق إلى طريق.. ومن ثم أبعدت الناس عنك وسقت روحك إلى الهلاك ، وأصبحت مثل المجذاف المحطم فى السفينة لا يتجه إلى أية ناحية.. وطن نفسك على أن تكون «قارئا» حتى تستطيع أن تدير العالم كله .

ومن وصية «جيتى» لابنه «بيبى» ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك وليتنى أتمكن من أن أريك جمالها.. إنها أعظم من أى شئ آخر .

وها هوذا الدكتور أحمد زويل - عالم مصر الشاب الذى حصل على أكبر جائزة عالمية فى العلم من الولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى مصر زائرا وفى يده جائزة المجد والفخر ، وعلى رأسه إكليل الغار - يقول «أعطونى كتابا أقرؤه وأتركونى بعد ذلك بمفردى على المريح»؟! .

وتعالوا معى لننعم فكرنا . ونمعن نظرننا.. فى هذه الصورة التى رسمها أديب فنان
لعملاق الأدب العربى الأستاذ عباس محمود العقاد. الذى مرت بنا ذكرى مولده ولم يحتف
أو يحتفل بها أحد.. بصور هذا الأديب الأستاذ العقاد بعد وفاته - وقد أنعم الله عليه
بإدخاله الجنة.. فطفق الأستاذ العقاد يبحث فى أرجاء الجنة عن كتاب يقرأه حتى إذا
لم يعثر على ضالته خرج من الجنة مغضبا وهو يقول : ما فائدة الجنة إذا لم يكن فيها
كتاب يقرأ؟! .

ذلك لأن العقاد العظيم كان ينفق جل وقته.. ويمضى ساعات عمره بين الكتب ومع
الكتب يغترف من معينها وينهل من منهلها، حتى أصبح العقاد العبقري، صاحب
العبقریات.. أليس هو القائل إننى أقيس أى إنسان «بعدد» الكتب التى قرأها.. ومن
المأثور عنه قوله الجميل الجليل: إننى أقرأ لا زهدا فى الحياة، ولكننى أقرأ لأن «حياة
واحدة لا تكفينى».. ومات العقاد.. وقد أضحى على حد تعبير الأستاذ أنيس منصور.. وهو
الحاصل على الشهادة الابتدائية.. أعظم المفكرين - العرب - فى القرن العشرين.
ويا أيها الراسبون اقرأوا واقروا لأنكم لو كنتم قد قرأتم لما كنتم قد رسبتم؟! .
ألم يرد فى الكتاب المقدس «فى البدء كانت الكلمة»؟.
وألم تكن أول كلمة أنزل الله بها سبحانه وتعالى كتابه المبين كلمة «اقرأ»؟! .



يوم.. أن مات سعد زغلول (٢/٢)

وإن كان لنا أن نذكر لتبيان حب الشعب المصرى الجارف لسعد وإنصياحه إلى قيادته فإننا نذكر هذا الحدييث الذى سجله التاريخ.. فبينما كان سعد زغلول يعانى ظلمة المنفى جاءت إلى مصر لجنة «ملنر» فأصدر الوفد قرارا بمقاطعة هذه اللجنة على أساس أن المفاوضة يجب أن تكون مع سعد زغلول وحده.

«ملنر» لم يصدق أن المصريين جميعا قاطعوه.. وفى أحد الحقول النائية توقف ركب ملنر، ونزل الرجل ليحاصر بأسئلته فلاحا بسيطا، وهاك هو الحوار الذى دار بين ملنر وبين أحد فلاحى مصر:

س : اسمك؟

ج : (صمت)!

س : هل أنت متزوج؟

ج : (صمت)!

س : هل عندك أولاد؟

ج : اسأل سعد باشا؟!

س : الساعة كم الآن؟

ج : اسأل سعد باشا؟!

وأضطر الإنجليز إلى الافراج عنه وعاد إلى مصر واستقبل من شعب مصر استقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى أن كاتباً كبيراً كتب عنه يقول « لو قدر لاسكندر الأكبر، أو نابليون بونابرت أن يشهد ما شهده سعد زغلول من استقبال الجماهير الهادرة له.. فماذا كان يتمنى لنفسه أكثر من ذلك؟! ». ونشرت جريدة البلاغ آنذاك مانشيتاً عريضاً معنوناً منية المرشد - معقل الزعيمين فتح الله بركات وعاطف بركات - تحتفل بعودة أبنائها زعماء مصر من المنفى وتناقلت صحف العالم هذا المانشيت.

وعاد الثائر العظيم يكافح من أجل الدستور حتى صدر دستور ١٩٢٣ الذى جعل فيه حكم مصر لإرادة الشعب رغما عن ملكها أحمد فؤاد.. ثم ترأس مجلس النواب فشرف به

المجلس «وكان رئيساً له ولا كل رئيس» كما عبر المفكر الكبير عباس محمود العقاد في مقال له عن سعد بعنوان «عظيم كل حياته عصامية».

وعندما حانت منيته فى اليوم الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٧ انفجرت مصر عن بكرة أبيها صيحة واحدة بالتشنج والبكاء المر، فلم يكن أدهب من ذلك السكون إلا هذا البكاء الذى اتصل مداه فى لحظات معدودات بكل مكان فى القاهرة وكل مكان فى أرجاء البلاد حيث كان كل نبأ منظوراً فى تلك المرحلة من مراحل السياسة المصرية إلا موت «سعد زغلول»، فالدستور قائم لا يُعلم مصيره والمفاوضات على القضية المصرية ماضية لا يُعلم مصيرها والمساعي كثيرة والعروض أكثر وسعد وحده هو ميزان الأمور بعد ذلك البحر اللجى من المساعي والفروض على أن الناس بغتوا بالروعة فى غير تفكير ولا انتباه لحقيقة ما يروع. يستوى منهم من يكثرث بالسياسة ومن لا يكثرث لها أقل اكتراث، بالنبا المخيف وهذا مصرى ساقته قدماه مسرح من مسارح الغناء لا يقصده الرواد إلا للهو والمجون، وتوسط الجميع ثم وقف وصاح وهو لا يدري لم يحمل النعى إلى ذلك المكان وهو يقول: أيها الإخوان: البقية فى حياتكم (الباشا مات) فما لفظ بها حتى صرخت المغنية - التى كانت تتلوى بالغناء - وألقت بالعود من يديها وولت هاربة ووجم الحاضرون هنيهة ثم تسللوا مجتمعين ومتفرقين خارج دار الغناء.

وكانت القاهرة كلها محشورة بين بيت سعد زغلول والمقبرة - من دار سعد إلى قبر سعد. آفاق الناس وهم يتسألون: سعد يبرح داره؟! سعد مفارقهم إلى غير لقاء؟! ياللهول القاسم وياللفزع الأكبر وجاءت لهم الحقيقة جاثحة فادحة فى صورة ذلك النعش الأخضر ينحدر من بيت الأمة فى تؤدة وسكون نعش سعد وفيه سعد؟!.

وكانت لحظة كاش فيها ودفن فيها حلم الحليم وصبر الصبور، وكانت القاهرة - بغير سعد - القاهرة اليتيمة وكانت أشبه بوحشة القبر، وهذا ما سجله «العقاد» فى كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية».

مات سعد زغلول فبكته مصر كلها بدماء قلبها، وعصارة فكرها ويعبر أداؤها وشعراؤها عن الحدث الجلل فينشده «شاعر النيل»:

إيه ياليل هل شهدت المصايبا كيف ينصب فى النفوس انصايبا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح أن الرئيس قد ولى وغابا

وانع للنيرات سعدة فسمدُ كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قل لها غاب كوكب الأرض فى الأرض فغيبي عن السماء احتجاجا

وينشد: «أمير الشعراء» الذى كان غائبا عن الوطن - آنذاك - معبرا عن حزنه لموت
سعد وتلقيه نبأ وفاته وهو بعيد عن الوطن:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وأنحنى الشرق عليها فبكاها
ليتنى فى الركب لما أفلت يشوع، همت فنادى فثناها
وتديبج يراع العقاد فى ذكرى الأربعين له:

حملوا على المدفع مدفعا الأساطيل اتقته والحصون
فترة التيه تغشت أمة غاب موساها على طور سنين
وتكتب التايمز الإنجليزية عنه مقالا معنونا: مات الأسد المصرى..
فسلام على سعد فى الخالدين.



يوم .. أن تعانق الهلال مع الصليب .. ؟!

الأيام كالأنام.. تولد وتحيا وتموت.. شأنها شأن جميع الكائنات الحية يدركها الموت، ويرد عليها البلى والقناء!

بيد أن ثمة أياما، وكذلك أشخاصا، تولد، لكي تحيا وتظل هكذا حية في ضمير الزمن.. وفي ذاكرة التاريخ.. حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
ومن الأيام الخوالد - وما أكثرها في تاريخ مصر! - التي عنت لها الجباه، وكتبت لها الحياة. ما خطه الدكتور «محمد حسين هيكل» باشا في الجزء الأول من «مذكرات في السياسة المصرية» يقول عنه:

كان ذلك ليلة اليوم الثامن شهر مارس سنة ١٩١٩، وكنت ذلك اليوم مسافرا إلى القاهرة لألقي محاضرات بالجامعة المصرية صبيحة ٩ من مارس، وكان النبأ بالقبض على الباشوات الأربعة واعتقالهم، قد سرى في أنحاء العاصمة، وانتقل منها بسرعة البرق إلى أنحاء الأقاليم، وكان الجميع، إنجليزا ومصريون وأجانب، ينتظرون ما عسى أن يكون رد الفعل لهذا القرار الذي اتخذته إنجلترا إزاء من ينادون باستقلال مصر.

فلما أصبحت يوم ٩ مارس ذهبت في الساعة التاسعة إلى الجامعة، وكان مقرها يومئذ بميدان الأزهار «الفلكى الآن» فإذا هي خلاء ليس فيها طالب واحد. وصعدت إلى الطابق الأول فألقيت محمد بك وجيه سكرتير الجامعة بغرفته المطلة على الميدان وكانت سراى البستان، حيث يقيم السلطان فؤاد، تجاور الجامعة وتطل عليها نوافذ مكتب وجيه بك، فلما دخلت عليه حياني وعلى وجهه ابتسامة وقال إن طلبة الجامعة وطلبة جميع المدارس العليا والثانوية مضربون احتجاجا على اعتقال رئيس الوفد وأعضائه.

جلست إليه أتحدث معه، وأشرب القهوة عنده. وإننا نتحدث إذ رأينا من نافذة الغرفة منظرا يأخذ الأبصار فقد امتلأ ميدان الأزهار كله بالمتظاهرين من جميع الطبقات طلابا وعمالا وأفندية، وفي أيدي كثيرين منهم فروع أشجار ضخمة اقتلعوها من الشوارع التي مروا بها. وإذا هم يميلون على عربات الترام التي تمر بالميدان يحطمونها ويقلبونها هنالك قلت: لقد أطلق الحيوان الناطق من جميع قيوده، ولم تمض لحظات بعد ذلك حتى

رأينا قوة من الجنود الإنجليز تحاصر قصر البستان مخافة أن يدخل المتظاهرون بميدان الأزهار - ثم اندفعوا إلى ناحية شارع القصر العيني، ولم تغرب شمس ذلك اليوم حتى جاءت الأنباء أن الاضطراب ساد البلاد المصرية كلها من الإسكندرية إلى أسوان وأن منوره عجباً! انتشرت في كل مكان، وأن خطوط السكك الحديدية أتلقت وكثيراً من خطوط التلغراف قطعت، وأن الانتقال من العاصمة أو إليها أصبح مستحيلاً.

في هذا الوقت العصيب كانت الأنباء ترد فيه بين ساعة وأخرى بوقوع الاشتباك بين الجنود الإنجليز والمتظاهرين المصريين بالقاهرة اشتباكاً تجسم الأنباء نتائجه من القتلى والجرحى وقد تمردت بعض قرى الجيزة القريبة من القاهرة فعاقبها الجنود الإنجليز باستباحتها واحراقها وانتشر الخبر بذلك وترتب على انتشاره أن أحاط الأهالي المصريون بجماعة من الجنود البريطانيين وقف بهم القطار بمحطة فقتلوهم وشربوا من دمائهم، وأعلنت بعض الجهات النائية بعض الشئ عن القاهرة استغلالها، واحتل شبان من المحامين دواوين الحكومة، وتولوا بأنفسهم أمور الحكم والمحافظة على الأمن والنظام وأضربنا نحن المحامين في أنحاء القطر جميعاً احتجاجاً على تصرفات السلطة البريطانية، وكنا نذهب كل صباح إلى منزل سعد زغلول باشا حيث يجتمع أعضاء الوفد، نتلقى من هناك أنباء ما حدث بالأمس، ونرتب عليه نتائجه في تصرفاتنا.

اندلع لهيب الثورة وامتد في كل مكان ولم يقتصر على المتعلمين ولا على الشباب، بل اهتزت به جميع القلوب وتحرق استجابة له الجوانح والافئدة، حتى السيدات، اللواتي كن يومئذ محجبات مقصورات في خدورهن، أبى عليهن شعورهن الوطني أن يبقين غير مشتركات في هذه الثورة القومية القوة، فخرجن مؤثرات متظاهرات سيرا على أقدامهن إلى منزل سعد باشا، الذي أصبح حقاً وفي هذا الظرف بيت الأمة، وكذلك تحطمت الفوارق في التفكير والشعور بين الطبقات .. والحرص الخالص على التخلص من حكم الإنجليز. كذلك أصبحت مصر في اليوم التاسع من مارس عام ١٩١٩ بعد أن ظلت حبيسة الإحتلال الذي ناء عليها بكله، هي في كفاح ومراس حتى جاءت القارعة من شعب يرمته كان يتلظى فجاء اعتقال سعد الذي لم يكن عقلاً فحسب ولكنه كان عقلاً وروحاً، وصوتا وجسماً وحركة وسكوناً تسرى في الآلاف بل عشرات الآلاف، كما عبر الدكتور محمد بهي الدين بركات باشا في مقال له عنه، فالتف الشعب حوله وأحاطه إحاطة

السوار بالمعصم، فجاء اعتقاله هو وصحبه بمثابة الشرارة التي أوقدت فيه نار الثورة.. هذه الثورة التي أظهرت شعب مصر بمظهر الوحدة السياسية المتكاملة وكان الإخاء بين الهلال والصليب، وكان الاتحاد المطلق في الجهاد والتضحية والفهم بين المسلمين والأقباط كما دون الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه «محنة الدستور» وكان امتزاج السعى بالاستقلال التام أو الموت الزؤام فى سبيله بين عنصرى الأمة دون تفريق أمام إنجلترا التي جابهها سعد بهذا التحدى وهى الدولة الأولى فى العالم المنتصرة فى الحرب التي يركع العالم عند قدميها وهى توزع الأسلاب، وجنودها ليسوا بعيدين، بل هنا فى قلب القاهرة. كما عبر الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه القيم «أيام لها تاريخ» ولم تكن الثورة تقتصر على منطقة واحدة ولكن الجامع الأزهر كان المركز الرئيسى لها منه تنطلق القذائف الثورية فى شكل موجات من البشر فقد كان يؤم أفراد الشعب من جميع الطبقات ورجال الدين على اختلاف نحلهم وملهم حتى النساء كن يعقدن فيه المؤتمرات الوطنية ويلقيين فيه الخطب الحماسية وقد اشتهر من خطباء الأزهر فى تلك الأيام العاصفة مصطفى القاياتى والقمص مرقص سرجيوس والقمص بولس غبريال، والطلاب إبراهيم عبد الهادى وشكرى كرشاه وزكى مبارك، وغيرهم من الشباب المثقف وتكونت لجان الثورة لتلعب دورها وتؤدى رسالتها.

روى راغب إسكندر فى ذكرياته عن الثورة فقال: إن لجان الثورة ظلت تعمل بانتظام دون أن يصيبها الكلل أو الملل ودون أن يعرف زميل زميله فى الخلية الأخرى حتى إنى لم أكن أعرف أن أخى نجيب إسكندر كان يعمل فى إحدى الخلايا الأخرى. وكان كلانا لا يعرف أين وكيف يعمل الآخر، وكانت خليتى مؤلفة من أحمد ماهر والنقراشى والشيخ مصطفى القاياتى وأنا، وكان أعضاء هذه الجمعيات يوزعون المنشورات فى المدن والقاهرة وهم متنكرون بعضهم، يرتدى القبعة ليُحسب من الأجانب فلا تتجه إليه الشبهات.. وكان منهم الطالب توفيق صليب.

وكان من أعظم السمات التى اتسعت بها ثورة ١٩١٩ أن الفلاحين اشتركوا فيها، فكانت ثورة عامة تجمع بين الباشوات والموظفين الكبار والصغار والفلاحين وسكان المدن. وكان من أعظم هذه السمات - أيضا - اشتراك الأقباط والمسلمين فيها، واتحادهم جبهة واحدة للمطالبة بالجلاء. وكان خطباء المسلمين يخطبون فى الكنائس وخطباء الأقباط يخطبون فى المساجد. يدعون إلى ذلك الهدف الأسمى المشترك، كما ذكر الأستاذ سلامة موسى فى كتابه «الثورات».. وما أكثر ما كان الطلاب والعمال المصريون يتساقطون أثناء

مظاهراتهم فى شوارع القاهرة والإسكندرية تحت رصاص الجنود الإنجليز، فلا يثنون عن هدفهم، ولا يرتدون عن غاياتهم والراية المصرية مرفوعة بينهم تنتقل من يد إلى يد، كلما صُرع حاملها سارع رفيقه لرفعها مكانه رمزاً للعزة القومية والكرامة الوطنية والإباء العظيم. ولم يقتصر ضحايا الثورة على ألوف القتلى والجرحى الذين استشهدوا فى ميادين الكفاح، إذ كانت المحاكم البريطانية تدفع بين حين وآخر بعشرات الضحايا إلى ساحات الإعدام، فأعدموا ١٤٦ من أفراد الشعب و زجوا ١٢١٣ مصرى إلى ظلام السجون.

ملح من ملامح ثورة ١٩١٩ التى يواكب ذكرها اليوم التاسع من مارس فى كل عام.. هذه الثورة قوضت أركان إمبراطورية كانت تتسع ولا تتقلص - على نحو ما ذكر (قلعجى) - وكانت جنودهم من شتى الأجناس ومن كل فئات الناس بعتاد الحرب الثقيل يمشون مختالين فخورين يلتقى الخلق فى ظلهم الكئيب، وقلبهم العليل، الموت والأهوال، لا يعرف أحد من فى أبناء مصر معهم حرية ولا استقلالاً، ليس لهم من شأن سوى سفك الدماء، وقتل الأحرار الأبرياء، يتنمرون لشعب أبى «لا يطيق دفاعاً» وإذا به يخرج من قمقمه مارداً عملاقاً يعبى العدو «شجاعة ومصاعاً» ويهد منه معاقلاً وقلعاً يضحى بثورته وعزته للشرق كله حتى إن الزعيم العظيم المهاتما غاندى قد قال:

«لقد تعلمت الكفاح من سعد» ثم يقول: «إننى تتبعت سيرة هذا الرجل القدير منذ ثورة ١٩١٩ وحتى الآن، وإننى أراه قدوة وأعدّه بمثابة أستاذ. وعن سعد أخذت توحيد العنصرين ولكنى لم أنجح كما نجح هو فيه. إن سعداً ليس لكم وحدكم ولكنه لنا أجمعين». هذه هى ثورة ١٩١٩ التى تعانق فيها الهلال مع الصليب، تثبت للعالم كله أن مصر نسيج واحد لا فرق فيها بين مسلم ومسيحى، فالدين لله والوطن للجميع. والله در الشيخ محمد عبد المطلب فيما قال:

بنينا على آداب عيسى وأحمد	منازل عز دونها يقع النسر
فنحن على الإنجيل والذكر أمة	يؤيدها الإنجيل بالحق والذكر
لنا كل ما فى مصر والحق قائم	تؤيده الأيات والحجج الغر
فلن نستطيع الدهر تفريق بيننا	وان جر قوم بالسعاية ما جروا
كلانا على دين به هو مؤمن	ولكن خذلان البلاد هو الكفر
فلا يحسبن الناس أنا تزلزلت	بنا قدم أو مس وحدتنا الضر

يوم .. أن غرقت إيلات .. !!

كما يولد الخير من الشر. ويشرق النور من دياجير الظلام، ويهيم الماء. من السحب الداكنة السوداء، وكما يهمل القمر بسنائه في الليلة المدلهمة الظلماء.. جاء يوم الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٦٧.

ولله در الشاعر الأستاذ محمد البحيرى حينما قال فى قصيدته

وقد يجرى الله الخير بيد من كان يضر لك الشرا

وسجل الجنديان المصريان البطلان النقيب أحمد القارح رحمه الله، والرائد «اللواء» لطفى جاد الله، اسميهما وقبلهما اسم مصر فى سجل الخلود بهذا العمل البطولى الفدائى الخارق. فقد تمكن كل منهما بصاروخ أطلقاه من «لنش» يركبانه على هذه «الدمرة إيلات» فخر البحرية الإسرائيلية، والتي كانت عائدة. آنذاك. لتوها من إنجلترا، مزودة بأحدث، وأعلى تكنولوجيا متطورة فى العالم وفى تسليح البحر.. فما لبثت «الدمرة» غير قليل حتى وارتها الأمواج، وابتلعها اليم الذى أطبق عليها - بعد انفجارها - من كل حذب وصوب !! . ولم يكن بحسبان إسرائيل - قبل إغراق المدمرة «إيلات» - أو يدور بخلدتها أن تفيق مصر من النازلة التى نزلت بها - غيلة وغدرا - فى يونيو ١٩٦٧ ناهيك عن أن وزير دفاعها المتعجرف «موشى ديان» كان قد صرح فى الكنيست الإسرائيلى بقوله: «إننى لن أسمح لأى صرصار مصرى أن يدخل إيلات».. ودخلت «صراصير» إسرائيل من بعدها شقوقها !! .

وأصيبت إسرائيل فى مقتل، واهتز كيانها والتاث عقلها وفقدت توازنها. فقد أجم غرق إيلات فى أحشائها لاجع النار، وتكسر العود الذى كانت تعزف عليه والأوتار. وأحسست بأن الجيش المصرى ممثلاً فى بحريته، قد هب من رقدته وصحا من غفوته، فقد فقدت بفقدائها إيلات نصف البحرية الإسرائيلية كما حدد الخبراء، وفقدت إسرائيل معها نصف عقلها.

ولقد أثبتت مصر بهذا العمل المجيد الذى تناقلته الصحف والإذاعات العالمية مقدرتها القتالية وقدرتها الحربية، وإنها قادرة على التحدى والتصدى لكل من تسول له نفسه

التعدى على حرمة ترابها أو أن يجوس فى أرضها.. حتى حررته وطهرته فى حرب أكتوبر
المجيدة عام ١٩٧٣!.. وفقدت إسرائيل فى هذه الحرب النصف الثانى من عقلها.
تحية إكبار وإجلال للبحرية المصرية فى هذا اليوم الأغر. الذى هو يوم «خالد» فى
تاريخها. فى عيد نصرها ومجدها، وما النصر إلا من عند الله.

وداعا .. فارس الكلمة الحرة ..

وداعا مصطفى أمين صاحب المدرسة الصحفية التي أصبحت نبراسا لصحافة الشرق، وإذا كان القدماء قد تواتروا على إطلاق اسم المدرسة على كل من له منهج ومنهاج، فأنت المؤسس لصحافة حرة تركت بصماتها على جبين مصر.

التقيت الكاتب الكبير مرتين : الأولى عندما كنا مدعويين، والذى وجدى واللواء «عاطف بركات» - رحمهم الله -، لحضور حفل قران ابنة المرحوم عبد الله «بك» بركات ابن المغفور له «فتح الله باشا بركات» أحد أبطال ثورة ١٩١٩، والذى نُفى مع خاله الزعيم خالد الذكر «سعد زغلول» إلى جزيرة سيحل عقب اندلاع الثورة المصرية الكبرى ١٩١٩. جمعتنا مائدة واحدة، وكان بصحبته شقيقه الصحفى الكبير «على أمين» وتتقدمهما السيدة «أم كلثوم».

وكان حديثه معنا حديثا جزلا جمع بين الصحافة والأدب. والثانية كان بمناسبة عقد قران كريمة الأستاذ «عادل أغا» الذى ذكره الإمام الشيخ «الشعراوى» فى حديث له معى وبأنه باستثماراته وأمواله التى رصدها للخير كان سببا فى فتح أربعين ألف بيت فى نيجيريا.

هش وبش عند رؤيته لى واستقبلنى بترحاب مازال صداه يتردد فى نفسى حتى الآن. وبالألمس ودع «مصطفى أمين» الحياة بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان أستاذنا لأجيال عديدة من الصحفيين الموهوبين فى مصر بل وفى العالم العربى، وقد كان إماما. وكذلك كان قيمة ومكانة بالثقافة المتباينة، والشجاعة الفائقة والرأى الحر.

زج به فى غيابة الجب إثر مؤامرة مكشوفة، ووضع فى زنزانة باردة مظلمة، بين القتام والرغام والبلاء، بعد أن كان يعيش بين الملوك والرؤساء والكبراء، وخرج من محبسه عملاقا قويا راسيا كالرواسى من الجبال، ومن يقرأ الرسالة الوثيقة كما أطلق عليها الأستاذ «محمد حسنين هيكल» والتى بعث بها إلى الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» يشرح فيها له أسباب براءته من التهمة الجائرة التى أراد زبانية الشر أن يصموا بها شخصه وتاريخه يتيقن إنه برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب منها، وكان لسان حاله فى هذه الرسالة لا يقول مثلما

قال «روبرت أوبنهايمر» أبو القنبلة الذرية ، للرئيس «هارى ترومان» عقب إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي : «سيدى الرئيس إن يداى ملطخة بالدماء» ! فلم يلوث مصطفى أمين يده بهذه التهمة الشنعاء ، فقد كان وطنيا أبيا ينهض على مصلحة وطنه وبلاده .

ومن قرأ عن (الرحلة الغامضة) ، كما أسماها هو ، يجوب بها البقاع والأصقاع فى طائرة عسكرية مرسلا من قبل الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» إلى بعض البلدان ليدافع عن مصالح مصر مع تعرضه للخطر المحيى يعرف كيف كانت وطنية مصطفى أمين .

وقد أمر الرئيس «محمد أنور السادات» بإطلاق سراحه بعد تأكده من برأئته وقد مسحت أعلى محكمة فى مصر عن جبينه هذه التهمة النكراء ، بعد خروجه من محبسه طوال تسع سنوات لاقى فيها العذاب والهوان .

مصطفى أمين هو القامة المشرتبة فى عالم الصحافة وعالم الوطنية والتي طالما نافح وكافح من أجلها ، لكى تنعم مصر بها .

مات مصطفى أمين وهو فى أوج تألقه ، وبموته فقدت مصر ابنا بارا من أبنائها المخلصين قلما وجود الزمن بمثله .

وداعا فارس الكلمة الحرة..



وداعا محمد وجدى عبد الصمد

قطوف يانعة من سيرته العطرة التى حوت ووعت.. أسرد هاتيك الننف المتفرقة منها.
فهو صاحب الكتاب المتفرد (الاعتذار بالجهل بالقانون) الذى أضحى مرجعا للعلماء
الثقات فيما لو أرادوا أن ينهلوا من منهله.. المبدأ الضارب فى القدم منذ عهد الرومان..
فالسؤال الذى يثور.. هل يعتد بهذا الجهل بالقانون إعمالا لاعتبارات العدالة أم يتم
التجاوز عنه؟.

والجهل ببساطة هو نقيض العلم والجهل بالقانون يعنى عدم العلم بحكم القانون على
وجهه الصحيح فبينما يرى البعض أن ثمة تفرقة بين الجهل والغلط ليست سوى تفرقة فى
الدرجة فقط دون الطبيعة بحسبان أن الجهل هو غلط كلى والغلط هو جهل جزئى وكلاهما
كما عبر الأستاذ الدكتور عوض غازى، يعنى انتفاء المعرفة الصحيحة وإن كان الجهل يمثل
غيابا تاما لهذه المعرفة والغلط يمثل عدم كمالها.

فالقاضى الذى يطبق القانون قد يكون جاهلا لبعض قواعده أو تعديلاته المتلاحقة بدون
ضابط، آية ذلك الكثير من الأحكام القضائية التى ثبت عوارها أمام المحكمة الأعلى.. بل
إن المشرع نفسه قد يقع فى هذا العوار بعدم قدرته على ما يطرأ من التشريعات التى أصدرها
سواء بالتعديل أم بالإلغاء.

ويرى القاضى الفقيه وجدى عبد الصمد أنه فى فقه الشريعة الإسلامية يشترط لصحة
التكليف أن يكون المكلف به معلوما للمكلف علما تاما - أى يقينيا - ليتسنى له القيام
به.. وهذا ما ارتآه شيخ شيوخ مجلس الدولة العلامة الدكتور عبد الرازق السنهورى حيث
ذهب إلى أن الجهل بالقانون يصلح عذرا إذا لم يصحب الجهل تقصير.

هذا السفر الرائع للمغفور له محمد وجدى عبد الصمد يفصح عن عقلية القاضى العالم
الذى زاوج بين الفقه والقانون.. فالقاضى الذى يعتمد على ضميره وعقله لا يشعر بأية
غضاضة فى تطبيق ذلك المبدأ القويم المستقيم.. فالبحث عن الحقيقة أمتع من الاهتداء
إليها.. وإن كان من المحرم على القاضى أن يتناول النص القانونى بالطعن أو التجريح كما
ذهب الفقيه (رانسون).

وهو صاحب الجرأة المحمودة وهو يجأر أمام الرئيس الشهيد أنور السادات قائلا له في حفل أقيم بنادى قضاة مصر، وبصوت جهورى يغلفه دماثة الخلق: فإذا غضبت فاغضب من نفسك أنت. وكان القاضي الفقيه يطالب الرئيس السادات أن يمحو عن جبين القضاء القوانين التى وصفت آنذاك.. بالقوانين سيئة السمعة.

وهو صاحب الأريحية التى تذكر فتشكر وصاحب الوفاء الذى يندر وجوده بين البشر.. فالوفاء خلة الأقباء.

منذ نيف وثلاثين عاما التقيته فى نادى القضاة عندما رآنى رحمه الله هش وبش بوجهه الكريم مبتدرا إياى قائلا: أهلا بابن أستاذنا صاحب مقال (اليمين).. ثم أردف قائلا: لقد عبر والدك عما جاش فى صدور القضاة برمتهم بمقاله القيم ذاك.. وكانت الدولة التى خاصمت القضاة وعسفت بهم قد أبدلت القانون الذى يقضى بأن يحلف رئيس محكمة النقض اليمين أمام رئيس الجمهورية حال تسلمه لمنصبه الرفيع إلى أن يحلف اليمين أمام وزير العدل.. فتصدى المرحوم الوالد لهذا العبث بمقال نشرته جريدة الأخبار الغراء فى يوميات المرحوم الأستاذ أحمد الصاوى محمد تحت عنوان (شئون قضائية).. ورد فيه أن هذا التعديل الذى حدث فيه خروج على القانون ومألوف العرف وفن التشريع.. وإلا فكيف يحلف وزير أمام وزير، ويزيد من وقع ذلك على النفس أن كان هذا الوزير رئيسا لإحدى سلطات الدولة الثلاث التى لها خطرها وجلالها وقدسيتهما؟.

إنها خلة الوفاء التى لا تتوافر إلا فى الصفوة المختارة من البشر.

رحم الله والذى ورحم الله أستاذنا جميعا وشيخ شيوخ القضاة المستشار محمد وجدى عبد الصمد.. وعوض القضاء خيرا عن فقدانه..



وداعا .. شيخ الدعاة .. ؟!

مات الشيخ الشعراوي! مات إمام الدعاة. مات الذى أكرمه الله ورفع ذكره واسمه فى أرضه وفى سمائه؛ مات الذى كرم الله مثواه.. مات مجدد الفكر الدينى فى مصر وفى العالم العربى والإسلامى فهو المجدد الخلاق.. والمبدع الألاق بعد الإمام محمد عبده طيب الله ثراه.. وثرأه!

زرتة فى بيته بميدان سيدنا الحسين - رضى الله عنه وأرضاه - بدعوى كريمة منه حملها إلى قريبه. وصديقه، الدكتور محمد عبد البر، وما كان لى إلا أن ألبى دعواه، وأن أحبو حبوا إلى لقياءه!.

احتفى بى رحمة الله عليه احتفاء كبيرا، أنا ومن كان فى معيتى، وجلست إليه وجلس إلى كريمنا وتحادثنا، وتناورنا. أصغى إليه، حيث يجلس قبالتى.. بأذنى وعقلى.. وهو يسمع منى ويستمع إلى بقلبه وعقله، وثاقب فكره، وعرجنا فى الحديث على تفسير كان الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد قد كتبه بخصوص آية كريمة وردت فى كتاب الله ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ [سورة آل عمران - الآية ٢٠]، وقد فسر الأستاذ العقاد هذه الآية تفسيرها الصحيح قائلا فى مقال له تحت عنوان «خطأ يتحدى الصواب» إن المفسرين درجوا على تفسير هذه الآية بأنها تعنى: قل يا محمد لمن نزل عليه الله القرآن الكريم.. وقل للجهلاء إلى آخر ما ورد بمقاله القيم وارتأى أن التفسير الصحيح لهذه الآية أن الله يأمر رسوله الكريم بأن يقول لمن نزل عليه القرآن وجميع الناس وليس الأميين الجهلاء كما ذهب المفسرون أو بعضهم.

وبعد أن انتقل الأستاذ العقاد إلى الرفيق الأعلى، نقلت عنه هذا التفسير فى مقال لى بجريدة الأخبار بتعقيب منى على مقال كتبه أحد أساتذة الأزهر الأجلاء وهو المرحوم الأستاذ الدكتور «الطويل»، فقامت الدنيا ولم تقعد حتى إن بعض شيوخنا الإجلاء هاجموني من فوق المنابر فى المساجد، وكنت آنذاك - قاضيا بمحكمة الأقصر، وما أن فرغنا من هذا الحديث حتى ألفتته وهو يؤيد - بشدة - ما ذهب إليه أستاذنا العقاد، ويقول: لقد كان الأستاذ العقاد أديبا كبيرا ومفكرا فذا، وقد تتلمذت على يديه، وقد أدى خدمات جليلة

للإسلام والمسلمين.. وهكذا يقدر الرجال الرجال، ويعرف الأقيال، الأقيال؟! .
وذهبت إليه فى بيت صديقه الأستاذ «لاشين» وكان ذلك فى شهر رمضان، وقد أصابنى آنذاك - ابتلاء شديدا فأمسك رحمة الله عليه بيدي بكلتا يديه وهو يدعو لى دعاء طيبا ويحثنى على الصبر. فإن (النصر مع الصبر).

وشددت الرجال إليه فى استراحته قبالة ضريح السيدة نفيسة - رضى الله عنها - وأنا الذى ذهبت إليه لكى أعوده فإذا به يكرر لى ذات الدعاء متوجها بكلتا يديه إلى السماء بدعاء لى ولابنى الصغير، الذى كبر الآن، وأصبح قاضيا فى مجلس الدولة، وابن شقيقتى خالد بركات الذى أضحى رئيسا لإحدى المحاكم ذهبنا لكى ندعوه له.. بيد أنه بدعائه لنا صحح الدعاء لأنه هو إمام الدعوة.. من الله به علينا فى الدنيا والآخرة. وله الأجر الكبير بكرىم الرجاء.

كان رضى الله عنه جليلا، مهيبا، عالما، أديبا.. سمحا فسر القرآن الكريم تفسيرا عبقرىا. دقيقا، جميلا. بزُّ به المفسرين وتفوق به على الأولين وملأ به الدنيا وشغل الناس.
مات الشيخ الشعراوى بعد أن خُلد بما قاله وكتبه فى الخالدين وبعد أن أفاد بعلمه الإسلام والمسلمين فى شتى البقاع والأصقاع، وأصبح علامة بارزة فى مصر، وفى العالم كله من علامات القرن العشرين وغيره من القرون.



هكذا كانت مصر ..

قرأت الأبيات الشعرية التالية للمرحوم الشاعر محمد الأسمر فرأيت فيها تصويرا دقيقا لمصر قبل الثورة.

فانظر معي وتأمل كيف كان الحال في مصر؟ وكيف كانت الأمور تسير وتصير؟.

ومصر تقلب النظرات حيرى	تروح وزارة وتجي أخرى
لقد مل الرواية شعب مصر	فيا وزراء مصر بكل عهد
لنفسى أن أقول القول جهراً	أجمجم بالمقال، وإن أشفى
بما أهوى، فلست اليوم حراً	أرونى شاعرا حراً يغنى
بها، ومصالح الأوطان أخرى	تعشقنا مصالحنا وهمنا
لمعتصر يجرعها الأمرا	فواحزنا لمصر جرت رحيقنا
ولا تلقى على الأيام خيراً	عجبت بها تغيب بكل خير

كانت الوزارات تؤلف في مصر وتجيء. ثم تغيب دون نظر إلى مصلحة الشعب فتكتفى من الذهاب إلى دست الحكم بالخروج منه، فلا يرضى الملك وحاشيته إلا ذلك، فتضيع مصلحة الشعب ويختل نظام الحكم في مصر المحروسة اختلالاً غير مسبوق وبرعونة لم يعرفها العالم من قبل؟!.



نقطة الماء.. تقدر بنقطة الدماء .. ؟!

الذى لا مرأ فيه - أن نقطة الماء أصبحت توازى نقطة الدماء كما ذهب «كليمنصو» رئيس وزراء فرنسا، منذ سنين طويلة خلت.

وقد أفصححت الإحصائيات عن أن ما يقرب من مليار نسمة أو يزيد من سكان الأرض يعيشون على سطح كوكب الأرض وليس بمكنتهم الوصول إلى المياه النقية.. وفي بعض البلدان مثل - الهند - فإن نقص المياه الجوفية سيؤدى إلى انهيار الزراعة فيها.. وفي الصومال - فى المناطق الريفية - فلا بد من السير ثلاث ساعات يوميا من أجل الوصول إلى ماء شرب نظيف؟!.

طلق العلماء يبحثون وينقبون عن الأسباب فألفوا علتها فى السرف فى استعمال المياه فقد شح الماء فى شتى البقاع والأصقاع نتيجة ذلك، وأمست قلته مع الزيادة المطردة فى السكان تمثل خطرا داهما على الجنس البشرى هى أخطر عليه من أثار القنبلة الذرية كما عبر المؤرخ الكبير «أرنولد توينبى».

سعت دول كثيرة ما وسعها السعى لتلافى أثار هذه المشكلة الداهية الدهياء للخروج من هذا النفق المظلم.. دون جدوى؟!.

ولما تزل الولايات المتحدة الأمريكية تبذل قصارى جهدها مُسخرة تنوع إمكاناتها للهيمنة على السرف فى استخدام المياه وعلى مدى عقود طويلة بغرض وضع الشروط الأساسية لإجمالى الكمية اليومية القصوى لاستخدام المياه.

وقد تطلب هذا من الحكومة الفيدرالية تحديد مصادر تلوث المياه ووضع حدود مقبولة لكل مادة ملوثة.

وها هى ذى الدول التى نضب الماء فيها - أو كاد - تستورد نحو ٢٠٪ من مائها من خلال الغذاء، ومن خلاله أيضا.. ابتاعت الدول الغنية أكثر من ٦٨٪ من مائها؟!.

لما كان ذلك، فقمين بنا أن نحافظ على هذه الثروة التى وهبنا الله إياها، وأن نعص عليها بالنواجذ، فالء وإن كان يفيض.. فهو - أيضا - يفيض.. وصدق الله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [سورة الملك - الآية ٣٠].

نقادة .. ذلك المجهول؟!

ودعت والدى.. بعد أن تكرما على بالدعاء الكريم الذى كان وسيظل سنداً لى فى هذه الحياة إثر صدور القرار الجمهورى الخاص بتعييننا فى سلك النيابة العامة.

وكان المكان الذى سوف أباشر عملى فيه - كما اختاره الله سبحانه وتعالى لنا - هو مدينة قوص، وكانت تتبعها آنذاك قرية نقادة التى انفصلت منذ سنوات عن الأولى وأصبحت نيابة مستقلة بذاتها كلاهما يتبع نيابة قنا.

كان أهل قوص فى هذه الفترة الزمنية البعيدة ولدة تنيف عن الأربعين عاماً شغلهم الشاغل هو صناعة الخمر من تقطير العنب، كنت أرى أن اقترافهم لهذا الفعل النكراء لا يتسق أو يتفق مع مكانة (قوص أو نقادة) التاريخية.

وفى التاريخ الفرعونى القديم ما استنتج منه علماء النبات أن الكروم وردت إلى مصر من آسيا، وكلمة «أرب» باللغة الفرعونية القديمة «تدل على النبيذ»، وكان من الممكن كما جاء فى الشعر الأغريقى على لسان «هيبوناكس Hipponax» و«سافو Sappho» رؤية عروش الكروم فى جميع أنحاء مصر منذ عصر الملك «ميناء» إلى عصور القياصرة، فى كل بساتين المعابد، وحدائق النبلاء، حيث كانت عناقيد العنب الأسود أو المائل إلى الحمرة كبيرة غزيرة كعيني الإله «حورس» اللتين تقول الأسطورة: إن العنب جاء منهما، وقد استخدمها المصريون القدماء فى صنع نبيذهم، وقد احتسوا منها إلى درجة النشوة.

وقد سميت مقبرة «وخمير» بطيبة «مقبرة الكروم»، ومن حقل الكروم العظيم كان يأتى طعام مصر، كما جاء فى «معجم الحضارات المصرية القديمة».

وقد كانت أول قضية أقوم بتحقيقها لها صلة بصناعة الكروم، فى تلك القرية النائية من جنوب الوادى فقد تجرع المتهم فيها - ما شاء له - أن يتجرع من قارورات النبيذ المخمر. حتى الثمالة، ثم يمم وجهه إلى الحقل الذى كان المجنى عليه يدأب على الذهاب إليه فى باكورة الصباح، وقبل أن يتنفس الفجر، لينهض على الاعتناء بزراعة حقله، أطلق عليه ثلاث طلقات من غدارة، كان يحرزها بدون ترخيص، كما أثبتت التحقيقات فيما بعد، فأردى المجنى عليه مزرعاً فى دمائه، وحمل جثته، وألقى بها فى مجرى للمياه.

وذلك بسبب عداوة بينهما قديمة، كان الشاهد الوحيد فى هذه القضية هى زوجة المجنى عليه، فى حوالى العقد الثالث من عمرها، تبدو عليها مخايل الذكاء مع مسحة من الجمال الظاهر، وقعت هذه الجريمة قبل انبلاج الفجر بقليل.

حيث كان الليل ما زال يلف ساحة الجريمة بظلامه، بيد أن نور القمر كان يبدد شيئاً من هذا الظلام.

وأثناء مباشرتنا للتحقيق دفع دفاع المتهم بعد أن قبضت عليه الشرطة وتيقنت أنه المقترب بأن موكله - لم يكن هو مرتكب الحادث، وما شهدت به الشاهدة هو إلا أضغاث أحلام، حيث إن حالة الرؤية لحظة ارتكاب الجريمة، لم تكن تسمح للشاهدة أن ترى الفاعل، ومن ثم طلب إخلاء سبيله من سراى النيابة.

بيد أن الشاهدة أصرت على أنها رآته رأى العين حال إطلاق الرصاص من غدارة كان يحملها وولى الأدبار.

بعد انتقالنا لمكان الجريمة الذى يقبع فى مكان بعيد عن العمران، وكانت القرية ساعتئذ تغط فى سباتها وكان البادى للعيان أن صولة الدهر قد أتت على مبانيها القديمة فتناثر على بيوتها لجج من التراب ويلفها ظلام دامس، حيث إنه من المعروف أن أشد ساعات الظلام هى أشد أوقات الحلكة هى تلك التى تسبق الفجر الصادق بلحظات، كانت القرية لا حركة فيها، ولا صوت، إلا من عواء ذئب، أو نباح كلب، أو صياح ديك، مع شعاع باهت ينبعث من نور القمر الذى كان يتوسط كبد السماء.

قمنا بمعاينة ساحة الجريمة، وبصحبة الشرطة التى كانت فى معيتنا، وناظرنا الجثة التى عثر عليها طافية على صفحة المياه، وأمرنا بتشريحها لتبيان سبب الوفاة، وأخذاً بحق الدفاع قررنا أن نجرى معاينة ضوئية فى مثل اليوم والساعة اللتين ارتكبت فيهما الجريمة بعد شهر من وقوعها، وأرسلنا خطاباً إلى مصلحة الأرصاد الفلكية لتحديد ذلك، وإذ ورد خطابها محددًا اليوم والساعة الذى يواكب وقت ارتكاب الجريمة.

وانتقلنا مرة أخرى إلى أرض الجريمة استكمالاً للتحقيق بعد أن أحضرت الشرطة مجموعة من الرجال متمائلين فى الطول والحجم مع هيئة المتهم، أوقفتم صفا ونودى على الشاهدة بعد أن مرت عليهم فرداً فرداً لتكشف لنا عن المتهم الذى قتل المجنى عليه، فأشارت على المتهم عينه، الذى أثبتت تحريات الشرطة إنه هو الذى قام بتنفيذ فعلته،

وكررنا العرض عليها مع اختلاف الملابس والهيئات، فأشارت عليه مرة أخرى، بل ومرة
ثالثة.

وعند سؤالى لها: هل هذا هو الذى شاهدته - بعد أن أشارت إلى أحد الواقفين فى طابور
العرض - وهو يطلق الرصاص على المجنى عليه؟. جذبتنى من «سترتى» بشدة، وقالت لى
وبحدة - وبلهجة صعيدية: حاتجلى «هودا إल्ली قتل زوجى».
تصرفنا فى القضية على الوجه الذى اتفقنا عليه أنا وزميلي الأستاذ «محمود عبد الحميد»
الذى هو الآن المستشار رئيس محكمة الاستئناف، والذى كان يتميز، بالأدب الجم، وسعة
الأفق. حيث إن له تواليف فى الفكر والأدب.

تداعت الذكريات إلى عقلى فسألت نفسى: ترى ما الذى يأتى به الزمان للبشر بل
وللحجر، «فنقادة» هذه قد سُميت فى بعض عصور مصر القديمة باسمها، فكان هناك عصر
«نقادة الأولى» (٤٠٠٠ ق م - ٣٥٠٠ ق م) كما أن ثمة حضارة «نقادة الثانية»، ناهيك عن
حضارة «نقادة الثالثة» (٣٣٠٠ ق م - ٣١٠٠ ق م)، وهى الفترة التى اكتشف فيها المصريون
القدامى النحت البارز الذى احتل مكانا مهما فى العصور اللاحقة؟!.
وما أعجب ما يأتى به الزمان فى كل عصر وأوان؟!.



من تعاليم قدماء المصريين ..

خَلَّف قدماء المصريين لنا ثروة زاخرة بشتى المعارف والفنون فى عالم التربية والتعليم مما يدل دلالة أكيدة على أن مصر صاحبة أقدم مدنية فى التاريخ كانت دائما مشعل النور للبشرية قاطبة: والمعلم الأول لها.. وهاك مقتطفات من تعاليمهم ونصائحهم: يقول «بتاح حتب»:

كن مسالما لجميع الناس، إياك والكبر والغرور، وسوء الخُلُق والحدة فهذه تنفر الناس منك، الخلد لك زوجة وابتعد عن حبائل النساء - قريبات كن أم غريبات. تجنب الخصام ولا تجعل البشر يفارق مُحياك دائما. عش سعيدا متى استطعت وبقدر ما تستطيع تجهد نفسك فى العمل أكثر من حاجتك.

وإذا تكلم من يفصلك علما وحكمة فأنصت له فى خضوع ولا تغضب منه إذا خالفك فى رأى «تجنب كلام السوء معه ولا تعارضه إذا تكلم» وإذا كان محدثك زميلك ويناظرِكَ فلا تسكت إذا قال لك وهو يحاورك شيئا، وإذا كان محاورك دونك منزلة فلا تحتقره لأنه وضع القدر، ولا تصب عليه غضبك فمن العار أن تترك ضعاف العقول. وحاذر أن تخلق لك بالكلام من الناس أعداء، ولا توقع بين الناس بقلب الحقائق ولا تفشى ما يسر به الناس إليك، وإذا كنت قويا فاكسب احترام الناس بعلمك وظرفك، تكلم بقوة ولا تسكت وأضبط نفسك، ولا تظلم من اكتنفته الأحزان والشجون، وإذا تنكب أحدهم الصراط السوى - رغم نصحك له - ثم غفرت له زلته فلا تذكر له بعد ذلك أنه قد أصم أذنيه عن النصح.. فهوى.

يقول المؤرخ «جميس هنرى برستيد» فى كتابه القيم «فجر الضمير»: وإنه لمن المتع حقا أن نعرف الوقت الذى بدأت تظهر فيه نفس كلمة «أخلاق» أو «خُلُق» لأول مرة فى كلام أبناء البشر. لقد بدأ ذلك فى عصر الأهرام، وسرعان ما صارت متداولة فى موضوعات التعليق والتأمل. ففى حكم بتاح حتب نرى ذلك الوزير الحكيم المسن يذكر ابنه بأن الفضيلة فى الابن لها قيمة عظيمة عند الوالد، وأن «الأخلاق» الحسنة شىء جدير بالذكر. وبذلك ينسب أقدم استعمال لتلك الكلمة إلى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد وبعد انقضاء نحو خمسة قرون على انقضاء ذلك العهد، نلفاها أى كلمة «أخلاق» فى تلك النصائح التى وجهها أحد الفراعنة إلى ابنه مريكارع حيث يقول: «إن الله عز وجل الذى يعرف الأخلاق».

وقد تتطورت كلمة «الأخلاق» كما يقول «برستيد» إلى نظام جديد يتمثل في حكماء أخلاق المصريين. فأضحى يعبر عندهم بكلمة (ماعت) التي تعنى (الحق) و (الاستقامة) و (العدل) و (الصدق).. مما يعنى أن المصريين هم الكاشفون للأخلاق، وانتقلت منهم بعد ذلك إلى الكنعانيين أهل فلسطين. ومنها انتقلت بعد ذلك إلى العبرانيين، وقد كان أعظم كشف جاوز حد المؤلف في هذه الناحية هو أننا عرفنا أن حكمة أمينموبى، التي حفظت لنا في ورقة مصرية بالمتحف البريطانى، قد ترجمت إلى العبرية في الأزمان الغابرة، وأنه بذيوها في فلسطين، صارت مصدرا استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال في التوراة.. لقد أضاف هذا الكشف أهمية بعيدة المدى إلى الحقيقة القائلة بأن التقدم الحضارى فى الممالك التى تحيط بفلسطين كان أقدم بعدة آلاف من السنين عن التقدم العبرى، ولقد أصبح من الواضح الجلى أن التقدم الاجتماعى والخلقى الذى أحرزه البشر فى وادى النيل الذى يعد أقدم من التقدم العبرى بثلاثة آلاف سنة، قد ساهم مساهمة فعلية فى تكوين الأدب العبرى الذى نسميه نحن (التوراة).

وقد كان قدماء المصريين يتحلون (بالعدل) وكانو يصرون على تحقيقه دائما، ففى خطاب الوزارة الذى كان يلقيه الفرعون بمناسبة تعيين الوزير - أى رئيس الوزراء حاليا، كان فرعون مصر يعظ الوزير ويأمره بمراعاة العدل بين الناس وعدم إذلال الشعب أو مدهانة الأمراء والمستشارين والكبراء، أى أن فرعون مصر لم يكن غافلا عما قد يحدث من تجاوزات، يقول الفرعون لهذا الموظف الكبير «واعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق، واعلم أنها (يعنى الوزارة) لا تعنى إظهار احترام أشخاص الأمراء والمستشارين، وليس الغرض منها أن يتخذ بها الوزير لنفسه عبيدا من الشعب. واعلم أنه عندما يأتى إليك شاك من الوجه القبلى أو البحرى، أو من أى بقعة فى البلاد، فعليك أن تطمئن إلى أن كل شىء يجرى وفق القانون، وأن كل شىء قد تم حسب العرف الجارى، فتعطى كل ذى حق حقه، واعلم أن الأمير يمثل مكانة بارزة. وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله، واعلم أن كل ما يفعله لا يبقى مجهولا أبداً».

ثم يحذر الوزير من الطغيان والتحيز قائلا «فلا تنس أن تحكم بالعدل لأن التحيز يعد طغيانا على الإله. وهذا هو التعليم (الذى أعلمك إياه) فاعمل وفقا له وعامل من لا تعرفه، والمقرب من الملك كالبعيد عنه، واعلم أن الأمير الذى يعمل بذلك سيستمر هنا فى هذا المكان» ولا تغضب على رجل لم تتحر الصواب فى أمره. من تعاليم أمينموبى للالتزام كبار الموظفين للعدل:

لا تفسدن رجلا في قاعة المحكمة (أى تجعله يشهد زوراً).
ولا تزعجن الرجل المحق (كى يعدل عن شهادته).
ولا توجهن كل التفاتك إلى فرد قد لبس ملابس بيضاء.
بل اقبله في خرقة الباليه.
ولا تقبلن هدية رجل قوى.
ولا تظلمن الضعيف من أجله.
لأن العدل هبة عظيمة من الله.
وسيعطيها من يشاء.

ومن قيمهم أيضا - مما يدخل في باب العدالة - تقديس الحق. يقول الحكيم بتاح
حتب «إذا كنت حاكما تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة، حتى
تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها. إن الحق جميل وقيمه خالدة، ولم يتزحزح من مكانه
منذ خلق لأن العقاب يحل بمن يعيث بقوانينه، وقد تذهب المصائب بالثروة، ولكن الحق
لا يذهب، بل يمكنك ويبقى».



من قاض مصرى إلى حاكم العراق..

لا أخفى عليك أيها السيد الرئيس أننى كنت معجبا بك ذات يوم قريب يوم نقلت إلينا الصحف أنك ألقيت القبض على ابنك عدى وزججت به فى غياهب السجن لقاء ما اقترفت يده من قتله حارسه الخاص وعندما توسط إليك وتوسل لك سادة العراق لكى تخرجه سبيله رفضت رفضا قاطعا الانصياع لما يطلبون وقلت بالحرف الواحد، لن أعفو عن هذا الرجل. قلت فى نفسى آنذاك: هذا رجل عظيم وفكرت فى أن أحرر لك خطابا أنهى لك فيه إعجابى بك واحترامى إياك، فإن لم يكن فى موقفك هذا إلا أنك سقت ابنك إلى السجن ردعا وزجرا له لكفى ذلك، لكى يعرف الجميع أنه لا فرق بين حاكم ومحكوم.

وتذكرت على الفور قصة عمر بن الخطاب، مع حاكم مصر عمرو بن العاص عندما ضرب ابنه أى ابن عمرو أحد أتراكه صافعا إياه على وجهه. فلما تضرر المضروب قال له الضارب. إلا تعرف من أنا؟ إننى ابن الأكرمين.

فرفع المضروب مظلمته إلى عمر بن الخطاب فأمر عمر رضى الله عنه عمرا ابنه مع بعد الدار ومشقة المزار أن يمثلا بين يديه، فلما مثلا قال عمر للشاكى: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك. وعلا بدرته صلعة عمرو وقال له قولته التى ذهبت فى أسمع الزمن مذهب الخلود: متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد ولدتهم أماتهم أحرارا.

هل تفتح قلبك يا سيادة الرئيس لقاض مصرى لكى يقول لك كلمة الحق التى تشربها منذ نعومة أظفاره إذا علمه أبوه رحمة الله عليه، وكان قاضيا فاضلا كبيرا أن الحق أبلج والباطل لجلج، وقد علمنا القضاء إنه لا جناح على المرء أن يعود إلى محجة الصواب. وأن يرجع إلى كلمة الحق إذا ما تبين له أنه سدر فى طريق الباطل.

السيد الرئيس: لقد أخطأت خطأ جسيما يوم أن جست بجيشك خلال الديار الكويتية.. ويوم أن تهددت بجحافلك أرض الله.. أرض المملكة العربية السعودية.. هذا البلد الأمن الذى كرمه الله فى كتابه الكريم على لسان نبي الله إبراهيم عندما دعا له: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [سورة إبراهيم - الآية ٣٥] ويوم أن استقدمت بفعلك - وعملك وما أتته يدك - الجيوش الأجنبية تطأ بأقدام جنودها أرضنا المقدسة وتجتثم على صدورنا.. وتنوء على كاهلنا بكلكلها.

السيد الرئيس .. أرجوك أن ترهف أذنيك لكلمة الحق وأن تفتح قلبك لنداء العقل الذي ناداك فلم ترد عليه ونصحك فلم تلق بالا إليه ..
اسحب جيشك وعد إلى بلدك .. وارض ربك أرضاك الله. حقنا للدماء.
فهل تلبي هذا النداء وذاك الرجاء؟.
إن فعلت وأضرع إلى الله أن تفعل .. فسوف تدخل التاريخ من أوسع أبوابه مثلا للرجولة ومثالا للرجوع إلى الحق.
وصدق عمر بن الخطاب : ارجع إلى الحق.. فإن الحق قديم.
والسلام على من اتبع الهدى..



ملحمة أكتوبر السادات .. وصائد الدبابات

والملحمة هي وكما جاء في «لسان العرب»: الوقعة العظيمة القتلى. كما قيل إنها موضع القتال.. يقولون: اليوم «يوم الملحمة» كما كان في فتح مكة. وألحمت القوم أى قتل الخصوم أعداءهم حتى صاروا لحما.

وهكذا كانت ملحمة اليوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ففي تمام الساعة الثانية ظهرا وأربع دقائق أنطلق نسور الجو يحطمون قواعد إسرائيل الجوية حتى سويت بالأرض، وفي تمام الساعة الثانية ظهرا وأربع دقائق وقفت «أخت يوشع» في كبد السماء كما فعلت من قبل مع «يوشع النبي» وهو يحارب أعداءه.. تشاهد خير أجناد الأرض يمحرون بقواربهم عباب القناة إلى حيث الهدف المعلوم بعد أن سلطوا «خراطيم» المياه الجبارة على الساتر الترابى الذى يخفى رؤوس الأعداء عن عيونهم كاشفة لهم عنها، وعن مرابضهم التى تحولت فى دقائق إلى بقايا أشلاء تناثرت فى الهواء بما فيها وما تحويها فأمست أشلاء تذروها الرياح. حتى أن «موشى ديان» صرخ وبحدة فى وجه «أياهوزعيرا»: لو لم أكن متأكدا أنه لم يبق خبير سوفيتى واحد فى مصر لقلت إننا نحارب روسيا نفسها. وتساقطت نقاط بارليف الحصينة التى كان الطريق لها وعرا والمرتقى إليها صعبا بل من ضروب المستحيل، كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف، وتوغل الجيش المصرى إلى قلب سيناء فى يوم الاثنين الثامن من أكتوبر حتى إنهم أطلقوا عليه «الاثنين الأسود فى إسرائيل».

وتدفقت الموجات تلو الموجات من جنود مصر الأبرار وهم يصيحون صيحة النصر التى كانت قد غابت عنهم كثيرا وهم يرددون «الله أكبر.. الله أكبر» ينقضون على المخابئ التى يختبئ فيها عدوهم اللدود حتى دب الرعب فى قلبه وأصابه الفزع الأكبر واستبد به الشعور بأنه قد أمسى - لا محالة - فى عداد الأموات فما كان من كبيرتهم «جولداماير» إلا أن هُرعت إلى الهاتف، والدمع تذرفه فى الخد عيناها - تستصرخ رئيس الولايات المتحدة «نيكسون» قائلة له «Saif Israel» ويلبى «نيكسون» - بعد حين - نداءها ويأمر بفتح ترسانات السلاح الأمريكى لها مقلّة إياها إلى - ربيبتها - إسرائيل عبر الأجواء والبحار والأنهار. وأضحى جيش مصر حديث العالم من أدناه، إلى أقصاه فما أن طرق سمعه الأخبار، أخبار العبور الجسور - حتى تساءل: هل كذبتة أذناه؟!.

فقد كان الجيش الإسرائيلي قد أشاع وأذاع عقب حرب ١٩٦٧ أنه صاحب الأذرع الطويلة، وأنه الجيش الذى لا يقهر. ففى ستة أيام دانت لهم أرض مصر سيناء بما رحبت فقد اغتصبوها على - حين غرة - وداسوا بدباباتهم ومدركاتهم على جنود مصر، وهم أحياء بل ودفنوا منهم البعض وقد كانوا ومازالوا أحياء فى باطن أرض سيناء بعد أن ضربوا مصر فى مقتل وهيئ لهم أنها قد ماتت وأنى لها أن تعود إلى حياتها من جديد؟!.

كان السادات محرر الأرض والعرض من قبلها - قد تيقن أن القوتين العظيمتين روسيا وأمريكا يحرصان على وجود إسرائيل، وبالإيمان بالله والخضوع للواحد القهار سدد الله خطى السادات وبث الثقة فى قلبه وأن النصر آت لا ريب فيه وذلك بعد أن سخرت منه الشعوب العربية وهزأت منه الدول الغربية وأغرقته فى النكات والتشنيعات هازئة من قولته «أنه سيحارب»؟!.

واتخذ السادات القرار واستطاع جيش مصر بجنوده وقواده البواسل وفى (ست ساعات) وليس (ستة أيام) عبور المانع المائى العظيم الذى لا يضاهيه إلا «قناة بنما» وحطم خط بارليف وهو أقوى خط دفاعى فى التاريخ يبدأ من قناة السويس بعمق أثنى عشر كيلو مترا فى عمق شبه جزيرة سيناء بتجهيزات حربية مُشكِلا ستة عشر موقعا حصينا تقع جنوب القناة عند التقاء البحيرة المرة الصغرى بقناة السويس وكان أمنع من خط «ماجينو» الذى أقامته فرنسا على حدود المانيا لمنع تقدم القوات الألمانية، وأشد من خط «بارت الدفاعى» الذى شيدته فرنسا - كذلك - على حدود تونس لصد أى هجوم محتمل عليها. انهار خط بارليف الذى كان رمز القوة والمناعة لإسرائيل ورمز الإهانة لمصر، وتلاشت تحصيناته وفتح الطريق لجيش مصر الذى إستولى على القنطرة شرق ورفعت أعلام مصر خفاقة على أرضها.

وسجل تاريخ الحروب فى أنصع صفحاته بطولات جنود مصر على أرض سيناء بدماء الشهداء البررة الأوفياء. فهاهوذا القائد الذى تحول من الدفاع إلى الهجوم محققا معجزة عسكرية من النادر تحقيقها بعد أن بتر ساقه برصاص العدو، دون أن يشعر وهو «اللواء عادل يسرى» وذاك هو «عبد الوهاب الحريرى» الذى قلده السادات نجمة سيناء لبطولاته وذاك هو الفريق فؤاد غالى الذى قاد فيلقه بنجاح إلى عبور القناة وهؤلاء هم «سعيد خطاب وفؤاد بسيونى والشهيد أحمد شكرى، ومحمد العباسى» الذى كان أو من رفع العلم المصرى فوق سيناء، وغيرهم المئات والمئات من أبطال جيش مصر الغر الميامين.

ثم يجئ محمد عبد العاطي صائد الدبابات.. المقاتل الأسطورة الذى دمر بمفرده ماينيف على العشرين دبابة خلال نصف الساعة وبث الوجل فى قلب الإسرائيليين، كذلك العقيد يسرى عمارة الذى «أسر عساف ياجورى» قائد اللواء ١٩٠ المدرع الإسرائيلى الذى وقع جنوده بين يديه وسيقوا إلى مخفرهم فى شكل ذليل مهين.

يقول إسحاق بن هارون: «إن الكذبة الإسرائيلية التى وقرت فى أذهاننا أن إسرائيل لا تقهر.. «قد قُهرت» ببسالة جنود مصر الذى اندفعوا كالسهم إلى قلب إسرائيل يمضون إلى رميتهم فى عزيمة ومضاء إلى الهدف - لا يحدون عنه ولا يحدون، وذاقت إسرائيل وبال أمرها بعد أن لجت فى غرورها ولقنت من جيش مصر درسا بليغا ليما لن تنساه، عبر كر السنين وتعاقب الأيام.



مصطفى أمين .. فى ذكرى الأربعين ..

فى ذكرى الأربعين للكاتب الكبير «مصطفى أمين».. هل لنا أن نقول ما قاله عبقرى الفكر «عباس محمود العقاد» فى رثائه فى ذكرى الأربعين لزعيم مصر الخالد «سعد زغلول».

أحقا قد مضى بعد الرئيس الأربعون عجباً فكيف أذن تمضى السنون؟
حملة الآلاف ومشوا به فى موكب مهيب ومشهد عن العيون لا يغيب، لم يكن وداعه وداع صحفى أديب، أو كاتب ألمعى أديب. بل وداع زعيم لبيب ترك أثراً. وخلف أثراً، وزرع أشجاراً من الود وجعلت له فى كل بيت من بيوتات مصر حبيب.
فهايتك الدموع التى انسابت من المأقى. ثم انتالت بعد ذلك من الأقلام، وتلك الشجون التى شاهدها فى عيون الأنام. وهى تودع بسويداء قلبها، الفارس الذى عاش مع كر السنين وتعاقب الأيام، يحارب الظلم ممتشقا قلمه وكأنه الحسام، وهو فى ذات الوقت يدعو ملحفا إلى نبذ الخصام وإحلال اللثام، وينشر جاهداً (فكرة) الحب والخير ودعوة الوفاء والسلام.. وهى تؤمل لو أنه عاد مرة أخرى إلى الحياة؟؟ فما كانت ترجو له إلا الحياة، ولكن هيهات هيهات فذلك حلم لا يرام..!؟.

فهاهوذا يغادر بجسده «الدار» الفانية.. إلى الدار الذى طاب له فيها المقام، والجميع يسأل ويتساءل:

أحقا مات مصطفى أحقا خمد القلم وانطفأ؟؟
أحقا مات فارس الكتّاب أحقا ولى مصطفى وغاب؟؟

وها هى ذى الألسنة التى كانت تهاجمه تحييه، وهاهى ذى القلوب التى تعلقت به حبا تناجيه، فهذا شاب فى مقتبل عمره مع كوكبة من زملائه ومريديه. وهذه امرأة (أثقل الإملاق ممشاه) تولول عليه وتبكيه وهذا شيخ فان يلهث وراء نعشه (الكريم) ويرى حياته فيه. وهذا طفل صغير ينادى عليه بملء فيه، وهذا شعب مصر عن بكرة أبيه، والحزن؟ كيف يخفيه؟، يودعه ويرثيه، والذى لا مشاحة ولا مزية فيه. أن أحدا من العظماء أو الكبراء، لم يفز بالألقاب التى أغدقت على مصطفى أمين بعد مماته، وهى صفات - حقاً - متأصلة فيه، فهو فى (رأى الشعب) فارس الكلمة الحرة ومقارع الطغاة المستبدين والمتكبر على المتكبرين.. (والكبر على المتكبر فضيلة).

وآخر العمالقة من الصحفيين وأستاذ مادة الصبر، وصاحب الأيادى البيضاء، ونصير
الفقراء، ومحامى البوساء، والشجاع صاحب القلم الشامخ ورائد الصحافة الإنسانية، ورئيس
تحرير الصحف المصرية، وفقيد الأمة العربية (والحارس القضائى) على الحرية والديمقراطية
إلى آخر ما أتت به القرائح فى وصف مصطفى أمين.
وسلام عليك مصطفى أمين.. وعظيم أنت (شعب مصر) الوفى الأمين.
ووداعا صاحب الكلمة الحرة ..



مجلس الدولة .. حامى حمى الحريات فى مصر ..

يقول أرسطو فى كتابه: «علم الأخلاق».. السلطان.. محك الإنسان.
ذلك أن شر الناس هو ذلك الذى يضر نفسه والناس، وأن الرجل الأكمل ليس هو الذى يستخدم فضيلته لنفسه بل هو ذاك الذى يفيض بها على غيره، لأن هذا أمر شاق دائماً، حينئذ لا يمكن أن يعتبر العدل مجرد جزء من الفضيلة بل هو الفضيلة ذاتها، وإن الظلم الذى هو ضده ليس جزءاً من الرذيلة.. بل هو الرذيلة بتمامها.

فى غضون عام ١٩٤٦ ارتفعت هامة العدل فى مصر.. هامة رفيعة عالية القدر وضاحة الجبين فقد إنشئ مجلس الدولة المصرى. هذا الصرح الشامخ للعدل فى مصر وأصبحت رسالته - كما نرى - هى فى عبارة وجيزة: «أن ينزع سلاح الظلم من الإدارة وأن يسبغ عليها إهاب الفضيلة».

وذلك بعد أن وأد الجهلاء والمستبدون محاولة إنشائه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمقتضى الأمر الصادر من الباب العالى فى ٢٣ أبريل ١٨٧٩.
أصبح مجلس الدولة حقيقة واقعة، بل حقيقة رائعة على حد تعبير العلامة الدكتور «عبد الرزاق السنهورى» ثانى رئيس للمجلس الموقر.

وبهذه المثابة فقد أعلنت الدولة المصرية - فى حقبة من الزمن - أنها تقف بجانب الحق والقانون، وإنها لا تظلم ولا تتعثر و اشأبت قامة المجلس وزكا عوده، واستوى بشرا سويا.. روعته فى رسالته.. ورسالته فى أن الأفراد والجماعات رأوا فيه غوثا للملھوف ولياذا للعائذين، ومعتقلا للحريات..

يعمل فى صمت وسكون، يعاون الإدارة ويفتح لها الأبواب الموصدة، وينير أمامها الطريق القويم المستقيم، «فهو الصديق الناصح»، فلا أحب إلى نفسه من أن يجنب صديقه مزالق الخطأ، ومهما لقي فى عمله من نَصَب ومهما أصابه من عنت فهو لا يحفل بما يعترضه من الصعاب.

وإذا كان القضاء فى كل أمة هو قدس الأقداس، إذ أن العدل هو أساس الملك، فالويل كل الويل لأمة لا توقر قضائها، أو تعتدى على حرمة قضاتها.

ومجلس الدولة - منذ إنشائه - يقوم على رسالة بالغة الخطر، فهو إلى جوار كونه ساعد الدولة فى الفتيا والتشريع ومستشارها الناصح الأمين فى المسائل الدولية والدستورية

والقانونية يقوم بمهمة القضاء الإدارى لإنصاف الشعب من حكامه ، إن تحيفوه أو انحرفوا عن محجة الصواب واندفعوا فى بحر الظلمات فشدتهم الشهوات إلى قاع اليَم فغرقوا فى ظلماته.

ومجلس الدولة منذ إنشائه قد أدى واجبه كما ينبغي . فتعرض فى عهد الطغيان السابق لما تعرض له من كيد الكائدين فاعتدوا عليه اعتداء جسيما . واقترفت أيديهم أمرا إدا ، أليما جسيما ، أمسى وصمة فى تاريخ من فعلوه واقترفوه بعدوانهم المشين على هذا الرجل العظيم الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا - فى ٢٩ مارس ١٩٥٤ - ولولا أن ارتضى سكرتير العلامة السنهورى عليه ليحميه من الاعتداء لفاضت روحه الطاهرة - آنذاك - إلى بارئها.. وثنت الإدارة - بعد ذلك - بعزل الدكتور «السنهورى» من منصبه كرئيس لمجلس الدولة فى ١٥ أبريل ١٩٥٤!؟.

ثم كان القانون الذى أنزل القارعة بمجلس الدولة ورجالاته ، بعزل عدد من فقهاء وعلمائه وإحالتهم إلى مناصب غير قضائية فاكتملت فصول هذه المذبحة باستباحة حرمة القضاء وقدسيته ، وشرف رسالته باغتيال مجلس الدولة «قاضى المشروعية» وكافل الحريات الفردية بعد أن أضحى ركنها الركين وموئلها الحصين وقبلة المستضعفين وملاذ المظلومين ولهذا جميعه تربصوا به الدوائر وقد سبق أن عن لهم من قبل فكرة إلغائه ومحوه من الوجود.

ومضى المجلس فى رسالته الجلييلة فلم تلن قناته . أو تقل شبائته ولم يستبدل المجلس - ذات يوم - خشونة المضاجع بلين المخادع وبمم وجهه نحو إحقاق الحق وخذلان الباطل بل وسحقه ومحقه ، بفطنة غالبية وفراسة صادقة وفهم دقيق لكل ما يعرض عليه من ظلم للناس من خلال مايحيق بهم من محن أو إحن.

جاء فى كتاب «تاريخ القضاء فى الإسلام» لإياس بن معاوية : «أنه لما ولى القضاء بالبصرة طارصيته وذاع صوته.. حتى جاءه الناس يطلبون منه أن يعلمهم القضاء ، فكان يقول لهم: إن القضاء لا يعلم (إنما القضاء فهم) ولكن قولوا علمنا العلم . وهل الفن إلا فهم؟! .

كما جاء فى كتاب «بدائع الصنائع» : «نُصِبَ القاضى فرض ، لأنه ينصب لأمر مفروض وهو القضاء».

كما أن «أرسطو» فى كتابه «ديموندو de mundo» «يريد أن يشرب القاضى الشاب منذ حداثة عهده حب العدل وأن يسلك سبيله . ولا يكفى لذلك أن يقتصر على ما تعلمه فى المدارس بل لابد له من تطبيقات يلتمسها فى دور القضاء».

وبنصب وبفهم حقيقي للأمور بذل مجلس الدولة قصاره بالضرب على أيدي الطغاة والفاستدين ممن أرادوا أن يفتتوا على كرامة المواطنين وحرياتهم بأن وضعوا معوقات تتمثل فى تقييد حق التقاضى بوسيلة أو بأخرى بما يؤدى إلى مصادره كلياً، أو جزئياً، بصور بعض القوانين أو التشريعات المتضمنة النص على حظر الطعن على القرارات أو الأوامر، أو أن يأتى هذا التقييد أو الحظر نتيجة لما يسمى «بنظرية أعمال السيادة» أو نظرية «الظروف الاستثنائية» والتى بمقتضى كل منهما يتم حظر اللجوء إلى القضاء بصور - هاتيك - القرارات والأوامر الصادرة من جهة الدولة استناداً إلى أى من هاتين النظريتين أو كلاهما. ومن هنا جاءت أحكام مجلس الدولة تترى فى التأكيد على أن لكل مواطن الحق فى التقاضى.. هذا المبدأ الضارب فى القدم قدم التاريخ نفسه - إذ عرفه الفراعنة القدماء واتخذوا له إلهاً أسموه (إله الحق).

جاءت أحكام مجلس الدولة الرفيعة الجليلة لتؤكد الآتى :

أولاً: «مبدأ المساواة أمام القانون إذ طبقت محكمة القضاء الإدارى مبدأ المساواة أمام القانون فى العديد من أحكامها ومنها الدعوى رقم ٢ لسنة ٤ ق جلسة ١٩٥١/٢/٦ وتجمل وقائعها فى أن: أحد المواطنين طعن أمامها على قيام المجلس البلدى بنقل المصباح المقام أمام منزله ناعياً.. على هذا القرار مخالفته للقانون على سند من القول بأن منزله يقع داخل كردون المدينة وفى مدخلها وهو يدفع على هذا المصباح عوائد، كما أن نقله قد أدى بالمنطقة الواقع بها منزله إلى أن يكتنفها الظلام الشديد. قضت المحكمة بإلغاء القرار المطعون فيه بنقل المصباح وقالت فى أسباب حكمها: إن الأسباب التى تدرج بها المجلس البلدى فى نقل المصباح لا تؤدى إلى النتيجة التى ذهب إليها وأن المجالس البلدية يجب أن تراعى المساواة فى توزيع الخدمات أمام الناس».

كما تبنت محكمة القضاء الإدارى مؤيدة من المحكمة الإدارية العليا بذات الاتجاه الذى كفل مبدأ المساواة أمام القانون فذهبت إلى أن تقرير أى استثناء أو تمييز لأحد دون أحد يتعارض مع مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص الذى أوجبه الدستور.

كما أكدت كذلك حق المواطنين جميعاً فى عدم التمييز بين المواطنين فى الحصول على التعليم العالى لما أن هذا التمييز فضلاً عن إخلاله بمبدأ المساواة فإنه يهدر مبدأ تكافؤ الفرص بين الشباب.

ثانياً: أكد مجلس الدولة على حق المساواة أمام الوظائف والتكليف والتعبئة العامة.

ثالثا: حماية مجلس الدولة لحق الحرية الشخصية التى هى ملاك الحياة الإنسانية كلها لا تخلقها الشرائع بل تنظمها ولا توجد لها القوانين بل توافق بين شتى مناحيها. وتمثل حماية مجلس الدولة فى ذلك فى الأحكام والفتاوى الصادرة عنه بشأن الحرية المدنية للفرد وحرية الإقامة فى المكان الذى يحدده الشخص، وعدم جواز إبعاده عنه، وكذا حرية الشخص فى التنقل وحرية السفر والترحال، وحقه فى الأمن والأمان. وأسبغ مجلس الدولة الحماية على الحرية الشخصية التى توصدها - الدولة بالأغلال والتمثلة فى قرارات الإعتقال ووضع الموانع أمام حق التقاضى.

رابعا: كفل مجلس الدولة - منذ ولادته - حق الحرية البدنية وحرية اللبس للمواطنين وطالما لا يتعارض ذلك مع العرف والتقاليد والآداب العامة.

خامسا: صان مجلس الدولة حرية الإقامة باعتبارها أحد صور الحرية الشخصية التى كفلها الدستور لكل مصرى فى الجهة التى يبتغيها.

سادسا: قرر مجلس الدولة لكل المواطنين حرية السفر من مكان إلى آخر باعتبار أن هذا الحق المقرر هو فرع من الحرية الشخصية للفرد لا يجوز الحد منه أو انتقاصه إلا لمصلحة عامة فى حدود القانون واللوائح.

سابعا: تصدى مجلس الدولة لقرارات الاعتقال مراقبا إياها، مفندا جدواها مع بيان مدى مشروعيتها وتعويض المعتقلين عنها سواء من الناحية المادية أو الأدبية.

ثامنا: كما قنن مجلس الدولة الحق فى الجنسية والنسب - للمصريين - بحسبانها رابطة سياسية وقانونية بين المواطن والدولة.

تاسعا: دافع مجلس الدولة عن حرية العقيدة وحرية الرأى بأحكام مقننة من المحكمة الإدارية العليا، ناهيك عن حق حرية الصحافة والنشر وحرية التعبير الفنى.. حتى غدا - بأحكامه التى صارت نبراسا - هو (حامى حمى الحريات فى مصر).



متحف محمد عبده ..

فى مستهل هذا القرن والناس فى حيرة من أمرها. وظلام المستعمر الإنجليزى يكاد يلف المصريين جميعا بظلاله الداكنة - ظهر رجل استطاع - على قول الدكتور عثمان أمين - بما أذاع من تعاليم خصبة قوية أن يدعم مبدأ الاجتهاد العينى، وأن يحمل لواء الحرية الفكرية، وأن يرفع مرتبة القيم الروحية، وأن يؤدى للعقل ما ينبغى له من احترام، واستطاع أن يؤيد أمام بطش القوة حقوق الضمير، ومطالب الأخلاق، واستطاع بعنايته الدائمة ألا يفصل الفكر عن العمل ولا العلم عن الدين، وأن يعود بالفلسفة الإسلامية إلى أحسن تقاليدها وأن يفتح لها فى الشرق والغرب آفاقا بعيدة..

ذلك هو المرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده الذى مرت بنا ذكره فى ١١ يوليو الجارى دون أن تنال حقها من التكريم.. ولن نستطيع أن نرد له بعض أفضاله علينا إلا بإقامة تمثال له فى أحد ميادين القاهرة وتحويل بيته إلى متحف دائم..

وها هو ذا أستاذنا «العقاد» يؤلف فيه كتابا الإمام محمد عبده، عبقرى الإصلاح والتعليم، جدير بإمعان النظر فيه، حتى يعلم من يقرأه من هو الأستاذ الإمام وكيف كانت عبقريته فى الإصلاح التعليمى، والتجديد الدينى حتى استقر جل المفكرين على اعتباره أحد فلاسفة التنوير فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.



مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء

جاء الإسلام ليضع حدودا ويرسم حقوقا، فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى.. فلا بد أن تكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة. كما عبر أحد الفقهاء يقول الله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص - الآية ٢٦].

إذن فالخليفة هو القاضي.. والقاضى هو ظل الله فى الأرض، ولا يجوز بصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه «الإفرنج»: «التيوقراطى «أى» السلطان الإلهى.. فهو عندهم يتلقى الشريعة من الله.. وله من الأثرة بالتشريع.. وله فى رقاب الناس حق الطاعة.. وبهذه المثابة فرضت الكنيسة فى العصور الوسطى، حق السيطرة على جميع مناحى الحياة، قبضتها على البلاد والعباد!.

أما الإسلام فلم يعرف سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر وهى سلطة خولها الله سبحانه وتعالى لأدنى المسلمين يقرع بها أنفوس أقوامهم. فالإسلام لا يعرف تفريقا فى العدل فالعدالة يجب أن تسود الجميع فقيروهم وغنيهم وأعلامهم وأدنانهم.

والتاريخ يشهد على ما صنع الخلفاء الأمويون والعباسيون والأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ [سورة الحجرات - الآية ١٣]. وبهذه المثابة سوى القانون الإلهى فى كتاب المسلمين - كتاب الله الكريم - يبين عباد الله جميعا.. وإن أكرمهم عند الله ليس بفقره أو غناه وإنما بتقواه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة - الآية ٤٤].

وهكذا جعلت الآية الكريمة الناس جميعا سواسية أمام القانون وبالتالي أمام القضاء مستمدة ذلك من تعاليم الدين الحنيف، ومن مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه السمحة، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصوب المصيب ويخطئ الخطئ.

وقد التزم عليه الصلاة والسلام بمبدأ المساواة بين الناس جميعاً أمام القانون السماوى .
ومن ثم أمام القضاء «فالعادل أساس الملك».

ومبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء هو فى فحواه ومغزاه وجهان «لعملة واحدة»
فلا قانون بغير قضاء «ولا قضاء بغير قانون».

فقد سنت القوانين لتنظيم حياة الناس زرافات ووحدانا ، ولتعريف كل منهم بحقه
وواجبه ، فحق الإنسان ينتهى عندما يبدأ حق الآخرين .

فمنذ عهد عهيد فى مصر العتيقة كما أسمى هذه الفترة «فوستيل دى كولانج» - ولعدة
قرون خلت كانت الدولة المصرية التى قسمها المؤرخ المصرى القديم «ماتينيون» إلى ثلاثين
أسرة مصرية ملكية قسمت إلى عصور ثلاثة : عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى
وعصر الدولة الحديثة.

كان الحاكم المصرى خلال هاتيك الفترات يضع نصب عينيه عن طريق مساعديه مبدأ
«المساواة» بين المواطنين أمام القانون وأمام القضاء . وتعد قصة.. الفلاح الفصيح التى دونت
على أوراق البردى تشهد على أن حق التقاضى فى مصر الفرعونية كان معمولاً به قبيل أن
تعرف الحضارة الحديثة مبدأ حق القاضى .

فقد يمم هذا الفلاح الفصيح وجهه صوب فرعون مصر يشكو له استلاب أحد عسسه
على ممتلكاته طالبا إعادتها إليه .

وجاءت حقبة من حقب التاريخ سعى فيها «الأشراف» لسلب حقوق مواطنيهم «فاختل
ميزان حق التقاضى» واندلعت الفتن وشب أوار الثورات التى اجتاحت البلاد وضيعت
حقوق العباد.. وفى هذا سجل أحد المؤرخين ما قاله أحد الحكماء :

غلت مراجل ، الثورة فى كل البلاد بحيث سطا اللصوص على الأغنياء وسلبوهم
أموالهم . وهامت النساء فى الطرقات ، وترك القوم الزراعة برغم فيضان النيل لفقدان الأمن
والطمأنينة.. وسفك الأخ دم أخيه ، وقطعت الطرق ، وأخذ اللصوص يترصدون للزراع . فضاع
حق التقاضى فى أتون تلك الأحداث .

ولكن ما لبث أن عادت الأمور إلى نصابها ، وبدأت ملامح النظام القانونى تتطور وأصبح
القانون هو السائد وأصبح الالتزام به واجبا ، حتى إننا نجد أن أحد ملوك الأسره الثانية
عشرة يخاطب وزيره قائلاً : «إذا جاءت الخصوم فاعمل على أن يتم كل شىء وفقا للقانون ،
بحيث يحصل كل شخص على حقه» .

وبهذه المثابة تساوى الجميع أمام القانون وأمام القضاء مرة أخرى.

وعندما اندلعت الثورة الفرنسية بمبادئها الثلاثة، كانت «المساواة» أمام القانون «وأمام القضاء» إحدى روافدها، وفي ١٤ يوليو ١٧٨٩ عندما قاد الشاب السائر «كاميل ديمولين» الشعب الثائر، لهدم الباستيل، كان على أساس وجوب أن يرضخ الجميع لمبدأ «المساواة» أمام القانون.

وفي ٢٧ أغسطس عام ١٧٨٩ أعلن المركز «لافاييت» بيان إعلان حقوق الإنسان الذى ينبغى أن يكون قاعدة الدستور كله وتقول مادته الأولى:

ولد الإنسان حرا.. ويبقى حرا.. «متساوى» الحقوق مع غيره..

وقد حرص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ على تقرير حق الإنسان فى قضاء مستقل محايد بما نص فى المادة العاشرة منه على أن:

لكل إنسان - على قدم «المساواة» التامة مع الآخرين - الحق فى أن تنظر قضيته «محكمة مستقلة» «ومحايدة» نظرا منصفًا، «وعلنيا» وأن تفصل فى حقوقه، وأن تقضى فى أية تهمة جزائية توجه إليه بالحق والقانون.



ما هو الكتاب ؟! ..

فى امتحان عقده مؤسسه صناعية كبرى، فوجئ الطلبة الممتحنون، وجميعهم من خريجي كليات العلوم، بالسيد الممتحن يسأل واحدا منهم، قائلها ما هو الكتاب وما هو المعنى الذى يميزه عن المجلة؟!.

وعجز الطالب عن الإجابة، كما عجز جميع الطلبة، عن الوصول إلى الإجابة الثابتة فى ذهن الأستاذ الممتحن، وعندما طلبوا منه أن يدلهم على الإجابة الصحيحة، قال الأستاذ: إن الكتاب هو ما شمل موضوعا واحدا.

ومن العجيب حقا أن يكون هذا التعريف للكتاب، هو الخطأ نفسه! فقد تصدر المجلة شاملة لموضوع واحد، وقد يصدر الكتاب متحدثا فى مواضيع متباينة، ويسمى مع ذلك «كتاباً».

وأود أن أهمس فى أذن هذا السيد الممتحن، أن سؤاله لماذا لم يصل العالم بعد، إلى تعريف محدد له.

فلقد تباينت الدول واختلفت فى تعريف الكتاب، فعرفته إنجلترا بأنه المطبوع الذى لا يقل ثمنه عن ٦ بنسات ! وتعرفه إيطاليا وأيرلندا بأنه الذى يجب أن لا تقل صفحاته عن ١٠٠ صفحة، وترى أيسلندا أن الكتاب هو المطبوع الذى يحتوى على ١٧ صفحة فأكثر.. وهكذا دواليك.

ولقد اقترحت هيئة اليونسكو أخيرا أن يكون تعريف الكتاب هو ذلك المطبوع الذى يحتوى على ٤٩ صفحة فأكثر.

أنى لا تساءل.. ألم يكن هناك من سؤال، غير هذا الذى عجز العالم كله، عن أن يجد له إجابة كافية موحدة؟! إنها ولا شك «حذقة» من السيد الممتحن، وأصعب ما فى الأمر أن الامتحانات التى تعقدها بعض المؤسسات، لطالبي العمل فيها، تتصف بالجمود، وتهدف دائما إلى التعجيز!.



ما قل ودل

الأقصر المدينة الأثرية العظمى الجديرة بمكانتنا التاريخية، وحملت إلينا ملايين السياح وملايين الجنيهاً، وما زالت على استعداد للمزيد..

ومن حق الحكومة أن نهنتها بتجديد الأقصر، وتخطيط المدينة على أرقى المخططات العصرية، وبذلك تمحو العار الذى يلحقنا من الذين يزورون أثارها ويصعقون لانحطاط مدارها هكذا قدم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» لكتابى إليه قائلاً فى بابه الأغر «ما قل ودل».

«وأما رسالة من الأستاذ محمد مرشدى بركات، وكيل نيابة الأقصر الذى يصور البلد القديم الذى آن الأوان لمحوه إطلاقاً».

لقد روعت ودهشت حينما وطئت قدماى أرض الأقصر مشاهدا إياها لأول مرة فى حياتى منذ أسابيع قلائل، وتساءلت فيما بينى وبين نفسى: هل هذه هى مستودع الأسرار؟ هنا يرقد الملوك والحكماء من فراعنة مصر وأجدادنا القدماء؟.

أقول لقد أخذنى العجب العجيب إذ أننى رأيت أمامى «مدينة بلا شخصية» ليس فيها مسحة من فن أو لمسة من جمال «والمدن التى بلا شخصية - كما عبر صاحب كتاب المدينة على مر العصور مقضى عليها بالزوال! نيلها الخالد يشق قلبها حزينا مهموما يشكو ما ألم به من إهمال ينظر إلى ماضيه فى حسرة وإعوال! برها الغربى مدينة الموتى - وهو فى حقيقة أمره مثوى الأحياء يعزل عن برها الشرقى فى خيلاء وكبرياء وليس هناك من رابط يربط ما بين البرين، ولكى يصل المرء إليه لابد وأن يلاقى الأمرين.

إطارها الحديث لا يتناسب مع جلالها القديم.. مبانيها باهتة خالية مما يميزها فلا هى شرقية ولا غربية بل هى مزيج عجيب من الألوان والأشكال والأحجام التى قد ترجع إلى عهد الهكسوس؟! زوارها وضيوفها والوافدون عليها والقاطنون بها يصعب إيصال الخدمات الضرورية إليهم وفى مقدمتها الماء الذى ينساب إليهم مختلطاً بالتراب فى لون لم نسمع عن مثيله فى أرض ولا فى سماء!؟.



لو .. عاد إدوارد لين ..؟! إلى الأسكندرية

إنها إحدى مدن (مصر العتيقة) كما وصفها «فوستيل دي كولانج» وعلى غرار تلك القديمة التى ذكرها «لويس ممفورد» فى مؤلفه القيم «المدينة على مر العصور» City in History فهى مدينة لها تاريخ وذات تاريخ والتاريخ كما جاء فى قواميس اللغة، هو جملة الأحوال والأحداث التى يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، وكذلك على الظواهر الطبيعية والإنسانية. أما التاريخ، فهو تسجيل لهاتيك الأحوال، والأحداث، والظواهر التاريخية المصاحبة لها.

وقد تواترت جملة أخبارها وسجلت جميعها فى تواليف، ومدونات المؤرخين، والرحالة العرب، والأجانب على السواء.

كتب «ابن زولاق» يقول عنها فى كتابه «فصائل مصر وأخبارها وخواصها»:

ومنهما «اسكندرية» وعجائبها، ومنارتها طولها مائتا وثمانون ذراعاً، وفيها المرأة التى يرى فيها كل من يمر بالقسطنطينية. وكان بها عيد يعمل كل سنة يترامون بالأكره، فمن وقعت فى كُمه ترشح للملك، وكُتب اسمه، ومن هذا كان سبب ولاية عمرو بن العاص، لأنه حضر هذا العيد فى الجاهلية، وكان عمرو فى النظارة، فوقعت الأكرة فى كمه، فعجبت الروم والقبط من ذلك، وقالوا: وأنى لهذا العربى أن يملك مصر! فلم ذلك فى نفسه إلى أن كان من أمره ما كان!.

ويذكر «تقى الدين المقرئى» فى كتابه «تاريخ الأقباط»: أنه بعد الفتح العربى لها علم الأب «بنيامين» بدعوة عمرو بن العاص له ليؤوب إلى الإسكندرية بعد غيبة له عنها دامت ثلاثة عشر عاماً أمضى منها عشر سنين أثناء حكم «هرقل» والثلاث الباقية أثناء الفتح العربى إلى أن أبلغه «سانتيوس» بدعوة عمرو له للعودة إليها، وإذ حضر أكرمه «عمرو» وبالف فى الحفاوة به ووسده رئاسة الكنائس ليرعى أحوال الأقباط بالإسكندرية وكان من نتائج عودة «بنيامين» إلى كرسى البطركية أن رجع كثير من الأقباط إلى المذهب الأرثوذكسى بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لاضطهاد «هرقل» لهم والذى كان قد هدم الكثير من الكنائس والأديرة ومنها كنيسة «مارى مرقص» الشهيرة الموجودة بها التى بنيت فيها بين عامى ٣٩هـ، و ٥٦هـ

زمن البطريك «أغاتو» البطريك التاسع والثلاثون فى خلافة معاوية ابن أبى سفيان.. وبعد أن أصبح الإسلام دين الغالبية العظمى فى مصر.

ويسجل ابن عبد الحكم - أول مؤرخ لمصر الإسلامية (١٨٧ - ٢٥٧هـ: ٨٠٣ : ٨٧١) فى مؤلفه «فتوح مصر والمغرب» عندما نزلت الروم إلى الإسكندرية وكان «عثمان بن عفان» قد عزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد، فسأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فإن له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل.. وأمعن عمرو فى قتلهم.. ثم رفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذى يقال له «مسجد الرحمة».. وإنما سُمى ذلك لرفع «عمرو السيف» هناك.

كما جاء فى كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي: «وكان الإسكندر بن الفيلقوس المقدونى قد بنى الإسكندرية على خليج من النيل، فوصل أسوان بها. وحكى عنها «ابن جبير» فى رحلاته، مشيدا بهوائها العليل. ونسَميها البليل، وكذلك كان الأمر معها فى روايات المؤرخين العرب العظام أمثال «الطبرى»، و«البلاذرى» فى سفره «فتوح البلدان» ناهيك عن «ابن البطريق»، و«أبى الصلت» وكذلك «السيوطى»، قطب الموسوعات العربية والإسلامية الذى أشاد بها متعجبا من فنارها، و«السلفى» الذى وفد إليها فى سنة (٥١١ هـ - ١٤٤٥م) واستقر بها زهاء ثلثى قرن إلى أن توفى عام ١٥٠٥م أما «الواقدي» فقد كتب كتابا عن «فتح مصر والإسكندرية» هذا بالإضافة إلى ما جمعه عنها «ساويرس ابن المقفع» «أسقف الأشمونين».

وفى يوم الاثنين الثامن عشر من يوليو ١٨٢٥ أبحر المستشرق إدوارد ولیم لين. من بلده انجلترا ميمما وجهه شطر الأسكندرية، قاصدا إياها بطريق البحر على مركبه الشراعى «Findlay» منطلقا به يخوض عباب اليم. وبعد رحلة شاقة دامت حوالى شهرين لاحت له الإسكندرية على بعد سبعة فراسخ تقريبا، تظهر له معالمها واحدا إثر واحد، وقد انتابته مشاعر يختلط فيها الاهتمام بالقلق العميق يحد من بهجة هاتيك المشاعر التى تموج فى داخله، فكان يشعر فى خلجات نفسه وطيات قلبه بما شعر به «العريس الشرقى» الذى يوشك أن يرفع النقاب عن وجه عروسه التى لم يرها بعد، وشاهد عن كثب - وهو لما يزل يمتطى ظهر الماء - برج «أبو صير»، ذلك البرج الرومانى القديم الذى يقع غرب الإسكندرية، حقيرا متهدما.

ثم دفع بنظره إلى الأمام فإذا بقلع ضخم يمثل عمودا عظيما يطلق عليه الرحالة عمود «بمبى» وهو المعروف عند المصريين بـ «عمود السواري».

ورمى ببصره إلى اليمين فلم يلبث أن رأى قمة تلال شامخة من «النقاية» يعلو كل منها حصنا، وإذ نزل إلى اليابسة، وحط بقدميه في المدينة يجوس خلال أرضها، ألقى مظهرا غريبا لحارات ضيقة، وقد انتظمت الدكاكين على جانبيها ورأى أهل البلاد، وشاهد العباد، الذين يختلط بهم الحابل بالنابل من الأتراك، والمغاربة، ناهيك - بداهة - عن المصريين وقد أطلقوا لحاهم فهذا بدوى مسفوح، في وجهه قتامة، وفي نظراته جسارة، وذاك يتدثر «بحرام» من الصوف كما بدا له التناقض البين الصارخ بين ملابس الطبقة الدنيا، كذلك المرأة الملتفة في خمارها القاتم، والجتدى المتسكع وقد تمنطق بطبنجته، وسيفه، والطفل العارى الذى أثقل الإملاق ممشاه. وبين هذا وذاك، الحشد الحاشد من السابلة، بين راجل، وراكب فوق حمار، أو جواد، وثمة جمع يقبع فوق البغال، وتلك قافلة تحمل قرب الماء على ظهور الجمال، تمشى بخطى وثيدة حذره.. يصيح من عليها تارة بعد تارة، وحينما بعد حين، محذرا ومنبها بالعربية، والتركية، والإيطالية.. تلك اللغات التى كانت سائدة فى البلاد حين ذاك.

ودأب «لين» على الجول والوصول فى أرجاء الإسكندرية، وشوارعها على نحو ما ذكر الأستاذ القدير طاهر نور فى ترجمته لحياة وآثار «لين»، وسرعان ما أدرك أنها ليست بالمدينة التى خالها، فأحس بخيبة الأمل، بعد أن رآها حينما من على متن البحر، ثم شاهدها مرة أخرى على ظهر البر، فشدد الرحال إلى القاهرة «المحروسة» عن طريق ترعة المحمودية مارا بمدينة «فوة» التى ذكرها ووصفها، فما كان الآثار القديمة المتناثرة بالإسكندرية لتغريه على البقاء فيها. كما عبر «لين» فى كتابه «وصف مصر» «Description of Egypt» وهو يختلف - بداهة - عن الكتاب الآخر، «وصف مصر» «Description De l'Egypt» الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية برئاسة «جومارا» عن مصر.

ولكم تمنينا أن يكون «إدوارد لين» لما يزل على قيد الحياة، أو يبعث من رسمه، ليرى بنفسه، نواحي الجمال، ومناحي الجلال، الذى أشرق به وجه الإسكندرية، فأصبحت كما كانت فى الماضى غير البعيد - عروس البحر الأبيض المتوسط - بادية الحسن، رائحة البهاء، فى كل صبح ومساء، فقد أقبلت الدنيا عليها بعد أن ذاقت وبال حكامها، وكانت عاقبة

أمرها خسرا، فأزرى بها البلى، وغاض الرونق وأمسى ذكرى. وشربت كأس التخلف حتى الثُمالة.. إلى أن جاء إليها «موساها» بعصاه - فتبدل حالها ومآلها، وأقبلت الدنيا عليها دون أن «تغيرها محاسن غيرها». وأشرق سناها فأعاد سيرتها الماجدة، فمن رغب فيها أتى إليها، وأقبل عليها الوفود زمرا، من كل فج عميق، فأضحكت تضحك، بعد أن كانت «رهينة محبسين» من أعتلال وإهمال، تكيى حتى تمسى لما أصابها من محن وإحن، وازدانت بجمال ثيابها، وأظهرت لين إهابها، وانطلق لسانها - يقول بعد أن فاح عبق عطرها وزهرها وأمسى الناس يرجون شمسها وظلها: علام نام الناس عن «تمداحي»؟!.

فها هي ذى الإسكندرية التى أسست بأمر من «الإسكندر الأكبر المقدوني» ابن آمون كما وصفه كهنة مصر، فى غضون القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن غزاها منهيا بغزوه لها حكم الفرس عام ٣٣٢ قبل ميلاد «السيد المسيح»، متخذًا منها عاصمة للحكم اليونانى مخلدا بها اسمه. وقيل - كما دون «المقريزى» - أنه قد وجد فى تخومها تابوتا من النحاس بداخله تابوت من الفضة، وطيّه تابوت من الذهب، ففتح، فوجد فيه مكحلة من ياقوت أخضر، مرودها عرق زبرجد، فدعا القائم عليها، فكحل إحدى عينيه، كما قيل عنها أنها بنيت بالرخام الأبلق يعجن كالشمع.. وأنها بعد ذلك أُمست فى خراب ثلاثمائة سنة.. ها هي ذى تبنى وتشيد كأعظم ما يكون البناء، وأفخم ما يكون البناء، وأروع ما يكون التشييد مستعيدة سابق مجدها حيث كانت جامعتها ذات يوم أكبر جامعة عرفها العالم القديم يتواكب عليها المفكرون والعلماء، والفلاسفة والأدباء من شتى أنحاء الدنيا، وازدهرت بها علوم الفلك والجغرافيا والنبات والحيوان والطب والتشريح والجراحة والرياضيات، وكان لعلمائها الفضل فى التوصل إلى الحقائق العلمية والمبادئ الفلكية مثل دوران الأرض حول الشمس، وتقدير محيط الكرة الأرضية، وكان من أشهر علمائها «إقليدس» عالم الهندسة، و «بطليموس» الجغرافى، والمؤرخ المصرى الشهير «مانتيون».

وها هي ذى الأسكندرية التى كانت - بعد أن وصل (البطالة) إلى سدة الحكم، ومن بعدهم الألبانى محمد على - أهم مدينة تجارية فى العالم، تعود إلى سابق عهدها، فتصبح موئلا للتجارة وواجهة للحضارة، كما كانت ذات يوم بعيد مركزا (للحضارة الهيلينستية).

وها هي ذى (مكتبتها) ذات التاريخ العريق والمجد العتيق والتى كانت أول مكتبة حكومية عرفها العالم حيث أنشأها بطليموس الأول لتكون مصدر إشعاع ثقافى وعلمى تشع بنورها على

أرجاء البسيطة ، والتي كانت تحوى بين جنباتها، مجلداتها، وكتبها، وأسفارها التي لا تعد ولا تحصى تفتح أبواب علمها ومنافذ حكمتها من جديد لكل من يرغب فى أن ينهل من معينها الذى فاض على العالم كله ذات يوم بعلمائها وفلاسفتها ومنهم أنطوليوس، وأراطس، وماريا، وثيودوسيوس، وأوسلا، وبندقليس، و بطليموس وجالينوس ،الذى بها تعلم ومن كتبها أخذ، وغيرهم من الفلاسفة والعلماء، تنبئ عن المجد التليد، وتؤكد الحاضر السعيد، مرهضة بتباشير المستقبل العلمى المجيد، فقد ولدت عملاقة كما كانت بما تحويه من جماع ما أنتجه العلم وأفاء به العقل البشرى سواء أكان تقليديا أم إلكترونيا من شتى الحضارات القديمة والحديثة، وبجميع لغات الأرض.

وها هوذا «فنارها» الذى كان إحدى عجائب الدنيا السبع والذى كان معروفا باسم «فاروس»، والذى قاوم شراسة البحر وضراوته حتى القرن الرابع عشر، يوشك أن يعود إلى سابق عهده، ويستعيد سابق مجده، فيحول غلس الليل لمن يركب البحر فى ظلمته، إلى نهار!.

ها هي ذى الإسكندرية التى شهدت قصة الحب الخالدة بين «كليوباترا السابعة» آخر ملوك الأباطرة و«أنطونيوس» القائد الرومانى الأشهر، وانتحرا كلاهما بعد هزيمتهما فى معركة «أكتيوم» وقيل إن كليوباترا قد أقدمت على ذلك حتى لا تسير وهى الملكة المصرية المتوجة، أسيرة فى شوارع روما مع غيرها من الأسرى، والتى خلد «شكسبير» قصتهما مع الإسكندرية فى رائعته «يوليوس قيصر» وناجاها أمير الشعراء أحمد شوقي وهو فى منفاه بالأندلس فى «سينيته»، مخاطبا إياها:

نفسى مرجل وقلبى شراع بهما فى الدموع سبرى
واجعلنى وجهك (الفنار) ومجراك وأرسى يد (التغر) بين رمل ومكس

ها هي ذى الإسكندرية، «مدينة الدائن» تدعو التاريخ - وهى المدينة الخالدة الثاوية فى بطنه - إلى أن يسطر عنها مجددا فهى تصحو والناس نيام، وتستقبل الأنام.. زرافات ووحدا بالبشر والترحاب. من يفارقها يعاودها ويحن إليها، والدموع وهام!.



لن تدق الأجراس ؟!

خفق قلب مصر! وعندما يخفق قلب مصر يخفق معه قلب العالم العربى والإسلامى، وعندما يخفق قلب مصر فإن ذلك يعنى أن مصر قد فقدت ابنا بارا من أبنائها العظام. رحل عنا الإمام الشعراوى.. وغاب! وذهب بعيدا دون إياب بعد أن دانت له الإمامة فى أفاق الدنيا وفى أفاق الدين، بصبر السنين وتغضين الجبين، وذاع صيته وشاع فى الأقطار والأمصار، بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وكان عطاؤه فى خدمة دين الله، على قدر عظمته عطاء جامعا مانعا.

جلست إليه بصحبة تلميذه المستشار محمد عبد المنعم الفقى قبيل وفاته بأسابيع قلائل حاورته وحاورنى، وسألته فأجابنى وما وجدت منه إلا أدبا، وعلما وتواضعا، وحلما وذكاء، وقادا وعقلا وهاجا، والناس تتقاطر عليه، منهم من أشكل عليه أمر فهُرِعَ إليه ومنهم من ألم به ألم جاء ليلقى به عليه، وما أكثر ذوى الحاجة الذين وقفوا بها بين يديه وهو يجيبهم جميعا إلى طلبتهم، يفرج بها كربتهم، فهو عبد من عباد الله أتاه الله بسطة فى العلم وفضلا من لدنه فيعطى لمن يطلب مما وهبه الله، فهو أولا وأخيرا من عند الله.

علم الناس معنى الفقه، ومعنى الحديث وجدد الله سبحانه وتعالى دينه على يديه، وفاز بمحبة الناس جميعا بأصغريه «قلبه ولسانه» وأسس للقرآن الكريم جامعة عالمية، علم فيها الملايين ممن كانوا يرهفون أسماعهم ويشخصون بأبصارهم إلى يوم لقائه معهم من شتى بقاع الأرض يحدثهم ويعلمهم بأسلوبه المتفرد الفرد، آداب الإسلام وتعاليمه، وأسرار كتاب الله وما استغلقت عليهم من مفهم وإفهام، فكان رجلا فى أمة وأمة فى رجل. ثم جاء يوم الرحيل ورأيت عن كثب.

كما شاهد الملايين عبر التلفاز كيف زحفت الجموع الهادرة ونزحت دانيها وقاضيها من شتى ربوع مصر لتوديع ابن مصر البار الذى نُقِلَ إلى الله، ولم يرجوا أحدا سواه. وفى خضم هذا البحر اللجى تبين صورة لا تفارق العين وتظهر بجلالها للناظرين إخوتنا المسيحيين إخوة الدين والوطن الذين قالوا إنا نصارى وأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وتفيض أعينهم من الدمع، لتوديع شيخ الإسلام، وأجراس الكنائس تدق دقا رتيبا حزينا وكأنها جاءت هى الأخرى لتوديع الإمام.

هذه هي مصر بعنصرها حزب واحد وهو حزب الله ترسل عبر الأثير رسالة للعالم أجمع رسالة، لا لبس فيها ولا غموض لكل من سولت أو تسول له نفسه، أن يقول إن في مصر أقلية وأغلبية، وإن فيها مسيحيين ومسلمين.

ومنذ متى لم تكن مصر كذلك؟ ألم يخطب (سرجيوس) فى الجامع الأزهر الشريف إبان ثورة ١٩ ضد الإنجليز (المسيحيين) المستعمرين؟.

ألم يقل سعد العظيم لملك مصر فؤاد عندما اعترض على تعيين وزيرين مسيحيين فى وزارته، ومع اعتراضه وامتناعه قال له سعد زغلول: إن رصاص الإنجليز حينما انطلق إلى قلوب المصريين لم يفرق بين دم مسلم ودم مسيحي؟.

وأنظروا معى واقرأوا هذه الشذرات المتفرقات التى رثى بها الإخوة المسيحيون الأمام الراحل.

قال القمص مرتضى عبد المسيح راعى كنيسة السيدة العذراء.

كنت أطلع ما كتبه عن تفسير سورة «الكهف» كنموذج من كتاباته ونحن نشاطر العالم الإسلامى حزنه ونذكر نشاطه الدؤوب فى الدعوى إلى الدين الحنيف.
وقال ممثل مجلس كنيسة العذراء مريم، الأستاذ جميل زكى حنا إن هذا (الحادث)، ولاحظوا معى كلمة (الحادث) المؤلم خسارة للإنسانية.

ثم هاهوذا قداسة «البابا شنودة» - فيما نشرته الأخبار - يخرج من سرادق العزاء وعيونه تكشف عن دموعه والحزن يرتسم على محياه، قائلا: لقد تأثرت كثيرا أمس واليوم وغدا بوفاة صاحب الفضيلة العالم الجليل والإمام الورع، لقد كان رجلا محبوبا من الله ومن الشعب وعاش فقيها مخلصا وصالحا.

ويا من تجرأتم واجترأتم على مصر ذات يوم قريب، وأردتم أن تثيروا فيها فتنة.. لمن كانت تدق الأجراس، إنها تدق لكى تنعالم؟!
ومعذرة للكاتب العالى أرنست هيمنجواى.



كفافيس.. عاشق الإسكندرية ..

كانت الإسكندرية تموج بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين بنهضة صحفية وإشراقات أدبية وتألقات مسرحية تمثلت في هذا الزخم الذى انسأب إليها زرافات ووحدانا متمثلاً فى من هاجر إليها من بلاد الشام أو الأجانب أو اليونانيين أو اليهود أو غيرهم ممن اتخذوا الإسكندرية لهم مقراً ومكاناً.

كنا نقيم فى الإسكندرية فى بداية النصف الأول من القرن العشرين إقامة دائمة منتقلين من حى إلى حى فمن الرصافة إلى محرم بك حتى استقر بنا المطاف إلى حى الإبراهيمية هذا الحى الراقى الجميل الذى كان يمتلئ بالصفوة من أهل الإسكندرية.

كنا نقطن عمارة «عريضة» التى تطل على البحر فى الطابق الذى يعلنون «إسماعيل يس» الذى كثيراً ما كان يداعبنا ونحن صغاراً، كنا نمرح ونرتع على شاطئ البحر الملاصق لنا حيث كانت الشمس تخرج من خدرها صباحاً وتتوارى بقرصها الأحمر الذهبى مساءً، ونحن إما نغوص فى مياه بحرنا أو نتملى بالنظر إلى جمال غروب شمسها، ولا نؤوب إلى بيتنا الذى كان بيننا وبينه خطوات جد يسيره إلا بعد تأكدنا أن قرص الشمس قد سقط فى قاع البحر، ولم تكن الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها وكان أزيز الطائرات يقرع أذاننا فى غلس الليل حيث الطائرات المغيرة على مدينة الإسكندرية، وحيث صافرات الإنذار تذرنا بين الحين والحين بوجوب إطفاء الأنوار، والهرولة إلى المخابئ التى كانت تنتشر بين أرجاء الإسكندرية مخافة أن يحدث ما لا يحمد عقباه.

مع ذلك لم يكن مسرح «إسماعيل يس» يتوقف، وكذلك مسرح «يوسف بك وهبى» الذى أذكر أن جدى عليه رحمة الله - قد اصطحبنى إلى مشاهدة مسرحيته «كرسى الإعراف» يتجاذب فيها يوسف وهبى أطراف الحديث مع زملائه من الممثلين باللغة العربية المتعمقة بالفصحى وهو يرتدى مسوح الرهبان السوداء.. ولم أفهم منها إلا أقل القليل؟!.

وكانت الصحف تصدر آنذاك بكثرة متتالية بعضها وراء بعض، وأذكر أن كان منها البصير والزمان والبلاغ والنداء، ناهيك عن بعض الصحف الأجنبية التى كنت أراها بين يدى والدى، غفر الله له.

فى هذه المدينة الساحرة توطدت أسرته فى الإسكندرية، وتوطدت علاقة عائلته بأهلها وناسها، فقد كانت هى «الفردوس المفقود» الذى مازال يبحث عن داريل، وفورستر، وكفافيس، على حد تعبير الأديب الأستاذ «علاء خالد» فى كتابه الجميل «وجوه سكندرية».

أكتب «كفافيس» على قراءة الأدب العالمى، ونهل من مناهل الشعر الأوربى، وكذلك الشعر اليونانى، وعلى الأخص «سفر تونسيسوس سولوموس» الذى أصبح فيما بعد الشاعر القومى لليونان، وعمل بصحيفة لتجراف الإسكندرية، وأصبح جل اهتمامه موجهًا لكتابة القصائد الشعرية والكتابات النثرية، كما عمل فى مصلحة الرى المصرية، وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٢٢.

وقد نشرت مجلة «Crammat» التى تأسست عام ١٩١١ الكثير من قصائد وترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية.

وإذ حضر م. فورستر إلى الإسكندرية مراسلا لصحيفته لينقل إليها أخبار الحرب العالمية الأولى وما أن تكون الإسكندرية قد تأثرت به من جرائها، فقد عرف قلبه صداقته لها، أصبح «كفافيس» فيما بعد إحدى الشخصيات الأدبية القليلة التى يحرص زائروا الإسكندرية من جميع أرجاء الدنيا فى الالتقاء به، حيث كان يملك قدرة فائقة على الحديث عن الشخصيات التاريخية التى تنتمى إلى الماضى السحيق.

ومن المعروف إنه قرض الشعر وهو لما يزل بعد غض الإهاب لم يتجاوز سنه العشرين عاما.

ضاق منزله بالكتب التى كان يقتنيها حتى ضاق المكان بها وبه، وكتب عن نفسه يقول: «الكثير من الشعراء شعراء أما أنا فشاعر مؤرخ أنا لا أستطيع كتابة رواية أو مسرحية، ولكننى أشعر بداخلى بما يربو على المائة شخص يخبروننى أننى بارز على كتاب التاريخ.. ولكن لم يعد هناك المزيد من الوقت»، هذا بعد أن ترك للبشرية ثورة ضخمة من شعره ونثره الذى قام بترجمته الأستاذ «رفعت سلام» تحت عنوان «الأعمال الشعرية الكاملة قسطنطين كفافيس»، ومثل هو وزميله فورستر، و «داريل» - صاحب الرباعية المشهورة.. رباعية الإسكندرية - هؤلاء الثلاثة الأشهر فى حب الإسكندرية، وفى التفرد بها.

وفى غضون شهر نوفمبر ١٩٣٢ ظهرت عليه علامات المرض فرحل إلى اليونان لاستشارة أطبائها فيما اعتوره من مرض ثم آّب إلى الإسكندرية حتى قضى نحبه فى ٢٩ أبريل ١٩٣٣ الكائن بالشارع الذى يحمل اسمه الآن.

ويوجد له الآن متحف بالإسكندرية حيث ابتاعت القنصلية اليونانية بيته وحولته إلى مزار يرتاده الجميع من كافة أرجاء الدنيا حوى بين جدرانه مقتنيات وآثار هذا الشاعر الفذ.



حدث .. ذات ليلة .. ؟!

الليل ليل داج ليل قر. والريح ريح صر. المطر يهمى من سماء الإسكندرية فى تتابع مستمر، تتساقط ندف الثلج فوق رؤوس الأحاد والجماعات من المارة فى تلك المنطقة الثانية من مدينة الثغر. على أحد الأفاريز راح شاب فى مقتبل العمر يزرع الطريق جيئه وذهابا. جسمه النحيل لا يقوى على تحمل لذعة البرد القارص ضاعت منه معالم الطريق. أين كان؟ من أين جاء؟.. وإلى أى مقصد كان يتجه؟.. لا يدري؟. وأنى له أن يخبر ذلك، فلقد توقف عقله تماما عن التدبير وشل عن التفكير. تفصد العرق غزيرا من جبينه. كيف؟ ومع زمهرير البرد.. لا يعرف؟ فقد انقض عليه دوار لم يعهده من قبل، زلزه زلزالا شديدا.

دار أمجد حول نفسه فانزلقت قدماه وسقط أرضا فى هذا البحر اللجى من المياه التى تجمعت من جراء المطر الحاد العنيف المنهمر الذى دأب على ذلك فى مثل هاتيك الأيام من شهر يناير من كل عام، منذ سنين عددا.. أيام طوال. والحال على هذا المنوال. لم يفت إلا بعد أن ألقى نفسه محوطا بعدد من الرجال ذوى الثياب البيضاء. ثم عاودته الغيبوبة مرة أخرى فراح فى سبات عميق من النوم وغاب عن الوجود.

عينا حاول الأطباء أن يكتشفوا من هو؟ أو أن يعرفوا اسمه أو أن يستدلوا على عنوان بيته الذى يقطن فيه. ذهبت جميع محاولاتهم أدراج الرياح، كانت جيوب سترته قد خلت مما ثبت هويته أو شخصيته فقد فقدت منه بطاقته منذ شهور خلت إثر نوبة من النوبات التى كانت تنتابه عقب تناوله لهذا المخدر الذى اعتاد عليه مع قرناء السوء الذين كانوا يلزمونه كظله مستغلين صغر سنه وبسطه العيش التى كان يعيش فيها وبين ظهرانيها وإنعدام ثقافته.

بينما كان يرقد على أحد أسيرة المستشفى التى نقل إليها كان والده وكذلك والدته قد هدهما الهم، ونال منهما الغم، واعتورهما إحباط شديد اعتصر قلبيهما اعتصارا فمئذ أن غاب وحيدهما أمجد ولم يعد، وفشلت جميع المحاولات للعثور عليه وهما على هذا الحال، فقد رزقا بابنهما هذا بعد سنوات طويلة من زواجهما وأحاطاه بكل عناية وشمله بهشتى أنواع الرعاية كان كلاهما يؤمل أن يراه فى مركز عال مرموق. ولكن - هاهى ذى - المخدرات القاتلة تحيط به من كل جانب بعد أن عجز الأب وكلت الأم عن إثناؤه عن تعاطي التبغ الذى دأب على أن يتعاطاه والذى قاده فيما بعد لإدمان تلك المخدرات. بدلا

كل جهد، وسعيا ما وسعهما السعى ولجئا إلى الترغيب والترهيب دون أن يصلا به إلى بر الإيمان وها هي ذى النتيجة الطبيعية، غياب الابن دون أن يعرف أى إنسان أين ذهب وما الذى دفعه لهذه الغيبة التى طالت واستطالت.. دون إياب!.

كان الإدمان قد استبد بأحمد وأوصله إلى حالة شاذة غير طبيعية فلم يكن يمر عليه يوم أو يومان إلا ويقع صريع الحاجة إلى المخدر الذى أضحى يجرى مجرى الدم فى جسمه مما كان يدفعه دائما إلى طلب المزيد من المال من أبيه، لكى يستطيع الحصول عليه، فإذا امتنع الأب، يمم وجهه شطر الأم، وإن تقاعست الأم عن إجابته لطلبته، مد يده إلى الأصدقاء يستدين منهم لكى يواصل السير فى الطريق الذى رسمه المخدر له.. طريق المرض والفشل وغياب الذهن وتشتت الذاكرة حتى أمسى، وقد كان شابا يافعا سليم الجسم صحيح البدن متألق الذهن فإذا به يمسى هزيلا مريضا مضطربا لاعقل له ولا كيان أو هو كما عبر أحد الفلاسفة «ريشة تذروها الرياح»!.

تحجرت الدموع فى عين المهندس أحمد وأخذت الذكريات تقوده إلى اليوم الذى رزقه الله فيه بابنه الوحيد وكيف كان سعيدا بمولده وكيف كانت الفرحة ترقص فى عينيه وعينى والدته التى تكالب عليها الناس الأقارب والأصدقاء يزجون لها التهنئات مباركات على مولودهما الذى جاء إليهما بعد طول انتظار.

توقفت الذكريات عند اليوم الذى فجع فيه بما علمه من والدته أن ابنها الذى لما يزل فى ربيع عمره يدخن وأن لفافة التبغ أصبحت تلازمه كظله.. يومها اصطحبه والده إلى شيخ الجامع لكى يسدى إليه نصائح لإبعاده عن هذا الوافد الجديد عليه لفافة التبغ وتداعت الذكريات فى عقل الأب فتذكر كيف ظل إمام الجامع الشيخ أسعد يعظه وينبئه إلى خطر هذا الأمر على صحته.. على قلبه وعقله مؤيدا مواعظه بآراء الأطباء الذين أجمعوا - من شتى البقاع والأصقاع على أن السيجارة تؤدى إلى مزيد من الأمراض لمن يتعاطاها - آخذا فى تكرار ما يقوله: يا بنى إن هذه العادة عادة سيئة قمين بك وبأمثالك أن تكفوا عنها.. وإلا فالالتهاب الرئوى، والعقم، والسرطان بأنواعه فى انتظار من يدأب عليها، ويمضى فى الطريق إليها.

وواصل الشيخ حديثه إليه.. كما وأن الدين يحرمها، ويجرمها لأنها تضر بالإنسان ضررا بالغا، إن لفافة التبغ فيها السم الزعاف فهى تسم جسم الإنسان وتسليه محجة الصواب لأنه يبدد أمواله عليها والدين يقول: (لا ضرر ولا ضرار). ناهيك عن أن لفافة التبغ هذه كما تضر صاحبها فإنها توقع الضرر على الآخرين الذين نجاهم الله منها فهم يتنفسون

ما ينفثه المدمن من دخان هذه اللغافة اللعينة فيصبحون هم الآخرون وكأنهم يدخنون لأن المدمن لا يؤذى نفسه فقط بها بل يوقع الأذى بغيره الذين لا ذنب لهم إلا أنهم خالطوه وجالسوه وذكر الشيخ، أمجد بالفتوى التى صدرت من فضيلة مفتى الديار المصرية والتى توصم المدمن بوصمة الكفر، فإن الله سبحانه وتعالى قد وهب الانسان العقل لكى يقوده إلى الخير لا إلى الشر، وإلى أن ينفع نفسه لا أن يضرها. يومها خرج الأب من صحن الجامع متأبطاً زراع ابنه أمجد الذى ظهرت على قسماط وجهه البرئ اقتناعه بما قاله الشيخ.. ولكن - هاهى ذى أمه تخبره بعد قليل من هذه الزيارة. والأسى يستبد بها أنها عثرت على علبة تبغ فى جيب ستره ابنها.

أخذ شريط الذكريات يتداعى فى ذهن الأب المكوم دون توقف، أما الأم فقد انسابت الدموع من مآقيها منذ غياب ابنها ووحيدها وظلت هكذا وكأنها نهر يجرى حتى حفرت الدموع فى خديها خطين مميزين يسيل فيهما الدمع الثخين.

عجزت الشرطة عن معرفة أى خيط يقودها إلى معرفة ما جرى للابن المفقود، وكذلك كان الأمر مع أصدقاء أمجد وزملائه وأترابه فلا مخفر الشرطة نجح فى الاستدلال على ما جرى له، ولا المستشفيات عثرت على اسمه بين النزلاء بها، مما زاد الأمر تعقيداً. طفق الجميع يبحث عنه دون جدوى!.

فى مستشفى الدكتور حسين كان المريض المجهول يقيق من حالته التى انتابته، ويسترد عافيته رويداً رويداً بعد أن أحاطت به رعاية الله التى استجابت لدعوات والديه، وأخذ يتذكر ما جرى له فى الليلة الليلاء منذ شهور ثلاثة خلت.. لقد دعاه صديقه فؤاد إلى جلسة من تلك الجلسات المشبوهة والتى يتناوب فيها الجلساء تعاطى المخدرات واستجاب أمجد لدعوته وشد الرحال إلى المجلس اللعين فى ضاحية أبى قير بالإسكندرية حيث انفض المجلس فى الهزيع الثالث من الليل وإذ خرج أمجد من بؤرة الفساد هذه بعد أن ذهب كل صاحب له إلى وجهته، كان قد تعاطى كمية كبيرة من المخدرات، أراد أن يستقل عربة أجرة إلى حيث يقيم بناحية الإبراهيمية، ولكن المطر الشديد الذى حاصره كان ينزل على أم رأسه جعله يترنح كما أن السابله تفرقوا جميعاً تحت وأبل المطر الذى كان يتساقط عليهم مدراراً وكأنه أفواه القرب. هُرعوا إلى المظلات الواقية التى تمثلت فى أسقف العمارات والنوافذ، أما أرتال السيارات بما فيها عربات الأجرة فقد غيرت سيرها أو توقفت تماماً عن السير خوفاً من بطش المياه بها. أما هو فقد حاول النزول من أقرين

الطريق فانزلت قدماه من جراء امتلائه بمياه المطر وكان المخدر قد فعل فعله معه فأصيب بدوار قاتل ووقع أرضاً. فى تلك اللحظة كان الدكتور حسين مستقلاً سيارته متوجهاً بها من مدينة الإسكندرية إلى مدينة (أدكو) - إحدى أعمال محافظة البحيرة - فألقى أمجد مرمياً على أرض الشارع فتوقف بسيارته وحمله إليها إلى المستشفى الخاص به بمدينة أدكو والتي تبعد عن الإسكندرية حوالى ستين كيلو متراً وعن طريق الأطباء الذين عاونوه فى الكشف على أمجد علم أنه من المدمنين - حاول معرفة هويته فلم يستدل عليها منعتة الغيبوبة القاتلة التي كانت قد أملت بأمجد عن معرفة شخصية أو الإستدلال على عائلته. أثر كتمان الأمر فلم يبلغ الشرطة. أشرف على علاجه بدأب وإخلاص لوجه الله الكريم. وصل به إلى بر الأمان والأمان. بدأ المريض يفيق أخذت الذاكرة تعود إليه شيئاً فشيئاً. تذكر أمجد والديه. طلب من الدكتور أحمد أن يصحبه إليهما. دق باب المهندس أحمد.. بيد مرتعشة مدت الأم أصابعها لى تفتح الباب للطارق.. فوجئت بابنها احتواها بين ذراعيه. صرخت الأم من الفرحة الطاغية لرؤيتها لابنها وهى لا تكاد تصدق عينها. هرع الأب إلى باب البيت فوجئ بمنظر الأم وابنه. رمى نفسه بينهما وهو لا يكاد يصدق هو الآخر عينيه أنسكبت الدموع تبلبل لحيته البيضاء التي كانت قد طالت واستطالت وهو يرفع يديه شكراً لرب السماء.

اعترف لهما أمجد - فيما بعد - بما اقترفته يده فى حق نفسه، وكان قد عقد العزم على ألا يعود للتدخين - أو بالأحرى - للمخدرات فكلاهما الشر الوبيل. وتيقن من عكوفه على الصلاة أن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. استمر دون كلل أو ملل يعكف على البحث والدرس والتحصيل. حصل على الثانوية العامة بتفوق كبير وانتظم فى سلك الجامعة بعد أن كان قد أدمن القراءة قرأ لطفه حسين والمازنى والعقاد وزكى مبارك وهيكى والرافعى وغيرهم من كبار الأدباء، وأقبل على أمهات الكتب القديمة ينهل منها، نهاية الأرب فى فنون الأدب، والعقد الفريد، والأغاني، والأمالى، ولسان العرب وغيرها. تعلم أن القراءة هى مفتاح الشخصية كما عبر فيلسوف الصين (هوانج شونج). كما آمن بقول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. [سورة الرعد - الآية ١١] صدق الله العظيم.



التاريخ يتكلم

من خلال الهجوم الضارى الذى تعرضت له مصر بعد تأميم الرئيس جمال عبد الناصر - رحمه الله - لشركة قناة السويس كتبت هذه الكلمة ونشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٨/٩/١٩٥٦.

فى عام ١٧٩٨ استطاع شعب مصر أن يتصدى لقوات نابليون ويلحق بها الخسائر والهزائم، وفى ١٨٠١ استطاع الشعب المصرى أن يطرد قوات فرنسا من بلاده وفى ١٨٠٧ تصدى المصريون لقوات «فريزر» فى رشيد وفتكوا بها.

وفى ١٨٨٢ استطاع الشعب المصرى أن يشتت قوات الإنجليز فى الصحراء حتى يئسوا من البقاء فى البلاد وجلو بجيوشهم عنها نهائيا لولا الخيانة التى مكنتهم فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ من أن يحتلوا مصر عن طريق قناة السويس.

وفى ١٩١٩ قام الشعب بثورته العظيمة واستمر يكافح حتى انتصر فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، وفى ١٩٥٦ استطاعت مصر بقيادة قائدها جمال عبد الناصر أن تجلى الجيوش الأجنبية عن أراضيها ثم استكملت سيادتها بتأميم شركة القناة.

هذه انتصاراتنا على الإنجليز والفرنسيين، فماذا سيكون مصير المعركة الراهنة؟ أن التاريخ وحده يجيب على هذا السؤال؟



أيها الثلاثة الصغار

كنت قد انخرطت فى سلك المتطوعين للدفاع عن أرض مصر ضد العدوان المحتمل والذى اكتمل فى أكتوبر عام ١٩٥٦ بالهجوم الثلاثى المدبر من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وحملنا السلاح الروسى بعد أن تدريبنا على إطلاقه على يد الضابطين الوطنيين «ليون» و«نعيم» فى مدرسة الفيوم الثانوية فكتبت هذه الكلمة ونشرت فى جريدة الشعب «بتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦» قلت فيها: منذ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم مصر لشركة قناة السويس ودول الغرب الثلاثة تعيش فى ذهول تام فقد كانت هذه الدول تنتظر إليها بانسحابها من مشروع السد العالى ستذل مصر وتجعلها تركع على ركبتيها متوسلة تستدر منها العطف لى تعيينها على القيام بهذا المشروع الذى تعلق عليه مصر جسام الآمال.. وجاء رد مصر على هذه الدول قويا على لسان جمال الذى أعلن أن مصر قد أمتت شركة قناة السويس وهى بذلك ستبنى السد العالى بأموال مصرية وسواعد مصرية، وكانت هذه الضربة التى أصابت هذه الدول.. دول الاستعمار فجعلتها تتخبط وتعيش فى هذا الذهول الى لم تستطع منه مخرجا إلا بهذا القرار الذى أعلنته على لسان صغارها الثلاثة - أيدن - بينو - دلاس.. ولكن مرحى مرحى أيها الثلاثة الصغار! أن القناة ملك شرعى لمصر وهى بتأميمها إياها إنما تسترد حقا من حقوقها.. فلم إذن هذه الضجة؟!

وعلى أى أساس إذن اتخذتم هذا القرار!

لا لا أيها الثلاثة الصغار.. إن القناة ملك وحق لمصر وستدافع عنها بكل قواها وجوارحها.. فأننا جميعا على استعداد لبذل آخر قطرة من دمائنا على ألا نسمح لأى دولة من الدول أن تنتقص من سيادتنا وحریتنا وسنسير قدما إلى الأمام والله معنا.. وهاكم ما قلّه زعيم الاتحاد السوفيتى «خروشوف»: «أن مصر كانت تحكم نفسها بنفسها عندما كانت أوروبا تعيش فى الكهوف والجبال»!



الروك أند رول.. صفقة لمبادئ الأخلاق

انتشرت هذه الرقصة الماجنة بين الشباب فى مصر فكتبت بتاريخ ١٩٥٧/ ٥ / ٢٢ بجريدة الشعب أقول :

منعتها إنجلترا التى ينتشر فيها مذهب العرى ويتزايد! ونبذتها روسيا.
وقال عنها «شبيولوف» فى مؤتمر الموسيقيين السوفييت : «إنها انفجار لأحط أنواع الغرائز
إنها نوع من تهتك الأقوام البدائيين فى كهوفهم.. إنها صفقة لمبادئ الأخلاق!
هذه هى رقصة «الروك أند رول»! تلك الرقصة الأمريكية المبتذلة التى بدأت تتغلغل
أو قل تغلغلت فعلا بين شبابنا وشاباتنا.. وعلى الأخص شباب وشابات الجامعات! حتى
أنهم يعتقدون لها اليوم البطولات.. ويسيّمون لها المسابقات!
وأين يجرى كل ذلك؟! فى مصر زعيمة العالم العربى والإسلامى التى لها دينها
وتقاليدها وأخلاقها.

إنهم إذا كانوا يعتبرونها - فى الغرب - تقدما فى عالم الرقص فنحن هنا فى الشرق
نعتبرها تقدما فى عالم المجون والخلاعة التى لا يحرص عليها سوى المنحليين الفاسدين
ذوى النفوس الضعيفة.

إننى أطالب المجلس الأعلى لرعاية الشباب بأن يمنع - فورا - هذه الرقصة المثيرة
للفتنة والغرائز الداعية للمجون والإنحلال حتى لا تؤثر على أطفالنا وهم لم يشبوا عن الطوق
بعد فتؤثر فيهم وتؤثر عليهم بما يعرضهم لخطر محيق.

ولقد صدق الإمام «أبو حامد الغزالى» عندما قال :
«إن الطفل جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل
ما ينقش عليه».



ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات

كتبت هذه الكلمة إبان التحاقى بكلية الآداب جامعة عين شمس قبل انتظامى بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية نشرت فى جريدة الأخبار باب أخبار الجامعات بتاريخ ١ / ١١ / ١٩٦١ وأنت بأثر طيب.

إذ أصدر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عميد كلية الآداب جامعة عين شمس بعدم دخول طالبة تخالف الحشمة إلى الحرم الجامعى بعد أن ألقى محاضرة ناصحا ومنذرا الطالبات بأن أية طالبة تتبرج فى زيها سوف تمنع من دخول الكلية كما أصدر الدكتور محمد مرسى أحمد رئيس الجامعة قراره النهائى بعدم السماح لأية طالبة بدخول الجامعة ما لم تكن محتشمة فى زيها ومظهرها العام.

كما أن الدكتورة «نفسية الغمراوى» عميدة معهد التربية الرياضية للبنات أقامت أسبوعا لمحاربة الجونلات الضيقة بالمعهد. علقت لافتات فى أنحاء المعهد تقول أحداها «ضيق الملابس ضد الخلق القويم» وطلبت أن تكون الجونلة تحت الركبة كلفت المدرسات بقص الجونلات الضيقة لتوسيعها أثناء طابور الصباح. واشترطت أن تكون «كسرة الجونلة» من الخلف ٢٠ سم على الأقل.

وهاجمت السيدة «زاهية مرزوق» أقبال الطالبات على ارتداء الأزياء الضيقة والكاشفة حيث قالت: الطالبات ليس لديهن ذوق فى اختيار الملابس أنهن يخترن الملابس غير اللائقة.

وانتقدنى أحد الكتاب تحت عنوان «موكب الجهل فى جامعاتنا» قال فيه إن كاتب مقال «ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات»: هو صوت ساذج يطالب بتوحيد زى طالبات الجامعة ولو استمعنا له سترتفع أصوات أخرى تطالب بتوحيد زى كل سيدات مصر وفرض الملاية اللف عليهن والمقال كان مهمورا باسم السندباد البحرى.

أما الأستاذ الكبير «على أمين» فقد كتب فى «فكرة» بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٦١ ذاكرا أنه عندما دخل جامعة شيفلد عام ١٩٣١ لم يلبس الروب الأسود إلا مرة واحدة بيد أنه أردف قائلاً: إنه معه معارضته لتوحيد الزى بين طالبات الجامعة فليس معنى هذا أن نسمح لطالبة الجامعة أن تذهب إلى المحاضرات بفستان سهرة؟!

على حين أن الأستاذ «عباس محمود العقاد» كتب في يومياته بجريدة الأخبار يقول: ليس نظام الزى الجامعى فيما أرى مناقدا لفكرة الاستقلال الدراسى.. ولكنه يفضل استقلال كل جامعة بزيها تحقيقا لهذه الغاية.

وقد نشرت جريدة الأخبار فى تاريخ ١٩٦١/١١/٢٩ تحت عنوان: «جمعية محاربة الملابس غير اللائقة فى آداب بالقاهرة» وقالت: إن كلية الآداب جامعة القاهرة قد أعلنت الحرب على الملابس الخليعة التى تظهر بها بعض طالبات الجامعات وتزعم الحملة سعد الدين إبراهيم المعيد بقسم الاجتماع ورائد أسرة الزحف المقدس. والمقال هو:

أليس لنا من سبيل للقضاء على تلك الأزياء الخارجة عن الذوق والتى تتحدى على الملأ الآداب العامة، وقف بالمرصاد لتقاليدنا وعاداتنا وأخلاقنا فى الجامعة؟! تعالى إلى «الحرم» الجامعى - وياليتهم ما سموه حرما - لتعرف بنفسك كيف استبيح هذا الحرم حتى أصبح أشبه بصالة عرض أو كرنفال يختلط فيه الحابل والنابل ويتداخل معه الأبيض مع الأحمر مع الأسود الأمر الذى أصبح فذى لكل عين وجرحا للنفس الحساسة؟!!

وأنا والدعوة موجهة إلى المرحوم الأستاذ أحمد لطفى حسونة إلى قيادة حملة أخرى على أزيائهن التى لا تقل خلاعة عن الأغانى التى حاربتها! وأننى أدعو عميد كل كلية إلى محاربة هذه الأزياء التى أهانت «الحرم الجامعى» وخذشت عفة الكثيرين.. ورحم الله مصطفى صادق الرافعى حين قال: لوجىء لى بفتى يعاكس فتاة لنظرت إلى الفتاة فلو وجدتها متزينة متعطرة مصقولة لحكمت عليها بعقوبتين الأولى: لأنها خدشت عفة الفتى والثانية لأنها كشفت اللحم للهرة؟!!

وما أكثر فتياتنا اللاتى يكشفننا لحومهن للهرة!



استغلال الطاقة الشمسية

نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٧ / ٦ / ١٩٥٧ .
أذيع منذ أسابيع قلائل نبأ تكوين جمعية يونانية تضم سبعة من أكبر علماء أثينا للعمل على استغلال الطاقة الشمسية فى الأغراض التى تفيد الشعب اليونانى .. وتنمى ثروته .. واقتصاده .

وفى اليابان استطاع البروفسور «أنصيماتسو» الأستاذ بجامعة طوكيو أن يخترع غلاية شمسية تستخدم الآن على نطاق واسع فى أغراض الطهى فى البيوت اليابانية .. وهذه الطاقة تولد ٩,٣٣٤ سعرا حراريا فى الدقيقة الواحدة أى ما يعادل الحرارة الناتجة من موقد كهربى قوته ٦٠٠ كيلو وات .

.. وفى الهند .. تمكن عالم من علمائها أن يخترع موقد شمسيا لشى اللحوم وطهى الأطعمة فى دقائق معدودات ! ..

.. وفى روسيا تأسس مصنع خاص لإنتاج البخار من الطاقة الشمسية .

وفى أمريكا تستخدم الطاقة الشمسية فى إنتاج الثلج !

حبذا لو وجه علماءنا اهتمامهم إلى هذا الميدان الهام ، الذى يمكن أن نفيد منه أعظم إفادة ، لا سيما وأن مصر قد وهبها الله من «الميزات المناخية» ما يسهل لها استغلالها لطاقتها الشمسية .. على خير وجه .



سائلوا القاضى.. واتقوا الله فى القضاء..؟!

فى غضون عام ١٩٧٩ كتب المرحوم (والدى) فى يوميات الأستاذ «أحمد الصاوى» بجريدة الأخبار يقول:

سائلوا القاضى عن عمله كيف يؤديه ، وعن خلقه كيف يقوم عليه ، وعن عمله كيف يصرفه ، وعن علاقته بالحق تبارك وتعالى.

سائلوه عن إدارته للجلسة ، وكيف يسوى بين الخصمين حتى فى النظرة. سائلوه عن مظهره وجوهره ، وحلمه ووقره ، وعن أموره الداخلية ، ومعاملاته الخاصة. سائلوه عن كل صغيرة بل عن كل هذا وحاسبوه عن كل أولئك حسابا عسيرا. اطلبوا منه أن يتسامى فى عمله حتى يأمن فى ظله السائل ويقوى عنده الضعيف ، وماله من منة على أحد إذا أنهكه التعب أو فاض به السقم أو هذه سهاد الليل.

ألم تجعله الدولة رمزا لكرامتها وسيادتها؟ أو ليس ينتهى إليه صرخة المظلوم وأنه المكلوم. أو ليس ينتهى إليه الفصل فى خصومات الناس لينشر عدل الله فى أرضه فترسو قواعد الأمن وتستقر المعاملات.

ولقد لبثت أتعبد فى محراب القضاء سنين عددا لا أبتغى غير وجه ربه الأعلى وكنت دائما وأبدا أدافع عن سدنته كلما جد ما يدعونى إلى ذلك.

وها أنذا اليوم أقرأ على صفحات الجرائد أن السيد وزير العدل سيصرف لرجال القضاء حوافز إنتاج وقد نما إلى علمى أن كلا من رجال القضاء سيصرف له خمسة عشر فى المائة «للمتفوقين منهم» !!

وإننا نرى أن هذا الخبر فى طياته إهانة كبرى لرجال القضاء. فإنه من غير المعقول أن يمنح القاضى حوافز إنتاج كما لو كان عاملا فى أحد المصانع وهو ما يختلف اختلافا جذريا عن طبيعة عمل القاضى.. وهذا لا يليق بكرامة القضاء الذى يجب أن يسمو فى عمله على كل اعتبار. إن هذا المسلك المزمع الأخذ به يجب أن تنأى عنه الدولة حفاظا على كرامة القضاء وحفظا لقدسية القضاء.

وجدير بالذكر أن إنجلترا تعطي لكل قاض من قضاتها شيكا مفتوحا على البنك يبيع له أن يأخذ أى مبلغ يشاء أن يأخذه على حساب الدولة.. وأن كان مثل هذا الشيك لم يستعمله قضاة الإنجليز حتى الآن.

ولا ريب أن السر فى هذا هو ارتفاع مرتب القاضى الإنجليزى إلى مبالغ خيالية. وليذكر أصحاب الرأى الآخر ما حدث فى بلاد الإنجليز أيام الحرب العظمى الأخيرة فى عهد «تشرشل» حين تضرر أحد القضاة من وجود مطار للطائرات الإنجليزية المحاربة بجوار المحكمة، فقامت الحكومة الإنجليزية بنقله فى الحال إلى جهة أخرى نائية عن المحكمة احتراما منها لقضاها وقضاتها.

وأنه لمن غير المفهوم أن يعترض أحد على زيادة رواتب القضاة أو فى القليل عن منحهم بدل تفرغ فالقضاء المصرى هو الدرع الواقى لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها. وأخيرا فأننى أرجو من وزير العدل «أن يتدبر الأمر وألا يحاول أن يقدم خدمة لرجال القضاء فى ثوب لا يليق بكرامتهم التى تعلو على كل كرامة».



المحامون الأدباء.. والقضاة النبغاء

ثمة علاقة وطيدة بين الأدب والصحافة وبين الأفذاذ من رجال القضاء الجالس والواقف على السواء أشار إليها المحامى الأديب الأستاذ «محمود كامل» فى كتابه «يوميات محام مصر» فقد عرف تاريخ القانون فى مصر الزعيم خالد الذكر «سعد زغلول» وقبل أن يتبوأ دسـت الزعامة ويتقلد كرسى القيادة سعد زغلول المحامى النابغ الذى كان صوته الجهورية وعقله الألمى يهز ساحات المحاكم دفاعا عن الضعفاء والمظلومين وعمل بالصحافة محررا فى جريدة «الوقائع المصرية» وكذلك عرفت ساحات المحاكم الأستاذ «محمود الهلباوى» الذى كان محاميا جهيدا يشار إليه بالبنان وكحذلك الزعيم «محمد فريد» الذى وصل إلى درجة رئيس نيابة ثم استقال وعمل بالمحاماة مفضلا إيها على القضاء.

أما معلم الجيل الفيلسوف «أحمد لطفى السيد» فقد خلع وشاح القضاء، وارتدى رداء المحاماة وأصدرت جريدة «الجريدة» عام ١٩٠٧.

وجاء الدكتور «محمد حسين هيكل» الذى نال درجة الدكتوراه فى الحقوق من فرنسا وعمل بالقضاء ثم لفظ القضاء، وآثر أن يعمل بالصحافة وأصدر جريدة «السياسة» عام ١٩٢٢ لسان حال حزب الأحرار الدستوريين.

ناهيك عن سلسلة متعاقبة من أعاظم المحامين الذين تألقوا فى سلك المحاماة تألقا لم يكن يتاح لهم لولا اشتغالهم بهذه المهنة الرفيعة مهنة المحاماة منهم «مكرم عبيد باشا» الخطيب المفوه الذى كانت تهتز له أعواد المنابر صاحب الثقافة الرفيعة والمواقف السياسية الرائعة حتى أن الإنجليز اضطروا لنفيه مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل ومصطفى النحاس باشا الزعيم الوطنى والمحامى القدير «أحمد رشدى» غيرهم وغيرهم من النبغاء من المحامين البلغاء.

وقبل ذلك بسنوات شهدت المحاكم الفرنسية العديد من عباقرة المحامين أمثال Jean de la Bruyere الذى جمع بين الفلسفة والأدب وفافر Favre الذى استغل كل مواهبه الأدبية فى الدفاع عن أصحاب الحقوق ومن أقواله: «إن الحكومات تسقط بسبب الأخطاء التى ترتكبها هى بنفسها وأن الله قد أعد نكبات لا حصر لها ولا يتوقعونها لهؤلاء الذين لا يعترفون بالقوانين الإلهية».

والمحامى «فرنان لابورى» الذى هوى الأدب وأغرم بالموسيقى وأولع بالصحافة وقد ترافع فى قضية «دريفوس» الذى اتهم بقضية التجسس لصالح ألمانيا وصدر الحكم عليه بتجريدته من رتبته العسكرية حيث كان يعمل ضابطا بالجيش الفرنسى وكان بريئا من التهمة المنسوبة إليه وتولى الدفاع عنه هذا المحامى الأديب ناهيك عن أدباء فرنسا النابغين وهم «إميل زولا ومرسيل بروسست وأناتول فرانس» وقد ألف إميل زولا هذا الكتاب العالمى العبقري كتابا دفاعا أسماه «إنى أتهم» وقد أصدرت محكمة النقض الفرنسية حكما ببطلان الحكم السابق على دريفوس فى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ واعادته إلى الجيش العامل ومنح بعد ذلك وسام الشرف الفرنسى.

وقد اتخذت اليهودية العالمية من قضيته ذريعة فى صياغة النظرية الصهيونية السياسية وتكئة فى التدليل على معاداة الشعوب لهم وكان ذلك سببا فى خروج اليهود من أوروبا وتجميعهم فى وطن خاص بهم فى أرض فلسطين السليبية.



خطاب إلى والدى

أقبل ידיكم الكريمتين وأهنئكم بحلول العام الجديد جعله الله عاما سعيدا عليكم وعلى
الوالدة الجليلة والإخوة الأعزاء..

وبعد:

لقد اشتقت كثيرا إليكم وعسى أن يوفقني الله واتمكن من الحصول على إجازة ولو
سريعة حتى أحظى بلقىكم فى عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم بالصحة واليمن
والبركات، فسوف يحصل زميلى الذى أعمل معه على إجازته ليـزور بلدته فى العيد
وكذلك زملائى الآخـر، ولن يكون هناك فى نيابة قنا سواى ومن هنا فلو تأخرت قليلا فى
المجىء وربما يكون هذا بعد العيد بأسبوعين أو ثلاثة، فأرجو أن تطمئنوا على وألا تقلقوا
فكل الأمور بحمد الله وبفضل رضاكم على أنتم والوالدة تسير على خير ما يرام.. ويسرنى
أن أخبر حضرتكم أننى سوف أحضر معى التذاكر الخاصة بسفركم بإذن الله أنتم والوالدة
الفاضلة واخوتى من القاهرة إلى الأقصر ذهابا وإيابا ولقد تسلمتها بالفعل.. وعسى أن تكون
دعوتى هذه دعوة مقبولة لديكم فتشرفونى بالزيارة هنا فى قلب الصعيد.. ليس هناك من
جديد أقصه على حضرتكم سوى أننى الآن أقيم بصفة دائمة فى الأقصر فى البيت الذى
استأجرته لا أبارحه البتة اللهم إلا لدقائق معدودات مرة أو مرتين فى الأسبوع لأننى متفرغ
لإنجاز عملى.. وفى كل مساء وصباح أعكف على تجهيز الشاى الى تفضلتم وأهديتمونيـة،
على «الوابور» الذى تفضلت والوالدة فأعطينيه.. أما البوتاجاز الذى استطعت أن أقتنيه..
فلم تصل «أنبويته» حتى الآن..

ولقد وجهت إلى دعوة من الدكتور جمال مختار المشرف على آثار الأقصر لحضور حفل
افتتاح مشروع الصوت والضوء والتي حضرها الدكتور عبد القادر حاتم وما أن جهزت نفسى
لتقبل هذه الدعوى وكنت قد أزمعت الحديث مع الدكتور عبد القادر حاتم عن أمر انتدابى
حتى جاء من يدق على الباب يخبرنى بوقوع جريمة قتل فى إحدى الجزر المتاخمة للبر
الغربى للأقصر «القرنة» فشددت الرحال إلى هناك.. وفوّت على هذا فرصة اللقاء بحاتم..
وإن كنت قد قلت لنفسى لعل الله قد أراد بك خيراً.

والدى العزيز:

وهكذا تدور الأيام، فمن القاهرة إلى قوص ونقادة ومن قوص ونقادة إلى اسنا ومنها إلى الأقصر والله وحده يعلم أين سأكون غدا والواقع أن حياة الغربية بما فيها من بعد عنكم هى حياة رتيبة ثقيلة ولكن بالصبر يهون كل شيء وفى سبيل المستقبل لا بد للإنسان وأن يضحى كما علمتمونا جميعا وكنتم أنتم خير المثل وأروع المثال فى الصبر وفى التضحية وفى الجهاد وكلما ضاق بى الأمر تذكرت كفاحكم المشرف الطويل وأضعه أمام ناظرى نبراسا أستضى به على مشقة الحياة التى لا أنيس فيها ولا جليس ولا أخ ولا صديق وقد كنتم ولازلمت وسوف تظلون أبدا نعم الأب الصديق.. الصديق الأول والأخير أنتم ووالدتى الجليلة واخوتى الأعزاء.. وإن كنت قد بعدت عنكم بجسدى فأنا دائما معكم بروحى وأشعر أنكم معى فى كل لحظة من اللحظات.

أما عن الأقصر فلم أرها جيدا حتى الآن مع مكوثى فيها لمدة تنيف عن الستة شهور كما تعلمون ولست أدري هل أنا أقيم فى مدينة أو أسكن فى قرية؟ فهى خليط من هذا وذاك وأحيانا تشرق صورتها أمام ناظرى فأرى فيها وجه المدينة بصخبها وضوضائها.. وأحيانا أخرى تظلم الصورة فالفى أمامى قرية صغيرة بسكونها وهدوئها واضمحلال حجمها وطيبة أهلها.. ويوجد بها من النقائص ما يجعلها تبدو لى تارة أخرى أنها أشبه بسطح القمر ببرودتها الشديدة.. وسكونها الدائم إذ ينسدل الظلام عليها وتخلو طرقاتها من السابلة وكأنها قبر كبير يعج بآثار الفراعين فهى ليس فيها أى أصر للحياة إلا النذر اليسير منها. وإن كنت قد تركت قوص بشيخها القوصى.. فها هنا سيدى أبى الحجاج الأقصرى بطل الأقصر «كما يسمونه» وشيخها ووليها الصالح الذى تحكى عنه القصص وتسرد الروايات وكذلك ساحة الرضوانية التى تذكر باسم ولى الله الشيخ أحمد الرضوان الذى تحكى عنه الكرمات بين الحين والحين.. وهو لهذه المناسبة من الأصدقاء المقربين للرئيس جمال عبد الناصر وهذه الساحة تمتد باتساع على أرض ذات فجاج كل من يزور الأقصر يقوم بزيارتها وتناول أطايب الطعام فيها بل ويخلو البعض إلى النوم فى أروقتها ويأتى إليها دوما كبار الشخصيات فى مصر للتبرج بالشيخ الرضوان رحمه الله وملاقات أبنائه.

ويقع مسجد سيد أبو الحجاج فى قلب آثار الفراعنة فى منظر بديع جميل خلاب فمئذنته التى تشرئب إلى السماء وكأنها هى الأخرى من آثار الفراعنة بطولها ورهبة ارتفاعها.. تشير إلى دلالات وتوحى بإيحاءات يهتز لها قلب الإنسان.

فهذه هي الحضارة الإسلامية متمثلة في هذا البيت الكريم من بيوت الله يمتزج بحضارة
مصرية ضاربة في القدم مرت عليها أزمان وأزمان فمن جوف الآثار تخرج مئذنة شامخة
تشير إلى وحدة الحضارة ووحدة الإنسان في كل زمان وفي كل مكان.. وها هم الفراعنة
الذين كانوا أول من عرف التوحيد على يد «أخناتون» ينبعث الصوت الخالد من داخل
أرماسهم ومعابدهم مرددا صوت المؤذن في كل صلاة «الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله»
ينبه العاقل ويذكر الظالم ويبشر المظلوم.

والدى العزيز:

استمع حضرتكم - عذرا - إن كنت قد أطلت عليكم ولكنها الرغبة الجارفة في
الحديث إليكم أكرر لكم تهنئتي القلبية بعيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى والدتي
العزيزة الجليلة وإخوتي الفضلاء بالخير واليمن والإقبال.

وكل عام وحضرتكم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم المخلص

محمد

فجر ٢١/١٢/١٩٧٠



القاضى المستشار «محمد مرشدى بركات» فى سطور

- تخرج القاضى المستشار محمد مرشدى بركات فى كلية الحقوق – جامعة القاهرة – وعين وكيلا لنيابة قوص ثم وكيلا لنيابة إسنا، فوكيلا لنيابة الأقصر.
- وعين قاضيا ثم رئيسا لمحكمة الأقصر الوطنية، ورئيسا لمحاكم الغردقة، وسفاجا، والقصير، والزقازيق، وبنها، وطنطا، وشبين الكوم، ومحكمة جنوب القاهرة، ورئيسا لمحكمة مصر الجديدة عام ١٩٨٠، ومستشارا بمحكمة الاستئناف العالى ببنى سويف، ثم المنيا، فالسويس، والإسماعيلية، وبورسعيد.
- فنائبا لرئيس محكمة استئناف القاهرة، رئيسا لمحكمة الاستئناف العالى بها.
- انتدب إبان عمله بمحكمة القاهرة مستشارا للأمانة العامة لمجلس الوزراء لمراجعة قضايا المفصولين من غير الطريق التأديبى.
- ورحل إلى قطر للعمل فى القضاء هناك، ثم عاد منها حيث أسند إليه رئاسة مركز التحكيم الدولى الأفريقى.
- منذ سن باكورة اتصل المستشار بكبار أدباء مصر وعلى رأسهم: «الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد». مما يذكر أن الأستاذ «العقاد» قد أرسل له برقيات هاتفية فى مناسبات مختلفة جاء فى واحدة منها:

[نرجو للمرشدى زروة المجد الأدبى والخلود الأبدى]

- حاز على جائزة التفوق الاجتماعى وهو ينتظم فى الصف الثالث الثانوى، وكانت تتيح له الالتحاق بالجامعة دون التقيد بدرجات المجموع، وكذلك الإعفاء من المصاريف المدرسية.
- حصل على العديد من جوائز الدولة: أولاها الجائزة الأولى فى أول عيد للعلم عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ عن بحث فى تحليل شخصية الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» وطبع بحثه على نفقة الدولة مع الفائزين الأربعة الآخرين، وكرمه الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وسلمه شهادة امتياز ميدالية

تقدير وشيك بمبلغ من المال فى هذا الاحتفال الذى كان على رأس المحتفى بهم عميد الأدب العربى الدكتور «طه حسين».

فى السنة التالية فاز كذلك فى عيد العلم الذى كان يحضره الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» فى نفس المكان السالف ذكره وسلمه الجوائز الخاصة به عن بحثه فى مشكلة تنظيم الأسرة وكان من المحتفى بهم فى هذا العيد الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد».

– فاز بالجائزة الأولى فى بحثه عن (احتكار العلم) وسلمه جوائزه الأستاذ الدكتور «حسين سعيد» وزير التعليم العالى.

وكذلك سلمه المرحوم الأستاذ «صلاح دسوقي» محافظ القاهرة جوائزه فى بحثه الذى فاز فيه بالجائزة الأولى عن: (اليتروى العربى).

– فاز بالجائزة الأولى من جامعة القاهرة فى بحثه عن (مشكلة السكان فى مصر) وسلمه الجائزة الأستاذ الدكتور «حسين فوزى» وكيل جامعة القاهرة.

– كما نال الجائزة الأولى فى القراءة من وزارة التعليم العالى.

– كتب فى الصحف والمجلات المختلفة، وكانت أولى مقالاته بجريدة الأخبار مقال (التاريخ يتكلم) عام ١٩٥٦.

– كتب العديد من المقالات فى صحف الأهرام والوفد والمصور وروز اليوسف وآخر ساعة.

– نشر له المرحوم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» مقالات مختلفة له فى بابه «ما قل ودل».

والده المغفور له (بإذن الله) المستشار «محمد مرشدى بركات» رئيس محكمة استئناف القاهرة.

– وانتخب والده عضواً بمجلس نادى قضاة مصر.. وأميناً للصندوق له (بالتزكية لمدة خمسة عشر عاماً).

وله مقالات عديدة فى صحيفتى «الأهرام»، و «الأخبار» تدور كلها حول المناسبات الكبرى فى حياة الرسول «محمد» – عليه الصلاة والسلام –.. ناهيك عن مقالته فى الدفاع عن القضاء فى فترة تعرض فيها القضاء للعصف.

متزوج وله ابنان «خالد محمد مرشدى بركات» وقد حصل على ليسانس الحقوق جامعة

عين شمس - قسم اللغة الإنجليزية - ثم تحصل على الماجستير من ذات الجامعة ، ثم دبلوم فى Arbitration ، وكذلك دبلوم من الجامعة الأمريكية ، ودبلوم العلوم الإدارية ، ويعمل قاضيا بمجلس الدولة .

و«سارة محمد مرشدى بركات» وقد حصلت على ليسانس الحقوق جامعة عين شمس - قسم اللغة الإنجليزية - بتقدير جيد جدا ، ثم حصلت لشغل الماجستير من ذات الجامعة ، وكذلك على دبلومة من الجامعة الأمريكية ، ومرشحة تشغل منصب وكيل النيابة الإدارية .



الفهرس

إهداء.....	٣
مقدمة الكتاب.....	٥
رسول السماء وريحانة الأنبياء.....	٩
المسلمون الألبان.. والشيخ تركمان؟!.....	١٣
بابا مصر والعرب.. غزير العلم وجم الأدب.....	١٦
رؤية قبطية للفتح الإسلامى.....	٢٢
أحمد زويل.. العبقري المصرى!.....	٢٥
أخطاء تتحدى الصواب!؟.....	٢٨
أخطر يوم فى تاريخ القاهرة!؟.....	٢٩
الإسراف فى حياتنا!؟.....	٣٢
القاضى الأول فى الجاهلية.. وفى الإسلام.....	٣٥
الأعياد.. والعباد.....	٣٩
الإفتئات على الحق.. وعلى عظمة الرجال.....	٤١
الإهتمام بقواعد اللغة العربية.....	٤٤
الدفاع عن كرامة القضاء.....	٤٥
الرحالة العظيم.....	٤٧
الرسول وتعدد الزوجات.....	٥١
مهزلة الرفق بالحيوان.. لدى الغرب!؟.....	٥٤
الرقص على البارود!؟.....	٥٦
السبت الدامى.. وضرورة القبض على الجانى.....	٥٨
الشعب الذى يفرط فى كرامته.. تضع هيبته!؟.....	٦٠
الصحراء الغربية.. والحدائق الشيطانية!؟.....	٦٣
الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى.....	٦٧
العقاد وأقول العقل!؟.....	٦٩

٧٣.....	الْغُنى بِالْغُرم.. والهنود الحمر؟!.....
٧٥.....	ألف ليلة وليلة.. والقضاء المصرى.....
٧٦.....	القضاء المصرى.. بين التقليد.. والتقليد؟!.....
٧٩.....	القضاء بين الماضى والحاضر.....
٨٠.....	القضاء ذلك الحصن.....
٨٤.....	المكتبات الموسيقية.....
٨٦.....	تعمير صحراء سيناء.....
٨٧.....	النائب العام.. محامى الشعب.....
٨٨.....	النفاق جرثومة الداء.. وسر البلاء.. وفساد العباد والبلاد؟!.....
٩٢.....	أنيس منصور بين تفاحة الصحافة وجنة الأدب.....
٩٥.....	مأساة طبيب عظيم.....
٩٧.....	بل.. عندما تصبح القضية امرأة..؟!.....
٩٩.....	تاريخنا. هل يكتب من جديد؟.....
١٠١.....	تراجع اللغة العربية.. تراجع للنصرة القومية (رسالة إلى وزير التعليم).....
١٠٤.....	رؤيتى للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١ والمأمول منها.....
١٠٨.....	ثورة عبرت جميع الأجيال.. وحققت الآمال.....
١١٢.....	جلال القضاء.....
١١٣.....	وجيش مصر العظيم.. كذلك يستحقها.....
١١٥.....	حق الجار على جاره.....
١٢١.....	من قاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما.....
١٢٣.....	خطر الماسونية والمؤامرة العالمية.....
١٢٦.....	خواطر قاض.. ردًا على خواطر مؤرخ.....
١٣٢.....	المتاحف ذاكرة الشعوب.....
١٣٤.....	ذكرى مصطفى النحاس.. سيد الناس.....
١٣٨.....	راسبوتين وشعب مصر الحزين.....
١٤٠.....	رأينا فى الدستور.....
١٤٢.....	رحمة الله على الموتى.. وسلامه على الأحياء.....
١٤٤.....	رسالة.. قاضى القضاة.....

رسالة الصحافة بين عبد الله النديم والشيخ حمزة فتح الله.....	١٤٦
سرجيوس.. قس الشيوخ.. وشيخ القسوس..؟!.....	١٥٠
يوم أن مات سعد زغلول.....	١٥٢
سلام الله.. على مصر.....	١٥٧
سيناء.. هل نعيمها بالدعاء.....	١٥٩
صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد.....	١٦٤
صدقت يا أستاذ عباس.. فموعنا الآن مع الوسواس الخناس.....	١٦٩
ضربة منشة.. سبب احتلال الجزائر.....	١٧١
ضريبة الذهب الأسود.. فى عهد المصريين القدماء.....	١٧٣
عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم.....	١٧٥
فرية صبت فى الأذن.. ومجتها الأذهان!.....	١٧٨
فن البناء..!.....	١٨١
فنادق لإنعاش الريف.....	١٨٢
فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب فى القرن العشرين.....	١٨٣
حياة كالموت.. يحيها اللاجئين الفلسطينيون.....	١٨٧
من خواطر الشباب.....	١٩٣
منية المرشد.. القرية.. التى لها تاريخ؟!.....	٢٠١
فلسطين والعم سام.. غير الأمين..؟!.....	٢٠٦
كلمات لها معنى.. ولها مغزى.....	٢٠٨
العقاد.. عبقرية علمية.....	٢١٣
إبراهيم باشا.. قائد ثورة ١٩١٩!.....	٢١٦
يوم أن مات سعد زغلول (٢/٢).....	٢١٩
يوم أن تعانق الهلال مع الصليب..؟!.....	٢٢٢
يوم أن غرقت إيلات.....	٢٢٦
وداعاً.. فارس الكلمة الحرة.....	٢٢٨
وداعا المستشار محمد وجدى عبد الصمد.....	٢٣٠

٢٣٢.....	وداعا.. شيخ الدعاة..؟
٢٣٤.....	هكذا كانت مصر.....
٢٣٥.....	نقطة الماء.. تقدر بنقطة الدماء..؟
٢٣٦.....	نقادة.. ذلك المجهول..؟
٢٣٩.....	من تعاليم قدماء المصريين.....
٢٤٢.....	من قاض مصرى إلى حاكم العراق.....
٢٤٤.....	ملحمة أكتوبر السادات.. وصائد الدبابات.....
٢٤٧.....	مصطفى أمين.. فى ذكرى الأربعين.....
٢٤٩.....	مجلس الدولة.. حامى حمى الحريات فى مصر.....
٢٥٣.....	متحف محمد عبده.....
٢٥٤.....	مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء.....
٢٥٧.....	ما هو الكتاب..؟
٢٥٨.....	ما قل ودل.....
٢٥٩.....	لوه.. عاد إدوارد لين إلى الإسكندرية..؟
٢٦٤.....	لمن تُدق الأجراس..؟
٢٦٦.....	كفافيس عاشق الإسكندرية..؟
٢٦٩.....	حدث.. ذات ليلة..؟
٢٧٣.....	التاريخ يتكلم.....
٢٧٤.....	أيها الثلاثة الصغار.....
٢٧٥.....	الروك أند رول... صفقة لمبادئ الأخلاق..؟
٢٧٦.....	ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات.....
٢٧٨.....	استغلال الطاقة الشمسية.....
٢٧٩.....	سائلوا القاضى.. واتقوا الله فى القضاء..؟
٢٨١.....	المحامون الأدباء.. والقضاة النبغاء.....
٢٨٣.....	خطاب إلى والدى.....
٢٨٦.....	القاضى المستشار محمد مرشدى بركات فى سطور.....

٢٠١٣ / ٤٢٥٣	رقم الإبداع
ISBN 978-977-02-7756-0	الترقيم الدولى